بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأزهر

كلية أصول الدين بالقاهرة

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

شبه المستشرقين حول النبوة والدعوة

- عرض ونقد -

رسالة للحصول على درجة التخصص "الماجستير"

إشراف :

الأستاذ الدكتور عمارة نجيب محمد

إعداد

محمد زين العابدين محمد الطشو

المعيد بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة



" بسم الله الرحمن الرحيم "

إهداء :

إلى طلاب الحق ، والباحثين عنه ، والناصرين له إلى الدعاة إلى الله الذين لا يخشون في الحق لومة لائم

أقدم

هذا البحث ضارعا إلى الله عز وجل أن يجعله سهما من سهام الحق يدحر الباطل وحزبه .

وأن يكون هداية لمن يطلب الحقيقة ...

"بسم الله الرحمن الرحيم"

شكر وتقدير

أما الشكر فلله وحده الذى وفقنى لهذا العمل

"وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"

وأما التقدير فهو للأستاذ الدكتور / أحمد أحمد غلوش

الذى تفضل مشكورا بالإشراف على هذا البحث •

وللأستاذ الدكتور / عماره نجيب محمد الذى تفضل

مشكورا بالإشراف على هذا البحث رغم كثرة مسئولياته • ولقد

حبانى بنصحه وبالكثير من التوجيهات العلمية التى

كان لها أكبر الاثر فى خروج هذا البحث بهذه الصورة •

أرجو من الله العلى القدير أن يسبغ عليه النعم

وأن يديم عليه نعمة العلم • ويبقيه علما من أعلام الإسلام

لنصرة الدين إنه سميع مجيب الدعوات •

" بسم الله الرحمن الرحيم "

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الذين جاهدوا في الله حق جهاده " فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين "

أما بعد

فإن الله تبارك وتعالى قد اختار محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا ، وجعله للرسالات ختاما وأنزل عليه كتابا مبينا (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)(1) فدعا صلى الله عليه وسلم العباد إلى توحيد الله فاستجاب لدعوته أصحاب العقول السليمة ، والفطر السوية ، وحاد عن هذه الدعوة أصحاب العقول المريضة ، والقلوب القاسية ، وهؤلاء ملأ قلوبهم الران فحاربوا الرسول وأتباعه بسيوفهم وأذوه بألسنتهم واستمر العداء للإسلام بعد أن لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى وقيض الله لهذا الدين جنودا مخلصين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فهم يبذلون حياتهم من أجل نصرته ، ورفع رايته ، يحرسون العقيدة ويدافعون عنها بالقلم واللسان ، ويسهرون في الذب عن حمى الإسلام ، والذود عن ساحته وهم في كشف أكاذيب المفترين ورد كيد الكائدين لا يهابون في الحق لومة لائم .

وما يزال الصراع بين الإسلام وأعدائه قائما ، وإن اختلفت صوره لأنه صراع بين الحق

---

(1) سورة فصلت الآية ٤٢

والباطل ، والخير والشر ، فإذا كانت الحرب الفعلية ضد الإسلام هى الأساس فى الماضى فإن الحرب الفكرية فى الحاضر هى الأساس الأول لأنها تحقق مالا تستطيع القوة تحقيقه أو المحافظة عليه ، وغزو العقول أنفع من غزو الأبدان ، وخصوم الإسلام

١ـ إما من الملحدين : وهؤلاء لايعترفون بدين وهم خطر على الإنسانية جمعاء ، وعلى كل الرسالات ،

٢ـ وإما من أهل الأديان الأولى : ومعظمهم من المستشرقين والمبشرين الذين رأوا امتداد الإسلام فى كل بقعة من الأرض وسماحة أهله وعدلهم وقوتهم وأسهم وأفزعهم تجاوب التعاليم الإسلامية مع الفطرة الإنسانية فهى بلاشك تحرر الإنسان من الخضوع لغير الله وتطلق سراحه من القيود الكهنوتية ، ولذا أجمع الماديون والمستشرقون أمرهم على حرب الإسلام ليوقفوا انطلاقته ويحدوا من دور أتباعه ، وينفروا أممهم منه فلفقوا الافتراءات وأذاعوا حوله الشبهات فنشروا عنه أنه دين قام على السيف ، وأنه دين تعدد الزوجات وساعدهم فى دورهم ، ضعف المسلمين منذ عدة قرون ، وسيطرة خصوم الإسلام على أجهزة الإعلام فى كبرى البلدان وهذا زاد من عزمى فاستعنت بالله تعالى فى الرد على شبهات المستشرقين فى بحث بعنوان :

" شبه المستشرقين حول النبوة والدعوة "

عرض ونقد

سبب اختيار الموضــوع :

كان اختياري لهذا الموضوع يرجع إلى سنوات دراستي بكلية أصول الدين فكنت أسمــع من أساتذتي عرضا لبعض الشبهات المثارة حول الإسلام ومناقشتها ، وكنت استنكــر فعل هؤلاء الذين يعادون الإسلام ، وهو الدين الذي كرم الإنسان ، وأوصى أتباعــه خيرا بأهل الأديان ، وبعد تخرجي عينت بوزارة الأوقاف بالقاهرة ، ومارست الدعـــوة عمليا في المساجد ، وسنحت لي الفرصة أن التقي بالشباب المسلم في ندوات علميـــة ووجدت أن فيهم من اقتنع بالأفكار الاستشراقية ، وأن الذين لم يقتنعوا بها أحدثـــت بلبلة في نفوسهم لعدم إدراكهم التام بتعاليم الإسلام ، وتبينت من خلال كثرة اللقاءات بهؤلاء الشباب في دور العبادة ، أمورا أثارها القوم يلزم إيضاحها للمسلمين حتى — لا يستطيع الفكر المضاد للإسلام من شغل عقولهم . ومنها موضوع الوحي ، وتعدد أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وانتشار الإسلام بالسيف إلخ . فكان هذا أول سبب فـــي اختياري لهذا الموضوع . يضاف إليه مادفعني على التقدم في كتابة هذا البحـــث أني قصدت التقرب به إلى الله تعالى بالذب عن الإسلام ودفع التهجم والتطاول علـــى من اصطفاه ربه رحمة للعالمين كما أردت إيضاح الحق بإزالة الغبار من حوله ليظهـــر جليا حتى لا يتحير الناس فانطلقت مبينا الحقائق وكاشفا الأباطيل ومزيلا للبس وكنـــت أذهب في غير ملل إلى كثير من المكتبات للبحث عن فكرة أو دليل أدعم به الرد علـــى شبهات القوم وافتراءاتهم حتى تمكنت من كشف زيفهم وعرضت الحق في أسلوب مقنـــع ، مفندا به شبه الضالين بالأدلة والبراهين . (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغـــه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون)[1]

---

(١) ســـورة الأنبيـــاء الآيـــة ١٨

منهجي فـــي هذا البحـــث :

وأما عن منهجي في هذا البحث فقد سار على النحو التالي :

عرض شبهات القوم بنصها في الغالب ، أو اختصارها مع مراعاة الأمانة التامة والدقـــة الكاملة في نقلها أو اختصارها ثم الرد عليها بالأدلة والبراهين مع مناقشة الأدلـــة التي تحتاج إلى مناقشة ، ولا أترك سلاح الدفاع حتى يظهر الحق في صورته الأصيلـة من غير صدأ أو غبار .

خطـــة البحث :

لقد قسمت هذا البحث إلى :

مقدمـــة ، وتمهيـــــد ، وثلاثـــة أبواب ، وخاتمـــــــة

المقدمـــة : في بيان سبب اختياري للموضوع ومنهجي في البحث، وخطة البحث

وهي كمـــا يلي :

التمهيد : في الحركة الاستشراقية واتجاهاتها. وركزت فيه على بيان مفهوم الاستشراق ودوره ، والصلة بينه وبين التبشير ، ودوافع الحركة الاستشراقية ، وطوائف اتباعها .

الباب الأول : حياة الرسول " صلى الله عليه وسلم " والمستشرقون: وقسمته إلى فصلين :

الفصل الأول : النبي قبل البعثة وأفكار المستشرقين: وفندت فيه أراجيف القوم حول حياة النبي صلى الله عليه وسلم وتربيته موضحا أن حياته صلى الله عليه وسلم كانت ظاهـــرة للعيان وليست بخافية على انسان كما يدعي المستشرقون ، وذكرت أن يتمه وما جرى له في صباه وما قام به من رعي الغنم واشتغال بالتجارة كان مرادا له صلى الله عليه وسلـم حتى لا يدعي مدع أن أباه علمه خفية ، أو أنه تعلم في مكان بعينه ، فهو أمامهم في حركاته اليومية

وفى هذا الدليل الكافى على أن الذى علمه هو الله عز وجل وذكرت سيرته فى قومه وهى تنضح بالأمانة والصدق والطهارة ثم صمدت إلى الدلائل المشيرة بشأنه الرفيع ومكانته المرتقبة .

الفصل الثانى : مطاعن المستشرقين حول زواج النبى صلى الله عليه وسلم

وفى هذا الفصل رددت المطاعن الاستشراقية حول تعدد الزوجات فى الإسلام وزواج النبى صلى الله عليه وسلم وفندت الروايات المكذوبة حول زواج النبى صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش وذكرت الحكمة من زواجه بوجه عام .

الباب الثانى : النبوة والمستشرقون وينقسم إلى فصلين :

الفصل الأول : مزاعم المستشرقين حول النبوة والوحى والرد عليها وبينت فيه مفهوم الوحى والرابطة بين النبوة والوحى وتناولت شبهات المستشرقين حول النبوة والوحى بالتفنيد وأشرت الى أن القوم لم يأتوا بجديد فى هذا المجال وكل مافعلوه هو ترديد لما نطق به الكفار فى بدء الرسالة .

الفصل الثانى : افتراءات المستشرقين حول الوحى المدون " القرآن الكريم والسنة النبوية " وتفنيدها . وردت فيه على اتهام ابن النغريلة للقرآن الكريم بالتناقض واتهام المستشرقين لآيات الأحكام التدريجية بالتعارض وفندت الشبهات المثارة فى هذا الموضوع بالدليل ثم دفعت افتراءات ابن كمونة . ومازعمه المستشرقون حول القرآن من ناحية تدوينه ونقطه وقصصه والفواتح المعجمة . وانتقلت إلى تفنيد مزاعم القوم حول السنة الشريفة من تقولهم بأنها منقولة عن الأمم الأخرى ومن طعنهم فى رواة الحديث من الصحابة

والتابعين إلى اتهامهم للأحاديث بالتناقض .

الباب الثالث : الدعوة الإسلامية والمستشرقون :

وينقسم إلى فصلين : الفصل الأول : أسلوب الدعوة

وردت فيه على مازعمه المستشرقون من أن أسلوب الدعوة قد تغير من السلم إلى الحرب حين شعر النبي بالقوة بعد هجرته للمدينة ودفعت مغالطات ولغنسون حول موقف النبي من أهل الكتاب وحول قضية النسخ ، وتحويل القبلة ثم بينت أن قصة الغرانيق خرافة لاأساس لها من الصحة وفندت زعم هربرت جريمه القائل بأن التعاليم المدنية أكثر جبرية وكشفت تقولات المستشرقين حول الهجرة النبوية ، وبينت أنها لم تكن فرارا وإنما كانت انتصارا .

الفصل الثاني : الحرب والسلام في نظر الإسلام

وتحدثت فيه عن مفهوم الحرب والسلام من وجهة الإسلام وذكرت مشروعية الحرب في الديانتين اليهودية والنصرانية وفندت زعم المستشرقين القائل بأن الإسلام انتشر بالسيف وذلك بتوضيح أنه لاإكراه في الدين ، وبإعطاء صورة موجزة لانتشار الإسلام بينت فيها أن فتوح الإسلام كانت تحطيما لقوى الطغيان ، ووسيلة للإعلان عن دعوة التوحيد ونشرا للعدل في الأرض ثم أوضحت أن الجزية عامل مهم لنشر الدين .

الخاتمة : وخصصتها لذكر أهم النتائج والتوصيات .

" والله التوفيق "

تمهيد

في الحركة الاستشراقية واتجاهاتها

مفهوم الاستشراق

الاستشراق في اللغة : مصدر رفعله استشرق والالف ، والسين ، والتاء للطلب ، فالفعل المجرد " شرق " يقول صاحب لسان العرب : شرقت الشمس تشرق شروقا وشرقا ، طلعت واسم الموضع المشرق ، وكان القياس : المشرَق يقال : شرقت الشمس اذا طلعت ، وأشرقت أضاءت [1] وقد جاء في الحديث الشريف شروق الشمس بمعنى طلوعها ، عن ابن عباس عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أدرك من العصر ركعة قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك ومن أدرك من الفجر ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك [2])

وان أراد الإضاءة فقد ورد في حديث آخر : حتى ترتفع الشمس (عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله " صلى الله عليه وسلم " (لاتحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولاغروبها قال ابن عُمَر وقال رسول الله " صلى الله عليه وسلم " إذا طلع حاجب الشمس فأخروا الصلاة حتى ترتفع وإذا غاب حاجب الشمس فأخروا الصلاة حتى تغيب) [3] وقد ترد بمعنى الإضاءة مع الارتفاع لما جاء في الحديث الشريف عن موسى بن علي عن أبيه قال سمعت عقبة بن عامر الجهني يقول : (ثلاث ساعات كان رسول الله " صلى الله عليه وسلم " ينهانا أن نصلي فيهن أو نقبر فيهن موتانا حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس وحين تضيف [5] الشمس للغروب حتى تغرب) [4]

---

(١) لسان العرب ، للإمام : أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري المجلد العاشر ص ١٧٣ (فصل الشين ـ حرف القاف) طبعة بيروت ١٣٧٦هـ = ١٩٥٦م .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٥ ص ١٠٦ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك تلك الصلاة) المطبعة المصرية ١٣٤٩هـ .

(٣) التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ـ للحسين بن المبارك الزبيدي جـ ١ ص ٥٤ (كتاب مواقيت الصلاة) المطبعة الميمنية بمصر ١٣٢٣هـ .

(٥) تضيف : بفتح التاء والضاد المعجمة وتشديد الياء أي تميل

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٦ ص ١١٤ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب الأوقات التي نهى عن الصلاة فيها).

وقوله تعالى : (ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين)[١] إنما أراد بعد المشرق والمغرب ، فلما جعلا اثنين غلب لفظ المشرق لأنه دال على الوجود والمغرب دال على العدم والوجود لا محالة أشرف)[٢]

الاشراق : (شرق)

١ــ مصدر أشرق .

٢ــ فلسفة الإشراق :

هي فلسفة المدرسة الاسكندرانية المعروف مذهبها بـ " الأفلاطونية الحديثة " وتقوم على أن العالم يفيض عن الله كما يفيض النور عن الشمس وعلى أن الله يشرق على المقربين إليه بأسرار المعرفة الإلهية .[٣] وربما سموا أنفسهم بالمستشرقين بناء على هذه الفلسفة واعتقادا منهم أنهم إلى ربهم مقربون ، وبأسرار معرفته مختصون .

الاستشراق في الاصطلاح :

والاستشراق : (شرق) ١ــ مصدر : استشرق

٢ــ وهو (علم الأجانب بحياة الشرق وعلومه وآدابه ولغاته وحضاراته ومدنياته)[٤]

والمستشرق :

(العالم الأجنبي إذا كان عالما بالعلوم والأدب واللغات والمعتقدات والعادات والتقاليد الشرقية)[٥]

ومن هذا التعريف نرى أن كلمة : استشرق معناها : دراسة مفكري الغرب للشرق ، أو الغرب والشرق الملحد في دراستهما للشرق المسلم . وأعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية خصوصا مايتصل بالعقيدة الإسلامية وفي مجالي الدعوة والنبوة .

---

(١) سورة الزخرف الآية ٣٨ .

(٢) لسان العرب ، المجلد العاشر ص ١٧٣ .

(٣) " الرائد " معجم لغوي عصري ــ جبران مسعود ص ١٤٣ ، ١٤٤ مطبعة دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٤ م .

(٤) المرجع السابق ص ١٠٩

(٥) المرجع السابق

الآراء فــى بداية الاستشراق

تعددت الآراء فى بداية الاستشراق ، فرأى يجعل بدايته الحروب الصليبية وذلك أن لويس التاسع بعد هزيمته فى المنصورة ووقوعــه فى الأسر رسم الخطة التى تمكنهم من مواجهة الإسلام وسأذكرها باختصــار شديد وهى كما يلى :

(١) تحويل المواجهة العسكرية إلى مواجهة كلامية بصورة سليمة فى الظاهــر تستهدف الدس بين المسلمين فى الحقيقة ، واثارة الخلافات ، وإذكــاء نارها بين الأوساط الإسلامية ، وبين حكام المسلمين ، واستغلال كــل هذا بمعاهدات ومحالفات يمكن الافلات منها عند الضرورة . على أن يتمتع الغرب من وراء ذلك بامتيازات سياسية واقتصادية ، ويستغــل الخلافات فى تفتيت الكتلة الاسلامية لينهار الإسلام تلقائيا .

(٢) تجنيد المبشرين الغربيين فى معركة سلمية لمحاربة تعاليم الإسلام لوقف انتشاره والقضــاء عليه معنويــا .

(٣) استخدام من يمكن أغراؤهم من مسيحى الشرق فى تنفيذ سياسة الغرب .

(٤) العمل على إنشاء قاعدة للغرب فى قلب الشرق الإسلامى لتصبح نقطــة ارتكاز للغرب ومركزا لقوته الحربية ولدعوته السياسية والدينية . ومنهــا يحاصر الإسلام ويثب عليه كلما لاحت الفرصة .(١)

وقد نفذ الغرب الخطة على مراحل ونجح فى بنودها ماعدا البند الثانـــى فقد تمكن الغرب من إثارة الفتن بين المسلمين ومن إحداث فجوات بين حكامهم تسببت فى جروح مازالت دامية ، وسهل الطرق جند مسيحى الشرق فـــى كل بلد إسلامى لخدمته وتنفيذ مايعجز السلاح عن تنفيذه ،

ووضع إسرائيل فى قلب العالم الإسلامى قاعدة حربية ينقض منها على المسلمين

---

(١) الغرب والشرق . من الحروب الصليبية إلى حرب السويس . المرحلة الأولى محمد على الغتيت ص: ٦٥ : ٦٦ بدون عدد للطبع ـ مطابع الدار القومية . بدون تاريخ ... بتصرف

عند ما تحين الفرصة وما يزال أعداء الاسلام للآن يبذلون جهدهم للقضاء على تعاليمه لولا أن قيض الله لهذا الدين رجالا عاملين صدقوا ما عاهدوا الله عليه يحرسون العقيدة ليل نهار ويذبون عنها الغبار ويكشفون ألاعيب الكفار .

ومنذ عام ٥١٥ هجرية الموافق ١١٢١م الذى فرضت فيه هذه الخطة السابقة على عالمنا الإسلامى والصراع على أشده للآن مما جعل البعض يفكر فى أنه كان البداية للغزو الاستشراقى ، وظهوره كفكر .

ومن الآراء مايشير إلى أن الاستشراق ظهر فى العالم فى بداية القرن السادس عشر الميلادى ، ولذا يقول الندوى :

إن تاريخ هذا الاستشراق قديم يرجع إلى القرن السادس عشر الميلادى بالوضوح والعوامل التى كونت هذا التاريخ إنما هى دينية وسياسية واقتصادية ،أما العامل الدينى فواضح لاغموض فيه ،وهو يهدف إلى نشر الديانة المسيحية ورجحانها على الإسلام ويبعث فى الطبقة المثقفة اعجابا بالمسيحية وحرصا عليها . (١)

ولاختلاف وجهات النظر حول هذا الموضوع يقول الدكتور الخربوطلى :

هناك رأى يجعل الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م هى بداية الاستشراق الإيجابى الحقيقى ،حينما صحب نابليون معه على ظهر أسطوله عددا كبيرا من العلماء ، الذين تخصصوا فى فروع عديدة من المعارف ،كما صحب مطبعة عربية . (٢)

وحين نعود إلى أصحاب هذا الفكر نجدهم قد احتاروا فى تحديد بدئه بالدقة المطلوبة مما جعل بارت المستشرق الألمانى يقول :

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية : السيد أبو الحسن على الحسينى الندوى ص١٧٩ ط ٣ مطبعة التقدم بالقاهرة ١٣٩٧هـ =١٩٧٧م .

(٢) المستشرقون والتاريخ الإسلامى الدكتور على حسنى الخربوطلى ص: ٣٠ (السنة العاشرة ـ العدد ١١١) إصدار : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م .

إذا نظر المرء الى الوراء الى تاريخ تطور الاستشراق ولم يتردد فى التبسيط رغبة فى زيادة الوضوح ، فإنه يستطيع أن يقول إن بداية الدراسات العربية والإسلامية ترجع إلى القرن الثانى عشر ففى عام ١١٤٣م تمت ترجمة القرآن لأول مرة إلى اللغة اللاتينية بتوجيه من الاب بيتروس فينيرابيليس رئيس دير كلونى ، وكان ذلك على أرض أسبانية وعلى الأرض الأسبانية وفى القرن الثانى عشر أيضا نشأ أول قاموس لاتينى عربى . وفى القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر بذل رايموندوس لالوس ـ المولود فى جزيرة ميورقة ـ جهودا كبيرة لإنشاء كراسى لتدريس اللغة العربية ، وكان قد تعلم اللغة على عبد عربى . (١)

٤ـ بداية ظهور المستشرقين :

فى الوقت الذى قامت فيه دولة الإسلام بالمدينة تستمد حياتها من القرآن الكريم والسنة النبوية ، ترصد أعداؤها للدعوة الإسلامية ، ووصل الأمر بهم أن دخل البعض منهم فى الاسلام ، لترويج الأفكار المريضة وبث الشبهات ، ومن هؤلاء عبد الله بن سبأ الذى أبطن اليهودية ، وأظهر الإسلام وحرص على الكيد للدعوة الاسلامية ، فزرع فكرة ألوهية الإمام على رضى الله عنه وكون فرقة تؤمن بها تسمى بالسبائية . يقول الشهرستانى فيهم : السبائية : أصحاب عبد الله بن سبأ الذى قال لعلى عليه السلام أنت أنت الإله فنفاه إلى المدائن (٢) ويعتبر هذا العمل بداية للطعن فى الإسلام ، ونواة لعدائه ، جاءت مع القرن الأول الهجرى ، فإن تعددت الآراء واختلفت وجهات النظر حول البداية الاستشراقية فإنى أرى أن الاستشراق فى نظرته لدعوة الإسلام وعقيدته

---

(١) الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية / رودى بارت ترجمة الدكتور/ مصطفى ماهر ص٩ دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٧م .

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل . للإمام ابن حزم (بالهامش الملل والنحل للشهرستانى) جـ ٢ ص ١١٦ مطبعة محمد على صبيح وأولاده بالقاهرة بدون تاريخ

بدأ مع ظهور نور الإسلام ، فالباحث فى مجال الدراسات الإسلامية يجد أن الاسلام دعوة صادقة ، كرمت الإنسان تكريما حقيقيا ، وأضاءت له الحياة ورسمت له صلته بخالقه ، وصلته بغيره ، وعلاقته مع الكون ومنذ أن هلت حضارة الإسلام الثقافية العلمية الخلقية بعمقها وشمولها انكب عليه الكثيرون من أبناء الأمم الأخرى ينهلون من علومه وآدابه ، وحين امتد نور الاسلام من الشرق إلى الغرب وفى كل الاتجاهات ظهرت جماعات المستشرقين ، وهؤلاء استفادوا من علوم الإسلام بالبحث والاطلاع والتعلم ، ثم ألفوا الكتب فى مجال دعوة الإسلام وحضارته . ومما يؤكد قدم البداية الاستشراقية ، ماقام به بعض العلماء من أهل الديانات الأخرى من طعن فى الإسلام وعلى سبيل المثال وجد فى أول القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى يوحنا الدمشقى المعروف بآثاره فى الدراسات الاستشراقيه ، حيث كان مثيرا لقضية القضاء والقدر وله دور فى ظهور فتنة خلق القرآن وواضح أن هذا نوع من التعصب الدينى أقبل عليه بعض أهل الكتاب من أجل الكيد للإسلام ، والنيل من رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . وكان هذا النوع سمة العصور المظلمة يقول بارت : وقد كان موقف الغرب المسيحى فى العصر الوسيط من الإسلام هو موقف الدفع والمشاحنة فحسب . (1) ولكن المستشرقين يركزون جهدهم ليثبتوا فكرة بداية الاستشراق من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ليوهموا غيرهم أن الاستشراق كان عطاء فقط وربما انخدع بهذا بعض الكتاب من المسلمين — فظنوا بدايته من هذا التاريخ أو بعده والحقيقة أنه ابتدأ بأقدام الغربيين على الاطلاع فى علوم الشرق الإسلامى وحضارته لينهلوا من منابعها مايروى ظمأهم ، فليس الاستشراق عطاء لنا فقط كما يدعى القوم بل كان فى الغالب أخذا من علومنا فكانت أوربا قبل انتشار الإسلام غارقة

---

(1) — الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية ص٩

فى بحور الظلام يقول موريس بوكاى معترفا بفضل المسلمين إزاء نشر العلم فى أرجاء الارض ومذكرا لعلماء أوربا :

ولكن علينا أن نتذكر أن فى عصر عظمة الإسلام ، أى بين القرن الثامن والقرن الثانى عشر من العصر المسيحى ، وعلى حين كانت تفرض القيود على التطور العلمى فى بلداننا المسيحية ، أنجزت كمية عظيمة من الأبحاث والمكتشفات بالجامعات الإسلامية ، ومعد أن يذكر مافى مكتبة قرطبة من مجلدات وكتب ودور علماء الإسلام العلمى يقول لهذا السبب كان الكثيرون يسافرون من مختلف أوربا للدراسة بقرطبة) (١) وبهذا كان العرب أساتذة للأوربيين فى هذه الفترة من التاريخ وقادة للعالم فى جميع الميادين ، وكانت أوربا الأمية تزخر بالجهل والحرمان بينما تحمل الأندلس أمانة العلم وراية الثقافة فى العالم . (٢)

ولم تكن الأندلس وحدها صاحبة الريادة والمعبر لنقل الحضارة بل شاركتها مدن إسلامية أخرى ويعتبر /محمد أسد أن علم اليوم أساسه مراكز التعليم الإسلامية فيقول : ولسنا نبالغ إذا قلنا إن العصر العلمى الحديث الذى نعيش فيه لم يدشن فى مدن أوربة النصرانية ولكن فى المراكز الإسلامية فى دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة (٣)

وأستطيع التوفيق بين ماسبق من آراء فى بداية الاستشراق فأقول إنه بدأ فردياً مع انتشار دعوة الإسلام ، وكانت الدوافع المحركة له بالدرجة الأولى دينية تذكر فى الكيد للإسلام ثم تبلور بالدراسة والبحث مستفيداً من العلوم الإسلامية

---

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ص ١٤٠ ، ١٤١ مطبعة دار المعارف بالقاهرة — بدون تاريخ . بتصرف

(٢) قصة العرب فى إسبانيا : استانلى ليد بول ترجمة بدر الدين على الجارم ص ١٢٤ الطبعة العاشرة طبعة دار المعارف ١٩٦٨ م . بتصرف

(٣) الإسلام على مفترق الطرق — ترجمة الدكتور/عمر فروخ . ص : ٤٣ الطبعة التاسعة مطابع مؤسسة جواد — بيروت ١٩٧٧ م .

وذلك فى العصور الوسطى والحروب الصليبية ثم وصل إلى درجة واضحه باجتماع — العوامل المكونة له فى بداية القرن السابع عشر الميلادى •

دور الاستشراق فى العصور الوسطى

تطور الاستشراق فى العصور الوسطى وازداد فى عدائه للإسلام والمسلمين والسبب فـــى هذا :

أ ــ ماظنه بعض المستشرقين من أن الإسلام قد أصبح خطرا على المسيحيـــة .

ب ــ قيام الحروب الصليبية ودورها فى اتصال الغرب بالشرق •

ج ــ شعور المسيحيين بالتفوق الحقيقى للمسلمين •

كل هذا دعا المسيحيين إلى دراسة مايتعلق بالشرق لاستغلالـــه من جهـــة • ولتحوير مايلزم للغرب تحويره ليتخذه وسيلة لتشويه الإسلام من جهة أخرى • وكـــان كل هذا دافعا لهم إلى الاقبال على معاهد الشرق والعكوف على ترجمة علومه •

د ــ بالاضافة إلى مانتج عن الحروب من تأثير على الغربيين حيث بدت مواطـــن الخلل عندهم • وحول هذا المفهوم يقول الدكتور / على حسنى الخربوطلى : كما أن هذه الحروب قد أطلعت الغربيين عن طريق الاتصال بالشرق من جهة • والمقارنة بين الإسلام ودينهم من جهة أخرى على مواطن فى دينهم تحتاج إلى مراجعـــة أو تعديل • وهذا ماسماه بعضهم بحركة الاصلاح الدينى وهذه الحركة استدعـــت مراجعة أصول الدين عندهم • فاستدعت المراجعة نوعا من الدراسات العبرانيـــة ثم انتقلوا إلى الدراسات العربية • ثم كانت هناك الرغبة القوية فى التبشير بالمسيحية فى الشرق فاستلزم هذا دراسة اللغة العربية على أيدى المستـــشرقين لتكون تلـك

الدراسة معوانا على النجاح فى هذا التبشير (١)

ويشير الدكتور محمد البهى إلى سبب هذا التطور مبينا دور الكنيسة الكاثوليكية فيقول : ودراسة المستشرقين للإسلام ،قامت أولا بوحى من الكنيسة الكاثوليكية خاصة للانتقاص من تعاليم الإسلام وإهدار قيم تعاليمه حرصا على مذهب (الكثلكة) من جانب وتعويضا عن الهزائم الصليبية فى (تحرير) بيت المقدس من جانب آخر (٢)

وبجانب دراستهم للإسلام وعلومه ليسلكوا السبيل الموائم لهم فى التبشير وليوجهوا طعونهم إلى الإسلام اتفقوا على حربه مع ملوكهم لما رأوا من دخول الناس فيه طواعية . يقول محمد كرد على عن هذا العداء السافر :

وأهم أسباب الجفاء بين الغربيين والشرقيين فى القرون الأولى من الهجرة كون الإسلام جاء لهداية البشر كافة ،فأتى على الوثنية فى البلاد التى انتشر سلطانه فيها ،ودخل فيه من الصابئة واليعاقبة والنساطرة والمجوس واليهود وغيرهم جمهور كبير وخافت أوربا النصرانية من تسربه إلى ربوعها فاتفقت كلمة الملوك ورجال الدين على حربه حتى وقفت دعوته عند جزيرتى الأندلس وصقلية وما اليهما من أرض الفرنجة (٣)

ونستخلص مما تقدم أن دور الاستشراق فى العصور الوسطى هو :

١ــ دراسة علوم الإسلام وترجمة كتبه للاستفادة منها فى خدمة أغراضه .

٢ــ مساعدة المبشرين .

٣ــ مواجهة الإسلام بالطعن والقدح .

٤ــ التكتل ضد الإسلام وإيقاف زحفه السريع ولو بالحرب الفعلية .

---

(١) المستشرقون والتاريخ الإسلامى للدكتور على حسنى الخربوطلى . ص٤٢،٤٣ .

(٢) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى للدكتور محمد البهى ص٩ ط ٢ مطبعة مخيمر ١٣٧٩ هـ ــ ١٩٥٩م .

(٣) الإسلام والحضارة العربيه . ج ١ص٣ ،ط(٣) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٥٣هـ ــ ١٩٣٤م .

دور الاستشراق فى العصور الحديثة

بحث المستشرقون الإسلام فى أول الأمر من وجهة نظرهم الكنسية المتعصبة وكان الهدف من هذه الدراسة اصطناع الشبه وتصيد التهم المزعومة لتستخدم فى الجدل مع المسلمين ، واستمر الحال على هذا حتى عصر النهضة فكرسوا جهدهم فى ترجمة الكتب الإسلامية الفكرية والعلمية بدون كلل أو ملل وتركوا لعلماء الطبيعة والكيمياء ، والرياضة هذه العلوم مترجمة ليستفيدوا منها ولينطلقوا بواسطتها فى مواكب التقدم والرقى الحضارى

بينما أخرجوا للمسلمين كتيبات إلحادية تحمل التشكيك والتلفيق والكيد للإسلام واستمر الوضع على هذا المنهاج حتى بداية القرن الثامن عشر فظهر فى أوربا مايسمى بحرية الرأى ، وتطورت المواصلات وكثرت المطابع وتيسرت سبل الاتصال بين بلدان العالم فأشاعوا أنهم يدرسون الأديان ومن بينها الإسلام ، بنظرة علمية خالية من التقاليد السابقة ومعتمدة على العلم التجريبى - (والواقع أن وضع الأديان تحت المجهر التجريبى والبحث الواقعى الملموس حصر لها فى أضيق النطاق بل ظلم لأن الأديان لاتخضع لتجريب) وبالرغم مما تقوّلوا به لم يبحثوا الإسلام بنظرة تجريبية فى أصوله وأحكامه من مصادره الأولى التى لايعتريها التمويه والتلبيس بل من وجهة نظرهم التفسيريه المملوءة بالتلفيقات والمغالطات ، وهم يروجون أفكارهم المسمّة لتعاليم الاسلام وينشرونها فى هذا العصر من كل مكان وبكافة الطرق والوسائل الميسرة لهم وذلك للآتى :-

١- زيادة عدد كراسى أساتذة الاستشراق فى مختلف الكليات والجامعات الغربية والإلحادية ، عما كانت عليه فى عصر النهضة ،

٢- تطور أساليب الدراسة الاستشراقية بما يساير العصر .

٣- أفسحت دول الغرب المجال لطوائف المستشرقين للعمل فى السفارات

والوزارات وأسند إليهم الأمر في وسائل الإعلام من صحافة وأذاعة وتليفزيون — فانطلقوا لتحقيق أهدافهم تحت اسم صحفي أو مذيع أو محرر حتى يلتبس الأمر على علماء الإسلام، ومن يتصدون لكتابات المستشرقين وأقوالهم ويردون عليها بالحجة .

٤ـ قيام البعض من هؤلاء بدور التدريس في بلادنا وخصوصا في بعض التخصصات التي نفقدها — وقد تمكنوا عن طريق التعليم من بث أفكارهم في نفوس الطلاب .

٥ـ فتح أبواب الجامعات الغربية لاستقبال طلاب الإسلام عن طريق المنح الدراسية وهو عمل جليل لو أريد به خدمة العلم ونشره (ولكن المبشرين يريدون أن يفيدوا من دراسة الطلاب الشرقيين في الخارج أمرا أخر إنهم يريدون أن يجعلوا من هؤلاء الطلاب نصارى بالفعل أو مالئين للنصرانية (١)

وعبر عن هذا المعنى لويس ماسنيون فقال : (إن الطلاب الشرقيين الذين يأتون إلى فرنسا ، يجب أن يلونوا بالمدنية المسيحية) .

٦ـ إنشاء مؤسسات تعليمية وثقافية في البلاد الإسلامية والعربية :

وقد هيأت دول الغرب الفرصة للاستشراق والتبشير أيضا في بلاد الإسلام الواقعة تحت نفوذها العسكري أو الاقتصادي .

فأنشأوا بها كليات ومعاهد . ومدارس . ومطابع نكتفي بذكر بعضها للعلم وذلك كما ورد في كتاب " المستشرقون " لنجيب العقيقي . وكما ورد في غيره وعلى سبيل المثال (الكلية السورية الانجيلية) المعروفة اليوم باسم الجامعة الأمريكية ، والتي أنشئت سنة ١٨٦٥م بأموال الانجليز والأمريكيين (٢) ثم الكلية الإكليركية في الجيزة بالقاهرة (١٩٣٩م) وقام بتأسيسها الآباء

---

(١) التبشير والاستعمار الدكتور مصطفى خالدي، الدكتور عمر فروخ ص٨٨ الطبعة الرابعة طبعة بيروت ١٣٩٠هـ — ١٩٧٠م . نقلا عن غيره

(٢) أباطيل وأسمار . محمود محمد شاكر ص١٩١ ط (٢) مطبعة المدني بالقاهرة ١٩٧٢م . بتصرف

الفرنسيسكانيون كما أنشأوا مطبعة عربية فى طنجة [١] ، وشيد الأباء الكيوشيون ، والأباء الكرمليون الأديرة والمدارس والمؤسسات الخيرية فى صيدا ، والقاهرة ، وبغداد ، ودمشق ، وحيفا ، ولبنان [٢]

وأسس الأباء الدمينيكيون فى الموصل مطبعة عربية نشرت التوراة جميعها نشرا علميا فاخرا (١٨٧١م) واكليركية (١٨٨٢م) ثم مدرسة الكتاب المقدس (١٨٩٠م) ، ومعهد الدراسات الشرقية فى القاهرة (١٩٤٤) ونظموا مكتبته (١٩٤٥م) — وأصدروا له مجلة بعنوان منوعات المعهد الدومينكى للدراسات الشرقية (١٩٥٤م) [٣]

٧ — مدارس التبشير بمصر ، وسوريا ، وغيرها من الأقطار الإسلامية ولهذا كله دور فى ملء العقول الإسلامية بالفكرة الغربية وهو ماتجه إليه رجال السياسة والفكر فى أوربا ويعبر عن هذا العمل عبد الحميد الكاتب بقوله : وكان أتجاههم أكثر ذكاء ومراعة وهو زرع جذور الافكار الأوربية ، وما يتصل بها من عقيدة دينية فى أرض الشرق بما فيه من أرض إسلامية . [٤] وبذا يتم تغريب الشرق الإسلامى وهو فى دياره فكريا واقتصاديا ولوتم هذا لقطف المستشرقون ثمرة كدهم وحققوا ماعجزت الحرب عن تحقيقه .

متى أصبح الاستشراق علما ؟

وضحت الجهود المكثفة التى بذلها المستشرقون فى عصر النهضة ، ومدى اتجاههم إلى الشرق الإسلامى بارزا فى القرن السابع عشر والثامن عشر ، فقد قاموا بالتنقيب عن آثار الإسلام ومعارفه وكل علومه ، ثم ترجموا مايلزمهم من كل هذه المعلومات واستفادوا بها فى ميادين الحياة ، وبلغ من قيمة هذه العلوم عندهم ، وحرصهم على التزود منها أن أنشأوا كراسى وأقسام خاصة

---

(١) المستشرقون نجيب العقيقى ح ٣ ص١٠٤٥ ط٣ مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٥م . بتصرف

(٢) المرجع السابق ص١٠٥١ . بتصرف .

(٣) المرجع السابق جـ ٣ ص١٠٥٢ ، التبشير والاستشراق أحقاد وحملات . محمد عزت اسماعيل الطهطاوى ص٤٣ طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م . بتصرف

(٤) أخبار اليوم / مقالة لـ (عبد الحميد الكاتب : بعنوان : من الفكر المصرى الإسلامى — عندما رد الشيخ محمد عبده على وزير خارجية فرنسا ص١٦ (السنة السادسة والثلاثون — العدد ١٨٧٧ — ١٦ ذو الحجة ١٤٠٠ — ٢٥ / ١٠ / ١٩٨٠م .

بدراسة علوم الشرق الإسلامي في جامعاتهم .

يقول : بارت

الاستشراق في ألمانيا حاليا وفي العالم الأوربي الحديث كله مادة علمية معترف بها من الجميع . ولا حاجة بها وإن قل عدد المشتغلين بها ، إلى البرهنة على أنها مادة علمية جديرة بالوجود ، فقد تم لها هذا ، وتوشك أن تكون ممثلة في كل جامعة من الجامعات بكرسي رسمي يشغله أستاذ ثم هناك عدد عظيم من وظائف المدرسين والمعيدين في تخصص الاستشراق إلى جانب الأساتذة (١)

وينوه البعض بسلوك الاستشراق المسلك العلمي حين نظم الغرب البعثات العلمية للاستفادة من علوم الشرق ولغاته وخاصة اللغة العربية .

فيقول :

وبعد أخذ الغرب بالاستشراق أخذا علميا عندما نظمت فرنسا بعثة فتيان اللغات (١٦٩٩م) وأنشأت النمسا مدرسة لتعليم السفراء والتجار اللغات الشرقية (١٧٥٣م) وأرسل بطرس الأول خمسة من طلاب موسكو يتعلمون اللغات الشرقية في الشرق ، وجرت الملكة كاترين الثانية مجراه فأمرت بتعليم العربية (١٧٦٩) ثم التترية في مدرسة قازان أعدادا للترجمة . واتصلت روسيا بالمدرسة الهولندية الاستشراقية وأفادت منها كما أفادت من قيام مجمع العلوم الروسي الذي عني بعض أعضائه بالاستشراق من أمثال باير (١٦٩٤ - ١٧٣٨)

فقد درس اللغات السامية وجمع بعض المواد العربية التي فتحت الباب لمن جاء بعده (٢) وظهرت الصورة الاستشراقية متكاملة حين جد علماء الغرب في البحث في علوم الشرق الإسلامي وتعلم لغاته وآدابه وعلومه بصورة منتظمة ومرتبة .

ولم يصبح الاستشراق علما قائما بذاته إلا على أثر تطبيق النظام الجامعي (١٨٠٤م)

---

(١) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ص١٢

(٢) المستشرقون نجيب العقيقي ج ٣ ص٩١٧

الذى أدرج اللغات السامية : العربية والفارسية والتركية والمغولية وغيرهـــا فى مناهج المعاهد العليـــا (١) .

على أن المستشرق الألمانى (بارت) يعود فيعترف بأن الاستشراق لـــم يسلك طريق العلم الصحيح خصوصا بالنسبة لما يتصل بالاسلام ورسالته إلا فـــى الآونة الأخيرة فيقول :

لم يتبع تطور الاستشراق من مراحله الأولى فى العصر الوسيط إلى مرحلـة التحول النهائى إلى علم قائم على النقد التاريخى ، طريقا مباشرة مستقيمة ، ولـم يتم للاشتغال بالشرق ومحمد وبالدين الذى نشره التحرر من طريقة البحـــث اللاهوتية المبنية على الدفع والمشاحنة إلا فى العصر الحديث وقد ريجيا (٢)

فهو وإن حقق فوائد علمية فى جلّ بحوثه إلا أنه حاد عن الأمانة فى بحثه للإسلام وما يزال للآن يقول فضيلة الإمام شيخ الأزهر : عبد الحليم محمود : وهـــو فى هذه الدائرة ، دائرة الإخراج العلمى ، قد أنجز عملا مجيدا ، نحن على رأس المقرين بحسنه ونفعه ولكن لم يوفق له فيما يتعلق بشأن الإسلام إلا أن يخلـــى المجال ، ولعله أدرك هذه الحقيقة فأخذ يتوسل بمختلف الوسائل إلى تجديـــد شبابه آخـذا بأشد أساليب التاريخ الحديثة عمقا ، جادا فى طلب أغرب الآراء وأبعدها عن المعقول (٣) .

ولذا يعتبر الاستشراق من ناحية بحثه واستفادته من علوم الشرق علما أما مــن ناحية آرائه فى الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام فقد حاد عن الحق وبعد عن مسلك العلـــم .

---

(١) المرجع السابق ج ٣ ص ٩١٧

(٢) الدراسات العربية والاسلامية فى الجامعات الألمانية ص ١٥

(٣) صور استشراقية : الكتاب الأول الدكتور / عبد الجليل عبده شلبى مقدمه لفضيلة الإمام المرحوم شيخ الأزهر / عبد الحليم محمود ص ٧ (السنة العاشرة ــ سلسلة البحوث الإسلامية) طبع مطابع الأزهر ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م .

الصله بين الاستشراق والتبشير

هناك ترابط قوى بين الاستشراق والتبشير لإحداث ثغرات لتشويه صورة الإسلام وزعزعة عقائد المسلمين .

والنظرة الواقعية لكليهما توضح لنا مدى الترابط والصلة الوثيقة بينهما وإن بدت حركة التبشير أولا وتلتها حركة الاستشراق إلا أن كليهما يحمل أثقالا من الافتراءات والادعاءات الظالمه ضد الاسلام ورسوله عليه الصلاة والسلام وضد حضارته ودعوته وذلك بتعاون تام وتنسيق مستمر وتخطيط منظم .

فالمستشرق يثير الشبهات فى الغالب بأسلوب يأخذ الطابع العلمى فى نظره بينما يقوم المبشر ببثها ونشرها فى الوسط المرسل إليه يقول أنور الجندى : وهذا يعمل الاستشراق على الكسب من الدراسات الاسلاميه من أجل تحصين وسائل التبشير وتجنب الثغرات ومعرفة الجوانب التى يستطيع أن يثير الشبهات منها فى وجه المسلمين (١) .

فالاستشراق تغذية للتبشير وإمداد له بما يعاونه فى مهمته ويقول الدكتور حسين الهراوى :

لما اشتدت وطأة المبشرين فى الإغواء والتضليل وغزو عقل المسلمين بمختلف الطرق عكفنا على دراسة شىء غير قليل من طرقهم ومؤلفاتهم وخرجنا بنتيجة رسخت فى عقيدتنا رسوخا قويا :

هى أن المستشرقين هم طلائع المبشرين وأنهم هم الذين يمهدون للمبشرين سبيل الطعن فى الاسلام وفى نبيه الكريم وأنهم هم الذين يزودونهم بأنواع شتى من الشعوذة العلمية باسم الاستنتاج التحليلى والنقد الفنى وحرية الفكر .

---

(١) الإسلام فى وجه التغريب مخططات الاستشراق والتبشير — بدون عدد للطبعة ص: ٢٦٦ مطابع الناشر العربى بالقاهرة — بدون تاريخ . بتصرف

والمباحث العلمية الحره (١)

ويوضح العلاقة بين المستشرقين والمبشرين وأثرها فى حياة المسلمين : أنور الجندى فيقول : ولقد كان للارتباط الجذرى بين التبشير والاستشراق أخذا وعطاء أثره فى أن كل ما أورده كتاب التغريب من العرب الذين صادتهم معاهد الغرب هو من نتاج التبشير والاستشراق ولقد كانت أهداف التبشير واردة فى أعمال المستشرقين فوجد إنتاج المستشرقين رواجا على أيدى المبشرين ومعاهدهم وإرسالياتهم وجامعاتهم على صورة مناهج ودراسات فى مجال الدراسات الإنسانية على النحو الذى ينتقص القيم الإسلامية فى التاريخ والعقيدة واللغة وفى مجال الشريعة والاقتصاد والتربية . (٢)

الفرق بين الاستشراق والتبشير

بالرغم من تكاتف المستشرقين والمبشرين ، فى خدمة دولهم ونشر أفكارهم ، وقيامهم بأدوار متكاملة لخدمة أهدافهم إلا أن هناك مجالات يختص بها كل منهم والفرق بينهما :

١ـ أن الاستشراق أخذ صورة " البحث " وادعى لبحثه الطابع الأكاديمى العلمى . بينما بقيت دعوة التبشير فى حدود مظاهر " العقلية العامة "

٢ـ كذلك فإن الاستشراق قد استخدم الكتاب والمقال فى المجالات العلميه ، وكرسى التدريس فى الجامعة ، والمناقشة فى المؤتمرات " العلمية " العامة .

أما التبشير فقد سلك طريق التعليم المدرسى فى دور الحضانة ورياض الأطفال والمراحل الابتدائية والثانوية للذكور والاناث على السواء ، كما سلك سبيل العمل " الخيرى " الظاهرى فى المستشفيات ، ودور الضيافة والملاجىء للكهار ، ودور اليتامى واللقطاء . وغير ذلك من أمور ظاهره فيها الرحمه

---

(١) المستشرقون والإسلام للدكتور حسين الهراوى ص٧٣ ط (١) مطبعة المنار بمصر ـ ١٣٥٥هـ = ١٩٣٦م .

(٢) الإسلام فى وجه التغريب ـ ص : ٢٦١

ولم يقصر التبشير فى استخدام " النشر والطباعة " وعمل " الصحافة " فى الوصول إلى غايته • (١) ونظرا الآن كثيرا من المبشرين انتقلوا إلى ميدان الاستشراق بعد قيامهم بالتبشير كما أن من المستشرقين من احترف التبشير فالفصل بينهما عسير بالنسبة للباحث •

مصادر تمويل الاستشراق

لتمويل الاستشراق مصادر كثيرة ومتنوعة منها :

١ـ الأفراد الذين يبذلون جهدهم فى جمع المال وتقديمه لمساعدة المستشرقين وكان ملوك وأمراء أوربا وأثرياء أمريكا يحبسون أوقافا ومنحا لهذا العمل ومن هؤلاء ـ " دكتور جيمسون " الذى وقف أموالا طائلة لطبع التوراة والإنجيل وتوزيعها مجانا على كل العالم • (٢)

وكان بعض ذوى الثراء من المستشرقين يهبون ثروتهم لخدمة أهدافهم العلمية • ومن هؤلاء الأمير كايتانى (٥) (١٨٦٩ ـ ١٩٢٦م) وكانت ثروته قبل حرب (١٩١٤ ـ ١٩١٩م) تقدر بخمسة ملايين ليرة ذهبية عدا ثروة الأميرة زوجته • ينفق منها على العلم كل سنة عشرة آلاف • (٣)

ومن هؤلاء المستشرقون إلياس جون جيب : (١٨٥٧ ـ ١٩٠١م•)

٢ـ المجموعات العربية ومن أشهرها لجنة جيب التذكارية ذلك أنه لما توفى المستشرق إلياس جون جيب أرادت والدته تخليد ذكراه بصورة دائمة الريع •

---

(١) المبشرون والمستشرقون فى موقفهم من الإسلام ـ الدكتور / محمد البهى ص: ٩٥٨ مطبعة وزارة الأوقاف ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣م • باختصار

(٢) المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى والإسلامى • إبراهيم خليل أحمد ص: ٦٩ بدون عدد للطبعة ـ مطبعة العالم العربى ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤م•

(٥) ولد فى روما وتخرج من جامعتها وتعلم سبع لغات منها الفارسية والعربية وتقلد سفارة إيطاليا فى واشنطن ـ المستشرقون نجيب العقيقى جـ١ ص ٣٧٢

(٣) المرجع السابق باختصار

فاقترح عليها المستشرق ادوارد جرانفيل براون وقف مبلغ من المال ينفق ريعه على نشر البحوث العلمية في تاريخ الترك والفرس والعرب وآدابهم وفلسفتهم وديانتهم وهي العلوم التي كان ابنها قد تخصص لها ويتعذر على طلاب الاستشراق إيجاد ناشر يتكلف طبع مصنفاتهم فيها لكساد سوقها . فأوقفت مبلغا طائلا من المال وتألفت لجنة من أعلام المستشرقين لإنفاق ريعه على المؤلفات التي تختارها للتحقيق والنشر من اللغات الشرقية وحكمها في غاية الدقة والأمانة (١)

٣ــ المؤسسات : ومنها :

أــ مؤسسة دى خويه (٥) (١٨٣٦ ــ ١٩٠٩م) (ومن مبراته أنه أنشأ مؤسسة لمساعدة طلاب اللغة العربية (٢)

بــ مؤسسات لنشر العلم :

قامت جميعا على وقف خيرى من ثرى أمريكى ، ومع أنها لاتقوم بأية دراسة مباشرة فى الاستشراق الا أنها تشجع المنظمات ، والجامعات ، والأفراد على البحث والاكتشاف والتأليف لنشر المعرفة بين الناس فى سبيل الإنسانية جمعاء .

ومن أشهرها : مؤسسة كارنيجى (١٩٠٢م) وقيمة منحتها ٣٥ مليونا من الدولارات والمؤسسة التذكارية التى أقامتها أرملة فيليب مكيلان (١٩٢٢) إحياء لذكرى زوجها ، وكان أحد خريجى جامعة ييل ، وقيمة منحتها مائة ألف دولار .

ومؤسسة روكفلر التى افتتحت بعض المعاهد فى أفريقيا والشرق الأوسط بـ ٣٤ ألف دولار لدراسة الفن الإسلامى (١٩٥٨م) وفى خلال الربع الثانى من عام ١٩٥٩ مبلغ ٢٤٠ ألف دولار لكلية الطب فى الجامعة الأمريكية ببيروت .

---

(١) المستشرقون ــ نجيب العقيقى جـ : ٢ص : ٤٦٢

(٥) دى خويه ولد فى دورن وعندما تخرج من جامعة " ليدن " بلقب دكتور فى الآداب والفلسفة التحق بالقسم العربى . (المرجع السابق ص٦٦٣)

(٢) المرجع السابق جـ : ٢ص: ٦٦٤

م ٢٧٣ لمكتبة جامعة الخرطوم ، وخمسة آلاف لوزارة خارجية تونس لاقتناء كتب عن العلاقات الدولية ، وعرضت على الجمهورية العربية المتحدة منحتين : الأولى لمعهد الإدارة المالى ، والثانية للجنة التخطيط القرى ، وقد رها ٢٧٥ ألف دولار ثم ٤٥ ألف دولار للطبعة الجديدة من دائرة المعارف الاسلاميـة (١٩٦٢م) ومؤسسة فورد وتخص بمعظم منحها المجلس الأمريكى وهو اتحاد يضم ٢٤ هيئة علمية للدراسات الانسانية (١٩١٩م) (١)

ولقد كان هذا البذل والعطاء أقوى عامل للمستشرقين دفعهم إلى زيادة البحث والاطلاع فى دراسة علوم الشرق ولغاته وآدابه ودياناته وثقافاته ويتحدث المستشرق الألمانى بارت : عن مجهودات الدولة الألمانية وعنايتها بهم أساتذة وتلاميذ ويترجم هذا الاهتمام والرعاية بالامتنان والشكر ، فيقول : ويعنى هذا أن الناشئة من المستشرقين يلقون ما يؤمن مستقبلهم من الناحية المالية نوعا ما . ونحن جميعا المتمتعين بهذه النظم نعترف شاكرين بأن المجتمع ممثلا فى الحكومات والمجالس النيابية يضع تحت تصرفنا الامكانيات اللازمه لاجراء بحوث الاستشراق وللحفاظ على نشاطنا التعليمى فى هذا المضمار . (٢)

هدف التبشير والاستشـراق :

أما وقد تحدثنا عن الصلة بين الاستشراق والتبشير ودور كل منهما فى القيام برسالته وتأدية ماوكل به . فعلينا أن نبين الهدف الذى من أجله قامت الصلة بينهما وذلك من تصريحات زعماء التبشير والاستشراق . فمن أقوال زعماء المبشرين والمستشرقين عن أهداف التبشير قول لورانس براون " إذا اتحد المسلمون فى امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطـرا .

---

(١) المستشرقون نجيب العقيقى ـ جـ ٣ ـ ص٩٨٨ .

الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية

(٢) ص ١٢

وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضا ،أما إذا ظلوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلاقوة ولاتأثير (١)

ويفصح القس"كالهون سيمون"عن رغبة التبشير فى تفريق المسلمين التى عبر عنها براون : لما قال إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السمر (كذا) — وتساعدهم على التخلص من السيطرة الأوروبية . ولذلك كان التبشير عاملا مهما فى كسر شوكة هذه الحركة ،ذلك لأن التبشير يعمل على إظهار الأوربيين فى نور جديد جذاب ،وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصرى القوة والتمركز اللذين هما فيها (٢) فهدف التبشير والاستشراق تمكين الأوربى المسيحى من البلاد الإسلامية ويتأتى ذلك فى نظرهم بتفتيت وحدة المسلمين لكسر شوكتهم وتوهين قوتهم للسيطرة عليهم . . ويوضح الدكتور محمد البهى : الهدف لكل منهما مع الإشارة إلى سلوك كل منهما المضاد للإسلام بقوله : إن التبشير والاستشراق كلاهما دعامة الاستعمار فى مصر والشرق الإسلامى فكلاهما دعوة إلى توهين القيم الإسلامية والغض من شأن اللغة العربية الفصحى وتقطيع أواصر القربى بين الشعوب الإسلامية الحاضرة والازدراء بها فى المجالات الدولية العالمية (٣) وبدى واضحا من أهدافهم توهين قيم الإسلام ،بالطعن فى القرآن الكريم بغية زعزعة الثقة فيه ، وبالتشكيك فى السنة النبوية ليترك — المسلمون العمل بما فيها ويستوردوا قوانين الغرب ،ثم يعد كل هذا محاولة تشويه صورة كبار الصحابة الذين لهم الدور الأول فى نشر الإسلام وحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية . وذلك حتى لايتخذهم المسلمون المثل الأعلى فى

---

(١) التبشير والاستعمار فى البلاد العربية . ص: ٣٧ — نقلا عن كتاب الإسلام والإرساليات ص: (٤٤ — ٤٨)

(٢) المرجع السابق ص: ٣٧

(٣) المبشرون والمستشرقون ص : ٧

كل حياتهم ، فينقطع المسلمون عن ماضيهم المشرق ،ويظلوا فى حاضرهم المخذى ومن أجل تحقيق هذه الأهداف يعقدون المؤتمرات ليتدارسوا فيها طريقة تنفيذ خططهم .

هل تغير أسلوب المستشرقين ؟

هذا السؤال يقتضى منا مزيدا من البحث والجهد لنصل إلى الإجابة الدقيقة القائمة على أساس من الواقع والحقيقة الواضحة ،ومحط الخلاف هو نظرة المستشرقين للإسلام ودعوته من الوجهة الإسلامية هل اعتراها التحول من الأحسن إلى الأسوأ أو العكس ؟

الواقع يؤكد أن أسلوب المستشرقين يتغير مع الزمن ويتحول من حاله القديم ،ولكن هذا التغير والتحول يتم لصالح الغرب وعلى حساب الاسلام .
يقول الأستاذ / أنور الجندى : وقد تطورت أساليب الاستشراق مع هذا الزمن ولكن هذا التطور لم يكن إلا محاولة للخداع وتغطية الغايات الحقيقية وتجنب أساليب المواجهة،غير أن هذه الأساليب وإن بدت تحمل طابع الاعتدال ــ أو الترفق فى المواجهة إلا أنها مازالت تستهدف إثارة الشبهات وبث السموم ،(١)
وأضيف إلى هذا أنه ربما كان هذا التطورناتجا عن أنعزال الكنيسة عن الحياة بعد فصلها عن الدولة فظهرت بعض الأشعة الإسلامية الواضحة لأهل الغرب فبدا البعض معتدلا انصياعا للحقيقة الواضحة واتسم البعض الآخر بالاعتدال للتخفى والتستر على أن الكثير منهم مازال على نهج من سبق ،وذلك للتأثر بالأحكام المسبقة التى صدرت ضد الإسلام من أخوانهم القدامى والتى أستمرت صورتها التقليدية فى مناهج الغرب ،حيث بقيت المراجع المجحفة بالإسلام كماهى بدون اشارة أحد منهم إلى أنها مشحونة بالتعصب وبعيدة عن الحيدة ويرى الدكتور محمد عبد الفتاح عليان فى كتابه القيم " أضواء على الاستشراق " ماملخصه : أنه يجب أن نفرق بين

---

(١) الاسلام فى وجه التغريب ــ ص: ٢٨٥

نوعين من الاستشراق أولهما " سلمي " يتمثل في إقدام الغربيين على أن ينهلوا من منابع الحضارة الشرقية وأعمها الحضارة الإسلامية ويميل إلى ترجيح بداية هذا النوع في القرن العاشر الميلادي ، وربما قبله .

أما النوع الثاني من الاستشراق فهو (عدواني) . وإن تمسح القائمون عليه بالعلم وتظاهروا بخدمة الحضارة الإنسانية ويرجح ظهور هذا النوع العدواني في أعقاب الحروب الصليبية (١) .

والواقع يؤكد أن الاستشراق بدأ فرديا وعدوانيا منذ بدأ انتشار الإسلام وظهور دعوته في كل مكان ، ففي القرن الثاني الهجري ، الثامن الميلادي ظهر يوحنا الدمشقي الذي تناول الإسلام على أنه فرقة مسيحية مارقة ، وقرر : أن المسلمين كلما طولبوا بأن يقدموا مايثبت رسالة نبيهم من الكتب المقدسة أصابهم الخزي واحتواهم الصمت (٢) ويذكر نجيب العقيقي ماترتب على اتصال المسلمين بنصارى دمشق من تفكير فلسفي ولاهوتي وقانوني أدى إلى نشوء المعتزلة والمرجئة ، وإخوان الصفا ، والقدرية ، وعلم الكلام . وتأثر الفقه بالقانونين اليوناني والروماني مبينا أن هذه الأفكار نقلت إلينا بواسطة يوحنا الدمشقي ، فيقول : وكان القديس يوحنا الدمشقي (٦٧٦ ـ ٧٤٩ م) ـ الذي خلف أباه على بيت المال في خلافة هشام ، ثم اعتزل في دير القديس سابا بفلسطين ـ خير معبر لنقل تلك الأفكار إلى العربية في مصنفاته : منبع العلم ، وفيه بحث عن الفرق والمذاهب ومحاورة مع مسلم ، وإرشاد النصارى في جدل المسلمين (٣) وبذا يعتبر القديس المذكور من أوائل المستشرقين المشككين في الإسلام والمثيرين للشبه في مجالس

---

(١) أضواء على الاستشراق ، الدكتور / محمد عبد الفتاح عليان ص ٩ ط ١ مطبعة الجبلاوي بالقاهرة ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م . بتصرف .

(٢) حضارة الاسلام . جوستاف . فون جرونيباوم ـ نقله إلى العربية الاستاذ / عبد العزيز جاويد راجعه الأستاذ / عبد الحميد العبادي ص ٣٢ ـ الطبعة الثالثة مطبعة دار مصر للطباعة ١٩٥٣م

(٣) المستشرقون جـ ١ ص ٧٨

النبوة والدعوة الاسلامية ٠

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ولم يتوقف عند البداية بل استمرت المسيرة على يد ولسان ابن النغريلة اليهودى ، وذلك فى القرن الرابع والخامس الهجرى / العاشر والحادى عشر الميلادى وابن النغريلة هذا مذكور عند ابن حزم باسم : اشموال بن يوسف اللاوى الكاتب المعروف بابن النغرال فى سنة أربع وأربعمائة (١) والذى يقول عنه (أى ابن حزم) : إنه ألف كتابا قصد فيه ،بزعمه ،إلى إبانة تناقض كلام الله عزوجل فى القرآن اغترارا بالله تعالى أولا ،ثم بملك ضعفه ثانيا ،واستخفافا بأهل الدين بده ،ثم بأهل الرياسة فى مجانة عودا (٢)

وسنورد إن شاء الله تعالى بعضا مما أثاره من شبهات فى موقعه من البحث لأهميته الكبرى ،فما زعمه هذا الرجل من افتراءات ردده كثير من المستشرقين على توالى العصور للآن ،ثم تكتمل حلقة العدوان ويلتقى خيط الكيد للإسلام بابن كمونه اليهودى ،ـ فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ـ صاحب كتاب : تنقيح الأبحاث للملل الثلاث (٣) (اليهودية ـ المسيحية ـ الإسلام) وهوكتاب يحمل فى صفحاته وبين طياته حقدا دفينا للقرآن الكريم ولسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ولانعجب بعد اطلاعنا على ماكتب من مفتريات إن رأينا ممن سار على دربه ودرب من سبقه ترديد الشبه بنصها أو مع تحويرها ،وسواء فى ذلك الملحدين أو الذميين ،فالهدف واحد مع تعدد السهام وتنوعها على حسب الزمان والمكان ، ومن واجبنا أن لانغفل عن مثل هذه الحقيقة ألا وهى : عدوانية الاستشراق منذ بدئه للآن ٠

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ ١ ص : ١٢١

(٢) الرد على ابن النغريلة اليهودى ورسائل أخرى لابن حزم الأندلسى تحقيق الدكتور/ احسان عباس ص: ٤٦ بدون عدد للطبعة ٠/ مطبعة المدنى ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م٠

(٣) لسعد بن منصور بن كمونه اليهودى : تحقيق الدكتور/ عبد العظيم إبراهيم المطعنى بدون عدد للطبعة ـ المطبعة الفنية بالقاهرة ١٤٠٨هـ

وما يسميه البعض سلميا أجدر أن يطلق عليه مهادنا أو مستفيدا كما حدث في حالة البعثات الغربية إلى بلاد الأندلس . ولقد قيل في سبب مهاجمة الكثير منهم للإسلام في الماضي هو شعورهم بتقدم المسلمين روحيا وماديا وانتصارهم في ميادين الحياة ، أي احساسهم بعقدة النقص ، وإن كان هذا من وجهة نظرنا داعيا إلى البحث في هذا الدين والإيمان به في صدق ويقين ولنا أن نتساءل : هل من سبب لمهاجمتهم للإسلام الآن بعد أربعة عشر قرنا من الزمان حتى في بعض الكتب الحديثة كما نعلم أثناء البحث ؟

طلائع المستشرقين

للحركة الاستشراقية جذور عميقة ، وسيقان طويلة متفرعة الأغصان ، وهي ربيبة التبشير أنبثقت منه ، وقد حصلت العلم من مراكز الاشعاع الإسلامي ، وقدمت لشعوبها مايحتاجون إليه من معارف ، ثم حورت ماتستطيع تحويره ، وصورته للمسلمين لتخدعهم به ، ولتقدمه زاداً للمبشرين لتسهيل مهمتهم التبشيرية وأصحاب هذه الحركة من قديم الزمان لهم دورهم في المجتمع الغربي ، وسنكتفي بذكر نماذج لهذه الطلائع من كتاب " المستشرقون " (١) مع ذكر بعض النشاطات التي قاموا بها ومن أراد المزيد من المعرفه عن هؤلاء فعليه أن يعود إلى المرجع المذكور .

(١) جربردى أورالياك (٩٣٨ ـ ١٠٠٣م) من الرهبانية الهندكتية قصد الأندلس وأخذ على أساتذتها في مدارس ريبول وأشبيليه وقرطبه ، حتى أصبح أوسع علماء عصره ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك ولما ارتحل إلى رومه سما على أقرانه وانتخب حبرا أعظم باسم سلفستر الثاني (٩٩٩ ـ ١٠٠٣م) فكان أول بابا فرنسي (٢))

---

(١) نجيب العقيقي جـ ١ (الفصل الخامس) من صـ ١٢٠ : ١٣٧

(٢) المرجع السابق ص١٢٠ باختصار

(٢) بطرس المكرم (١٠٩٤ ـ ١١٥٦م) راهب فرنسي عين رئيسا لدير كلوني عام ١١٢٣م، وهذا الدير شيد بأسبانيا، وانطلق منه ماسمى بالحركة الإصلاحية التي عمت النصرانية الأوربيه ـ وكان الراهب المذكور فيمن قصد الأندلس ونهل من علومها، فلما رجع إلى ديره نظمه وطفق يصنف الكتب في الرد على علماء المسلمين وشجب اليهود (١) ويتضح لنا مدى تأثير الإسلام على أوربا، وماله من أيد بيضاء على حضارتها وتقدمها .

(٣) روبرت أوف تشستر اشتهر من عام (١١٤١ ـ ١١٤٨م) وهو من الرهبان الذين قصدوا الأندلس، وتثقف بالثقافة العربية ولاسيما بالعلوم الرياضية والفلكية منها، وعين اسقفا على بنبليونه (*) (١١٤٣م)، واختير مستشارا لصقلية، واشترك مع زميله هرمان الدلماطي في ترجمة العلوم كما جاء في خطاب بطرس المكرم الى القديس برنار : قابلت روبرت وصديقه هرمان الدلماطي عام ١١٤١م ـ بالقرب من الابرو في إسبانيا، وقد صرفتهما عن علم الفلك الى ترجمة القرآن (*) باللاتينيه فأتماها عام ١١٤٣م ـ وكانت أول ترجمة للقرآن استعانا فيها بأثنين من العرب، ونشرها بيبلياندر في ثلاثة أجزاء (بال ١٥٤٣) وأنجز ترجمته الثانية الأب ماركوس الطيطلي بتوجيه من الاسقف رودريك دي وادا في القرن ـ الثالث عشر، ونشر الساندرو باجانيني أول طبعة للنص العربي (البندقيه ١٥٣٠) (٢)

(٤) بونا فنتورا (١٢٢١ ـ ١٢٧٤م) ضمن الرهبنة الفرنسيسكانية، وصار رئيسا عاما لها، وقد قرأ الترجمات العربية للفلسفة وصنف فيها كتبا عد بها من كبار ـ الفلاسفة وأئمة الكنيسة . (٣)

---

(١) المرجع السابق ص١٢٢، ١٢٣ بتصرف

(*) تقع بنبلونه على بعد ثلثمائة وخمسين كيلومتر من مدريد، على الضفة اليمنى لأحد أفرع نهر ايبرو، وهي مدينه جميلة ذات شوارع فسيحه مستقيمه وميادين شاسعه

(*) ذكرت سابقا في موضوع "الآراء في بداية الاستشراق" ـ ماجاء على لسان بارت : أن الذي أشار بترجمة القرآن الأب (بيتروس) وجاء في خطاب (بطرس المكرم) أنه هو الذي وجه روبرت وهرمان إلى هذا العمل ولما كان كلا من (بيتروس) و (بطرس المكرم) رئيسا لدير كلوني بالتوالي وتمت ترجمة القرآن إلى اللاتينيه عام ١١٤٣م فيحتمل أن كلا منهما ألقى توجيها بترجمته لمن قاموا بالترجمة .

(٢) المرجع السابق ص١٢٣، ١٢٤ بتصرف . (٣) المرجع السابق ص١٣٠ بتصرف

(٧) رايموند ومارتيني (١٢٣٠ــ ١٢٨٤م) وهــو : من الرهبانية الدومينكيـة وفي طليعة العشرين راهبا الذين أتقنوا العربية منهم ،وعلمها في تونس وكان يحسن العبرية والكلدانية واليونانيــه وقد تبحر في القرآن وحفظ صحيحي مسلم والبخاري آثاره : خنجــر الإيمان ،وهو كتاب في الرد على المسلمين واليهود ،اعتمــد فيه على حجج الغزالي وغيره ممن تصدوا لمجادلة المشائيين ،وقد شاع أصلــه العربي وترجمته اللاتينيه ،وظل طوال قرون نموذجا رفيعا للجدل الديني بيــن فقهاء المسيحية والإسلام واليهودية (باريس ١٦٥١ م) (١)

ومن الملاحظة الدقيقة استنتج :

أــ أن طلائع المستشرقين كانوا في البداية كمجموعة ظهرت على مسرح التاريخ فــي القرن العاشر الميلادي .

بــ أن طلائع المستشرقين كانوا في أول الأمر من الرهبان وهو ما يؤكد انبثــاق الاستشراق من التبشير ،ويبين العلاقة بينهما .

جــ قدم الحركة الاستشراقيه وامتداد جذورهــا ويمكننا أن نقول بوجودهــا قبل تسميتهــا شأنها كمولود خرج للحياة ثم لقب بعد فترة .

د ــ نشاط رجال الدين الغربي والمسيحي حين بهرهم نور الإسلام بثقافتــه وحضارته وماقاموا به من جهد في اللحاق به في التقدم ونشل أممهم مــن الانحطاط والتردي في أودية الظلام بعد أن أكتسبوا خبرة من الإسلام .

دوافــع الاستشراق

إن دوافع المستشرقين ليست واحدة ،وإنما هي كثيرة ومختلفة ومتنوعــة ، ومتطورة ،على حسب الزمان والمكان ،وبالبحث في تاريخ الاستشراق نجــد أن هناك ثلاثا من الدوافع الأساسية .

---

(١) المرجع السابق ص١٣١

أ ــ الدافــع الدينى : عقيدة الإسلام واضحة لاغموض فيها ، بسيطة لاتعقيـــد فيها ، فالذى يعتنقها يؤمن بالله الواحد الأحد الفرد الصمد ، وهــو بهذا يتحرر من الخضوع لغيره ، وتعاليم الإسلام متجاوبة مع فطرة الانســان السوى ، ورسالته قائمة على التسامح ، مما جعل أمما بأكملها تعتنق الإسلام ــ طواعية يقول جيبون :

إنه مامن شك فى أن الملايين الذين انضووا تحت لواء هذه الرسالةقد اجتذبتهم تعاليمها السمحة فاعتنقوا هذا الدين عن رغبة لاعن رهبة وكان مجرد اعــلان الشهادتين ، بوحدانية الله ورسالة محمد كافيا ليحل أسار الأسير ويمنــح الحرية للرقيق فيصبح كل منهما ندا وأخا لسائر المسلمين [1] وكان لتفــوق المسلمين الأولين أبلغ الأثر فى دخول كثير من الأمم فى الإسلام أفواجا فقــد فقد أعجبوا بحضارة المسلمين وقوتهم العسكرية ، والعلمية التى كانت مضــرب الأمثال لذا تحرك المبشرون والمستشرقون لعرقلة الإسلام ليوقفوا تيار التحــول من المسيحية إلى الاسلام ، ولم يقفوا عند هذا الحد بل تطاولوا على تعالــيم الإسلام ومؤلفاته فى محاولة دائبة ومستمرة لتشكيك المسلمين فى دينهم وزعزعتهــم فى قيمهم العليا .

ب ــ الدافع الاستعمارى : الفكرة الاستعمارية دائما تضع فى حسبانها السيطــرة على عقول فريستها ، ليكونوا أسلس قيادة ، لذا كان رواد الدول الغربيــة فى الشرق جلّهم من المستشرقين ، حيث يقومون بدراسة أحوال الشعوب الشرقية وتقاليدهم ، ودرجة تدينهم ثم يرسلون هذه المعلومات لساسة الغرب ليسيروا فى سيطرتهم على ضوء هذه المعلومات ، كما أن لهم دورا هاما فى دراســة الحركات الإسلامية التى تنهاهض الاستعمار ، وتسبب الصداع لدوله ، حتى

---

(١) الغرب والشرق من الحروب الصليبية إلى حرب السويس ص١٩

تقوم حكومات المستشرقين باتخاذ الوسائل اللازمة لعرقلتها ، وللمستشرقين بالإضافة إلى هذا دور بارز فى بث أفكار الغرب وإحاطتها بهالة من التقديس بجعلها تحين أهل الإسلام مثلا أعلى ويقلدوها ، ويطبقوها فى حياتهم ، ولعل كهذا من شأنه أن يحمل على هيمنة الغرب على بلاد الإسلام ومن شأنه أيضا ـ كما يقول ـ الدكتور / على محمد جريشة وزميله ـ : أن يفتح الباب للإستسلام أمام الاستعمار وثقافته وفكره [(١)] فينبغى للمسلمين فى كل بقعة من الأرض أن يفطنوا لأساليب الغزاة ، وأن يستمدوا أفكارهم من القرآن الكريم ، وسنة خاتم النبيين " محمد صلى الله عليه وسلم " وأن يعودوا إلى سيرة السلف الصالح ففى هذا مايبدل ضعفهم إلى قوة ، وينير الطريق أمامهم .

جـ ـ الدافع العلمى :

فقد تبين لنا فى الحديث عن طلائع المستشرقين أثر الثقافة الاسلامية فى الرهبان ، الذين طلبوا العلم من مراكز اشعاعه من الأندلس ، ثم ذهبوا به الى الأديرة ، كما حدث فى دير كلونى ، الذى تحول من حال سىء إلى حال حسن بواسطة ما جدّ عليه من تعاليم ، فانبعثت منه نهضة علمية عمت بلاد الغرب ولقد جاء نفر من المستشرقين إلى الشرق الإسلامى رغبة فى الاطلاع على ثقافات أمه ، وللاستفادة من علومه وللبحث عن الحقيقة ، وقد آن الأوان أن يعود فجر الإسلام فالإنسانية ، مزقتها الأهواء ، والشهوات والأنانية ، ولا دواء لها إلا الإسلام فهو العلاج الشافى ، وعلى علماء الاسلام أن يقوموا بواجبهم ويقتحموا المخاطر لينقذوا الإنسانية من آلامها .

وبعد هذا الايجاز ألفت النظر إلى أن هذه البواعث قد تجتمع لو تكون مرادة كلها فى وقت واحد ، وقد ينضم إليها أغراض أخرى اقتصادية ، وتجارية وشخصية أحيانا ، وربما يشتد التركيز على واحد منها فى عصر دون غيره ، على

---

(١) أساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامى للدكتور/ على محمد جريشة ، محمد شريف الزيبق ص٢٢ ط ٢ / دار النصر للطباعة ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م .

حسب ما تقضيه الخطة الاستعمارية ، فمفكروا الغرب في مواجهتهم للشرق الاسلامي يتطورون بما يتلائم ومصالحهم وما يحقق أهداف أممهم .

طوائف المستشرقين

١ـ طائفة للمنصفين :

أ ـ وهم مجموعة من الباحثين في الأديان والمذاهب عموما درسوا الإسلام بغية معرفة الحقيقة وبعد الدراسة والمقارنة الدقيقة آمنوا برسالة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدق واقتناع وقد ذكر نجيب العقيقي بعضهم (١) ـ

ومنهم " اتيين دينه " ، " وميشو بيللر " ، " وليوبولد فايس " وهؤلاء تسموا باسماء اسلامية " ولاتيين دينه " مواقف خالدة بالنسبة للاسلام عبر عنها في مؤلفاته التي أهمها :أ ـ أشعة خاصة بنور الإسلام " (٢) وهو رسالة قصيرة حوت دفاعا عن الإسلام في أكثر من جهة ومن قوله فيها : الوسيلة هي إحدى كبريات المسائل التي فاق بها الإسلام جميع الأديان إذ ليس بين الله وعبده وسيط وليس في الإسلام قساوسة ولا رهبان (٣) وقوله : انهم يفخرون بالعالم " باستير " الفرنسي ويجعلونه درة الحضارة الحديثة ولكن فاتهم أن " جابرا والرازى " لايقلان عنه في مرتبة العلماء والمفكرين ، وهما المؤسسان الحقيقيان لعلم الكيمياء بفضل ماكشفاه من طريق التقطير ومن الكحول ، ومن حمض النيتريك ، وحمض الكبريتيك (٤)

ب ـ " وكتاب محمد رسول الله " والذى شاركه في تأليفه الأستاذ / سليمان بن ابراهيم وهو مترجم بهذا العنوان بواسطة المرحوم الدكتور / عبد الحليم محمود ، والدكتور / محمد عبد الحليم محمود

جـ ـ " وكتاب الشرق كما يراه الغرب " " ترجمة الأستاذ / صرفاخورى

و ميشيو بيللـر من أعلام المتضلعين في تاريخ المغرب الاقصى واجتماعه وعلومه . وناشر الكتب والأبحاث المفيدة عنه وكان مديرا للبعثة الفرنسية بطنجه وأسلم وتزوج من مغربية (٥) .

---

(١) المستشرقون جـ ٣ ص : ١١٦٢

(٢) ترجمة راشد رستم ط ٢ (العدد ١٧ ـ سلسلة الثقافة الاسلامية) المطبعة الكماليه بالقاهرة " ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠م " (٣) المرجع السابق ص: ٢٣

(٤) المرجع السابق ص: ١٢

(٥) المستشرقون للعقيقي جـ ١ ص : ٢٢٣

أما ليوبولد فايس :

فهو رجل نمسوى اعتنق الإسلام وتسمى باسم " محمد أسد " ومن مؤلفاته ، (الاسلام على مفترق الطرق) ترجمة الدكتور/ عمر فروخ ومن المستشرقات المسلمات (الدكتورة وارزولا يان الألمانية ، وقد تسمت بسامية الأزهرية) (١)

ب ـ مجموعة أخرى درست الإسلام وصنفت الكتب فى علومه دون تعمد الطعن والتشويه إلا أنهم سقطوا فى بعض الهفوات ، لجهلهم بالإسلام ولغته ، وينبغى على المسلم أن يكون كيسا فلا يضع أمثال هؤلاء فى صف المدافعين عن الإسلام على طول الطريق لأن هذا خطأ له أثر سيء على دعوة الإسلام وقع فيه الكثيرون من المترجمين لكتابات المستشرقين، حيث يرفعون المستشرق فى مقدمة الترجمة إلى عنان السماء وينزهونه عن مجرد الخطأ المادى وقد يكون فى فصول الكتاب ومحتوياته أخطاء كثيرة تضر بالدعوة لو أن القارئ لم يكن على علم تام بتعاليم الإسلام ، ويلفت النظر إلى هذا الأمر الدكتور/ محمد شامه فيقول : لاينبغى أن ينخدع المسلمون ، اذا قرأوا جملة إنصاف من كاتب ـ فيمدحوه ـ بناء على هذه الجملة من المشيدين بالإسلام والمنصفين له لأن ذلك يضر بالدعوة الاسلامية حيث تؤثر أفكاره السلبية ـ وما أكثرها ـ على من يقرأون له بعد سماعهم الحكم عليه بأنه من المنصفين للاسلام (٢) وكمثال لهذا الصنف الاستشراقى اميل درمنغم ـ صاحب كتاب " حياة محمد " وكمثال ـ للمصنف الذى وقع فى بعض الأخطاء بدون قصد (توماس أرنولد) صاحب كتاب الدعوة إلى الإسلام (وتوماس كارليل) صاحب كتاب الأبطال .

٢ ـ طائفة المتعصبين :

أ ـ المتعصبون للغرب : وهم يسلبون من المسلمين ودينهم كل ميزة ويجردونهم من كل سبق علمى وتقدم إنسانى ولو شهد الواقع التاريخى به وينسبون ماسجله السبق الإسلامى من علم إلى اليونان وغيرهم من الأمم القديمة ومن هؤلاء الذين يخدمون الغرب بأفكارهم لويس ماسينيون الذى حمل لواء الدعوة لاستبدال الحروف العربية باللاتينية واهتم بنشر سموم الحلاج ، والمذاهب الباطنية وماتفرع منها

---

(١) المرجع السابق ج ٣ ص ١١٦٢

(٢) الإسلام فى الفكر الاوربى مقدمة للدكتور/ بشارة ص ٥٨ ٩ ط ١ / مطبعة دار التراث العربى ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

وجهود الإسلام من كل سبق على والفريد جيوم ، وهاملتون جب صاحب كتـــاب (وجهة الاسلام) مع آخرين وقائد حركة التغريب ، وسنوك هور جرونجـــه .

ب ـ المتعصبون ضد الأديان :

وأغلبهم من الدول الالحادية الواقعة تحت الستار الحديدي الروســـى وخطرهؤلاء على كل الأديان ظاهر وواضح .. ، (وبند لى جوزى) المستشـــرق اليهودى الماركسى صورة حية للإلحاد والذى يقول : الدكتور عبد الفتاح عليان عن كتابه (من تاريخ الحركات الفكرية فى الإسلام) (يمكن اعتباره أحد المصادر الأساسية للمدرسة المادية فى فلسفة أحداث التاريخ الإسلامى) (١)

جـ ـ المتعصبون ضد الاسلام : وجلهم من الرهبان الذين انتقلوا إلى الاستشراق واتخذوه حرفة للارتزاق أو مجالا للقدح فى الإسلام ومنهم صمويل زويمر ، دنلوب .

٣ ـ طائفة الصهاينة :

وهم من الخطرين على الإسلام لنشأتهم العنصرية المتأصلة فى دمائهم ولما يملكون من مال ، ولما هو مهيء لهم من وسائل عالمية فاليهود فى أيديهم مفاتيح الدول الكبرى بما لهم من سيطرة على الصحافة ودور النشر الغربيـــة وبما لديهم من أموال يقول الدكتور محمد عبد الفتاح عليان : ولاتقتصر وسائلهـــم على ذلك بل يملكون وسائل ترشيح الأعمال الفكرية لأكبر الجوائز العالميـــة مثل جائزة " نوبل " بالسويد وجائزة " بولتايزر " بالولايات المتحدة الأمريكيـة لأن نوبل نفسه يهودى ولجان التحكيم فى الولايات المتحدة الأمريكية لاتخلوا مـن اليهود (٢) والمستشرقون من أبناء صهيون لهم طابع ظاهر ودور محسوس تبـــدو علامته فى التشكيك فى الوحى والنبوة ومحاولة تصوير الأنبياء والرسل على أنهم أبطال ومصلحون أستوعبوا فكر أمتهم ، واستطاعوا صياغة التراث القديم فى صور جديدة (٣) وغير ذلك من بث فكرة اقتباس الاسلام من غيره من الأديان ومن المستشرقين اليهود : مرجليوث ، واسرائيل ولفنسون ، وليفى بريل ، وجولد تسيهر ، وبرنارد لويس .

---

(١) أضواء على الاستشراق ص ٩ (٢) المرجع السابق ص ٥٢ بتصرف

(٣) المؤامره على الاسلام . أنور الجندى ص ١٨٤ ط ٢ / طبع دار الملوم للطباعة بالقاهرة : ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م . بتصرف

(الباب الأول)

حياة الرسول " صلى الله عليه وسلم " والمستشرقون

ويشتمل هذا الباب على فصلين :ـ

١ ـ الفصل الأول :ـ

النبي قبل البعثة وأفكار المستشرقين .

٢ ـ الفصل الثاني :ـ

مطاعن المستشرقين حول زواج النبي " صلى الله عليه وسلم " .

" الفصل الأول "

النبي قبل البعثة وأفكار المستشرقين

هيأ الله تبارك وتعالى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم تربية خاصة ،فلقد نشأ سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ببلاد الحجاز المترامية الأطراف وبادره اليتم فتحمل مشقة الحياة وأعباءها منذ الصغر ،ولشرف نشأته وطهارة سيرته شهد له أهل مكة بالصدق والأمانة والعفة،وعز على المستشرقين أن تمر حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في أي مرحلة من مراحلها صفحة نقية ،خالية من كل مايشين ،فاتجهوا إلى المراحل الأولى من نشأته صلى الله عليه وسلم فلم يجدوا ثلمة يصوبون منها سهامهم ،وإنما وجدوا الشهادة بمكانته الرفيعة تنطق بها ألسنة أعدائه من المشركين فأغضوا جفونهم ،وأطلقوا ألسنتهم بالقول بأن حياة محمد صلى الله عليه وسلم لم تظهر للعيان ،وأن مادونه عنه مجرد قصص وأخبار لأصحابه وأتباعه مع العلم بأن آثار حياته منحوت على صخور مكة ،ومعالمها بادية في دروبها ،تشهد بمكان ولادته ،ورضاعه ،وتربيته ورعيه للغنم ،وماجرى له من شق صدره الشريف ولقد كانت عصمة الله له صلى الله عليه وسلم واضحة ،في كل حياته وترادفت الأخبار بما له من شأن عظيم ولاغرابة في هذا فقد عاش في ظل التربية الربانية (1)

(واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم)

ولذا جعلت هذا الفصل لإيجاز بعض النقاط عن نشأته ردا بذلك على أفكار القوم .

---

(1) سورة الطور الآية ٤٨

المبحث الأول

أراجيف المستشرقين حول تربية النبى صلى الله عليه وسلم

سأذكر فى هذا البحث صورة دقيقة باختصار ما أمكن لفترة من حياة سيد نـا رسول الله صلى الله عليه وسلم تشع بنور مولده ، وصباه ، وشبابه خصوصا وأن الباحثين غير المسلمين فى الغالب يدعون أن حياته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة كانت خافية عليهم بالرغم من وضوحها كالشمس فى رابعة النهار ، والسبب فى هذا الإدعاء مايعلمونه من أنه صلى الله عليه وسلم كان نمطا فريدا ، وسلوكا عجيبا فى بيئته التى نشأ فيها ، مما يدعو إلى النظر والتأمل لهذا الإنسان الكامل ، ثم الاعتقاد الجازم بصدق نبوته وصحة دعوته ، وأن الحق تبارك وتعالى أوحى إليه ، واختاره خاتما لرسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين · ولقد تناول المستشرقون حياة النبى صلى الله عليه وسلم بأسلوب مغاير للحقيقة ، فادعوا خفائها ، ليسدلوا الستار حول الهداية الربانية ، ويحجبوا النور عن الإنسانية ، حتى يسير المسلمون فى ركبهم ، بدلا من أن يلتمسوا القدوة الحسنة فى منهاج النبى صلى الله عليه وسلم ·

يقول ديمومبين : ونحن لانعرف بدقة ولن نعرف حياة الرسول التى قضاها قبل البعثة كتاجر قرشى من أوساط الناس ، وكيف أنه شعر بأنه الشخص الذى قدر له أن يحمل رسالة العرب (*) التى هى كلمة الله الذى بدأ الناس يلهجون باسمه الأعظم (١) ويقول ول ديورانت : ولانكاد نعرف عن شباب محمد إلا القليل ، وإن كان مايروى عنه من القصص قد ملأ عشرة آلاف مجلد (٢) ويساير " فيليب حتى من سبقه

(*) أنه صلى الله عليه وسلم حمل رسالة الله إلى الناس كافة لا للعرب وحدهم كما يدعى المستشرق ·

(١) النظم الاسلامية / موريس ع : ديمومبين نقله عن الفرنسية صالح الشماع وفيصل السامر ص١٩ مترجم عن الطبعة الثالثة وهى الصادرة عام ١٩٤٦م · بدون عدد للطبعة مطبعة الزاهراء ببغداد ١٩٥٢م ·

(٢) قصة الحضارة تأليف ول ديورانت " الجزء الثانى من المجلد الرابع " ترجمة محمد بدران ص ٢٢ ط ٣ مطابع الدجوى بالقاهرة ١٩٧٤م ·

في هذا الرأي بأسلوب متناقض فيقول : ومع أن الحقائق التاريخية المتعلقة بمحمد " صلى الله عليه وسلم " معروفة فإن حياة محمد الرجل — قبل البعثة — يخفى علينا منها شيء كثير (١).

دفع هذه الاراجيف

وأرد على هذا التمويه وأمثاله بذكر لمحات مختصرة لحياة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ماحددت في البحث ، فحياته صلى الله عليه وسلم كانت ظاهرة للعيان منذ البدء إلى أن لحق بالرفيق الأعلى :

١ — قبل المولد : أشارت الدلائل الواضحة بمولده صلى الله عليه وسلم وسنكتفي هنا بذكر دلالة واحدة عنه صلى الله عليه وسلم :

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد المقرى ثنا عثمان بن سعيد الدارى قال قلت لأبي اليمان حدثك أبو بكر (٥) ابن مريم الغساني عن سعيد بن سويد عن العرياض بن ساريه السلمي قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إني عند الله في أول الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بتأويل ذلك دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى قومه ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها

---

١ — الإسلام منهج حياة تأليف فيليب حتى ترجمة الدكتور عمر فروخ ص١٢ ط ١ مطبعة دار العلم للملايين ببيروت ١٩٧٢م .

(٥) وأبو بكر بن أبي مريم : هو ابن عبد الله بن أبي مريم الغساني الشامي قال أبو زرعة ضعيف وقال الدارقطني متروك " تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج١٢ ص٣٠ ط ١ مطبعة مجلس دائرة المعارف بالهند — حيدر آباد الدكن ١٣٢٧هـ "

نورا أضاءت له قصور الشام . قال نعم (١) ولقد ناجى إبراهيم الخليل وولده اسماعيل عليهما السلام المولى عز وجل راجين منه بعثة نبي من ولد عدنان وأخبرنا بهذا القرآن الكريم (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) (٢) وبشر به عيسى عليه السلام (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) (٣) ويقول صاحب الفتح الرباني : ويستفاد من هذا أن من بينهما من الأنبياء بشروا به أيضا . أما في الملأ الأعلى فقد كان أمره مشهورا مذكورا معلوما من قبل خلق آدم عليه السلام . (٤)

٢ـ قصة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم :

شاءت العناية الربانية أن يتزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب بعد رفضه لغيرها ولما حملت منه لم تشعر بألم الحمل أو ثقله . فعن "ابن عايذ" أنه صلى الله عليه وسلم بقى في بطن أمه تسعة أشهر كُمَّلاً لاتشكو وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا مايعرض لذوات الحمل من النساء (٥) . فكانت أمه صلى الله عليه وسلم تجد في نفسها من حمله خلاف ماعند غيرها من النسوة الحوامل . فتقول : مارأيت من حمل

---

(١) المستدرك على الصحيحين في الحديث للامام أبو عبد الله محمد النيسابوري المعروف بالحاكم جـ ٢ ص ٦٠٠ بدون عدد للطبعة مطابع النصر الحديثة بالرياض بدون تاريخ والحديث خرجه الحاكم وصححه وأقره الذهبي " الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع مختصر شرحه بلوغ الاماني من أسرار الفتح الرباني تأليف أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي جـ ٢٠ ص ١٨١ ط ١ مطبعة الإخوان المسلمين ١٣٧٥هـ . (٢) سورة البقرة الآية ١٢٩ (٣) سورة الصف الآية ٦

(٤) الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ... جـ ٢٠ ص ١٨١ "كتاب السيرة النبوية باب ما جاء في بعض فضائله صلى الله عليه وسلم "

(٥) إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المعروفة بالسيرة الحلبية للإمام على ابن برهان الدين الحلبي الشافعي جـ ١ ص ٥٦ ط ٣ مطبعة الأزهر بمصر ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م .

هو أخف منه ولا أعظم بركة منه[1] .

٣ــ ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم :ــ

تعددت الأقوال فى يوم مولده ، فمن محمد بن اسحاق قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، عام الفيل[2] وقيل غير ذلك ، وفى بحث مفيد لمحمود باشا الفلكى ، أجده يقـــرر بعد رجوعه إلى عدة مراجع فى سيرته صلى الله عليه وسلم وقيامه بعملية حسابيـــة أن النبى محمدا صلى الله عليه وسلم قد ولد يوم الإثنين ٩ ربيع الأول الموافـــق ٢٠ أبريل سنة ٥٧١ ميلادية[3] . وقد ولد عند وجود المشترى وهو كوكب نير سعيـد فقد كانت ولادته صلى الله عليه وسلم عند وجود السعد الأكبر والنجم الأنور ، فتضاعف الكون نورا وازداد إشراقا بمنظرته البهية ، ولما ولد سيد البشرية وقـــع على كفيه وركبتيه شاخصا ببصره إلى السماء معتمدا على القوة الإلهية شاكرا لرب البرية قالت آمنة : لقد رأيت ليلة وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم نورا أضاء له قصور الشام حتى رأيتهـــا .

٤ــ رضاعه صلى الله عليه وسلم :ــ

كانت عادة العرب أن يبعثوا أولادهم الرضع إلى المراضع بالبادية وذلـك

---

(١) السيره الحلبية

(١) المرجع السابق (٢) السيرة النبويه لابن هشام " أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى المتوفى سنة ٢١٣ هـ " تحقيق / طه عبد الرؤوف سعد جـ ١ ص ١٤٦ بدون عدد للطبعة ، طبع شركة الطباعة الفنية المتحده بالقاهره ١٣٩١هـ ــ ١٩٧١م .

(٣) التقويم العربى قبل الإسلام وتاريخ ميلاد الرسول وهجرته صلى الله عليه وسلم للمرحوم محمود باشا الفلكى ترجمة حفيد المؤلف محمود صالح الفلكى ص ٤٤ " الكتاب الثالث سلسلة مجمع البحوث الاسلامية " ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م .

ليكتسب الطفل صفات أهل البادية من الشجاعة والشهامة والمروءة والكرم ، بالإضافة إلى مايعود عليه من صحة وعافية ، وقوة بنية نتيجة لجو البادية النقى ، وهوائهـا الندى ، وكانت نساء البادية يأتين إلى مكة كل عام مرة أو مرتين باحثات عن الأطفال الرضع .. فجاءت نسوة من بنى سعد بن بكر يطلبن أطفالا يرضعنهم فكان الرضيع المحمود من نصيب حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية (٥) ، واسم زوجها أبو كبشة (٥) وهو الذى كانت قريش تنسب له الرسول صلى الله عليه وسلم حينما يريدون الاستهزاء به فيقولون هذا ابن أبى كبشة يكلم من السماء وتصف حليمه طريقة أخذها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى مبدأ الأمر من بيت أمه بمكة قائلة : فذهبت إليـه فاذا به مدرج فى ثوب صوف أبيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حرير أخضر أنه على قفاه يغط فأشفقت أن أوقظه من نومه لحسنه وجماله ، فدنوت رويدا فوضعت يدى على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه لينظر إلى فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وأنا أنظر فقبلته بين عينيه وأعطيته ثديى الأيمن فأقبل عليه بما شاء من لبن فحولته إلى الأيسر فأبى وكانت تلك الصفة حاله بعد (١) . وفى الطريق إلى بنى سعد برسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الدلائل كلها تشير إلى مالهذا الغلام من شأن حيث ظهرت بركاته فسبقت مرضعته بدابتها الركب وساروا جميعا خلفه صلى الله عليه وسلم فى الإياب بعد أن كانت دابة حليمة أواخر الركب فى الذهاب إلى مكة وما إن وصلت به إلى بيتها حتى عم الخير كل البيت وسرى فى حوائطه وبدى على مواشية وأغنامه ما ألفت نظر زوجها بل كل جيرانها

---

(٥) أبو ذؤيب : اسمه عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام " السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ ص ١٤٨ "

(٥) أبو كبشة : اسمه الحارث بن عبد العزى بن رفاعة " المرجع السابق ص ١٤٩ "

(١) شرح الإمام العلامة محمد بن عبد الباقى الزرقانى المالكى على المواهب اللدنيه للعلامة القسطلانى جـ ١ ص ١٤٣ ط ١ المطبعة الازهرية المصرية ١٣٢٥ هـ ، بتصرف .

تقول حليمة رضى الله عنها لما دخلت به صلى الله عليه وسلم إلى منزلى لم يبق منزل من منازل بنى سعد إلا شممنا منه ريح المسك وألقيت محبته صلى الله عليه وسلم أى واعتقاد بركته فى قلوب الناس حتى أن أحدهم كان إذا نزل به أذى فى جسده أخذ كفه صلى الله عليه وسلم فيضعها على موضع الأذى فيبرأ بإذن الله تعالى سريعا .(١)

٥ــ حادثة شق الصدر :

فى مدة رضاعته صلى الله عليه وسلم حدث شق صدره الشريف وهو فى الثانية من العمر . وذلك حين كانت مرضعته فى زيارة لأمه صلى الله عليه وسلم . ثم استأذنتها فى العودة به إلى البادية حرصا عليه وتبركا به صلى الله عليه وسلم ولم تزل بها حتى ردته معها قالت حليمة : فرجعنا به صلى الله عليه وسلم فوالله إنه بعد مقدمنا به صلى الله عليه وسلم بشهر عبارة ابن الأثير بعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه يعنى من الرضاعة (لفى بهم لنا) ولعل هذا لا ينافيه قول المحب الطبرى فلما شب وبلغ سنتين لأنه ألغى أى ذلك الكسر فبينما هو صلى الله عليه وسلم وأخوه فى بهم لنا خلف بيوتنا (والبهم أولاد الضأن) إذ أتى أخوه يشتد " أى يعدو " فقال لى ولأبيه ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه أى يدخلان يديهما فى بطنه

---

(١) السيرة الحلبية جـ ١ ص ١١٠

قالت فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهه وفى لفظ لونه أى متغيرا أى صار لونه كلون النقع الذى هو الغبار وهو صفة ألوان الموتى وذلك لما ناله من الفزع أى من رؤية الملائكة لامن مشقة نشأت من ذلك الشق (١) ويروى الإمام مسلم مثل هذه الحادثة : فعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده فى مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعنى ظئره فقالوا إن محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع (ه) اللون قال أنس وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره . (٢) فلما بلغ عشرة أعوام تكرر حادث شق صدره عليه الصلاة والسلام فعن أبى بن كعب أن أبا هريرة كان حريصا على أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء لايسأله عنها غيره فقال يارسول الله : ماأول مارأيت من أمر النبوة فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال : (لقد سألت أبا هريرة إنى لفى صحراء ابن عشر سنين وأشهر وإذا بكلام فوق رأسى وإذا برجل يقول لرجل أهو هو قال نعم فاستقبلانى بوجوه لم أرها لخلق قط وأرواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فأقبلا إلى يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدى لاأجد لاخذهما مسا فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فاضجعانى بلاقصر ولاهصر فقال أحدهما لصاحبه أفلق صدره فهوى أحدهما إلى صدرى ففلقها فيما أرى بلادم ولا وجع فقال له أخرج الغل والحسد

---

(١) المرجع السابق ص ١١٠ (ه) منتقع اللون هو بالقاف المفتوحة أى متغير اللون قال أهل اللغة انتقع لونه فهو منتقع وامتقع فهو ممتقع وابتقع بالباء فهو مبتقع بالباء فهو مبتقع فيه ثلاث لغات والقاف مفتوحة فيهن قال الجوهرى وغيره والميم أفصحهن " صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٢ ص ٢١٧ " بالهامش .

(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٢١٦ ، ٢١٧ " كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض الصلوات "

فأخرج شيئا كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها فقال له أدخل الرحمة والرأفة فاذا مثل الذى أخرج شبيه الفضه ثم هز ابهام رجلى اليمنى فقال أغدوا واسلم فرجعت بهما أغدو بهما رقة على الصغير ورحمة على الكبير (١) . ثم كانت المرة الثالثة إعداد لرحلتى الإسراء والمعراج ، وقبيل الرحلة مباشرة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتيت فانطلقوا بى إلى زمزم فشرح عن صدرى ثم غسل بماء زمزم ثم أنزلت (ه)) (٢) وهكذا روى أصحاب السنن والرواة الثقات من أصحاب السير هذه الحادثة وتكرارها فى حياة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يدع مجالا للشك فى حقيقتها وصدق حدوثها .

٦ ـ افتراءات المستشرقين حول حادثة شق الصدر والرد عليها :

وكالعادة يأتى المستشرق اميل درمنغم بعد كل هذا ليقول : والذى أراه أن هذه القصة نشأت من قول القرآن : " ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك " وأن هذه العملية أمر باطنى قام على تطهير ذلك القلب وتوسيعه ليتلقى رسالة الله ويبلغها باخلاص تام ويحمل عبئها الثقيل ، وأن أسطورة شق الصدر ذات مغزى فلسفى تشير الى تلك الدرنة السوداء من الخطيئة الأولى التى لم يعف منها غير مريم وعيسى (٣) وقصد هذا المستشرق أن يصور حادثة شق الصدر بأنها خيال يشير إلى حقيقة أخرى وهو أن عيسى ابن مريم طهره الله وأمه من نخسة الشيطان ، وكأننا بذكر حادثة شق الصدر نضع نموذجا أعلى لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء لم يحدث فى الواقع له ، وهذا يؤدى إلى أن الروايات

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى المتوفى سنة ٨٠٧ هـ تحرير الحافظين الجليلين العراقى وابن حجر جـ٨ ص٢٢٢ ، ٢٢٣ " كتاب علامات النبوة ـ باب فى أول أمره وشرح صدره أيضا صلى الله عليه وسلم نشر مكتبة القدسى بالقاهرة ١٣٥٣ هـ

(ه) أنزلت : قيل هذا تصحيف وصوابه تركت وقال ابن سراج أنزلت فى اللغة بمعنى تركت فلا تصحيف " صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٢ ص ٢١٦ بالهامش "

(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٢١٥ (٣) حياة محمد ترجمة عادل زعيتر ص ٣٩ بدون عدد للطبعة طبع دار احياء الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٩٤٢ م .

والأحاديث الدالة على هذه الواقعة موضوعة وهو مايسعى إليه جاهدا هذا الرجل وإخوانه من أمثال : الكاتب الالماني هربرت جوتشالك الذى وافقه على أن الحادثة أسطورة وأن الدافع إلى ظهورها الآيات الأربع الأولى من سورة الشرح . ورد عليه الدكتور محمد شامه ردا مقنعا خلاصته: ليس من غير المعقول أن يجمع جل كتاب السيرة على الباس اسطورة ثوب الحقيقة .٢- إنكار قلة من المفكرين الإسلاميين لهذه الحادثة فى العصر الحديث لايعد حقيقة علمية يستند عليها المؤلف فى هجومه .

٣- ادعاؤه بأن الدافع إلى ظهورها ، هو وجود الآيات الأربع الأولى من سورة الشرح ليس له دليل من الصحة يقوم عليه فالربط بين هذه الآيات وبين الحادثة لاوجود له فى مرجع يعتمد عليه (١) وقد ذكر الالوسى تفسير الجمهور لقوله تعالى : (الم نشرح لك صدرك) فقال : ونقل عن الجمهور أن المعنى ألم نفسحه بالحكمة ونوسعه بتيسيرنا لك تلقى مايوحى اليك بعد ما كان يشق عليك (٢).

أما عن قول د رمنغم بأن اسطورة شق الصدر ذات مغزى فلسفى اتخذها المسلمون لهذا الغرض ، فنقول له لو كان هذا حقا ما تحدثنا بهذا الحديث الآتى أودوناه فى كتب السنة ، فعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " مامن مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه ثم قال أبوهريرة اقرؤا إن شئتم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم " (٣) فلوكان علماء الإسلام قد وضعوا الأحاديث والروايات ليكون النبى صلى الله عليه وسلم خاليا من لوثة الشيطان كعيسى بن مريم وأمه لكان

---

(١) الإسلام فى الفكر الأوربى ص ٤١ ، ٤٢ (٢) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى جـ ٣٠ ص ١٦٦ ط ٢ طبع إدارة الطباعة المنيرية ببيروت بدون تاريخ

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٥ ص ٧٢٠ "باب فضائل عيسى عليه السلام "

تركهم لتدوين هذا الحديث المذكور وإهمال روايته أسهل وأيسر من كتابة عدة روايات وأحاديث ليؤكدوا بها معنا من المعاني كما يزعم "د رمنغم" ، هذا مع العلم بأن الحديث الشريف وإن برأ عيسى "عليه الصلاة والسلام" وأمه من نخسة الشيطان ، فإنه لا يمنع من أن كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على نفس الشاكلة من البراءة ، وإلا فكيف تنجو مريم من هذا الرجس الشيطاني وليست مبلغة عن الله ولا ينجو منه بقية رسل الله الذين اختارهم الله لتبليغ رسالاته ؟ ولذ اختار القاضي عياض أن جميع الأنبياء يتشاركون فيها ، وذكر الحديث الشريف بهذه الصورة لينفي عن مريم وعيسى عليهما السلام تهمة الخطيئة ويبرأ الصديقة من كل اتهام وجه إليهما وخاصة ما رماها به اليهود ، وكان الأجدر بمن يدعون العلم والبحث عن الحقيقة أن يتفهموا هذه الأمور من كتب السنة الصحيحة ، ولا أن يشطحوا بخيالهم ويبرهنوا على أوهامهم بما هو أغرب من الخيال ، وأنى لهم أن يكذبوا حقيقة شق الصدر وفي صحابته من رأى أثر المخيط في صدره ، والعلم لا يمنع من ذلك.

٧ـ وفاة أبيه وأمه صلى الله عليه وسلم :

حملت السيدة آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد شهرين من حملها توفي عبد الله والده بالمدينة عند أخواله بني النجار (*) ودفن بالأبواء (*) وظلت أم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبيه تحوطه بالرعاية حتى وهو في كنف جده عبد المطلب ولما بلغ صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به إلى أخوال جده وهم بنو عدى بن النجار بالمدينة تزورهم ومعهم أم أيمن "بركة الحبشية"

(*) بإضافة الأخوال إلى عبد الله والد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل المجاز لأنهم أخوال جده عبد المطلب لأن أمه سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن عدى بن النجار النجارية " شرح الزرقاني على المواهب اللدنية جـ ١ ص ١٦٣ "

(*) وفي رواية أخرى أنه في دار النابغة ــ وهو رجل من بني عدى بن النجار

فمكثت عندهم شهرا ، وفى رواية أبى نعيم قال صلى الله عليه وسلم فنظر إلى رجل من اليهود يختلف ينظر إلى فقال يا غلام ما إسمك قلت أحمد ونظر إلى ظهرى فسمعته يقول هذا نبى هذه الأمة ثم راح إلى أخوانه فأخبرهم فأخبروا أمى فخافت على فخرجنا من المدينة ، فلما كانت بالأبواء توفيت ودفنت فيها وقيل بالحجون وقيل جمعا بين الروايتين إنها دفنت أولا بالأبواء ثم نبشت ونقلت إلى مكة ودفنت بالحجون والأبواء موضع من أعمال الفرع بين مكة والمدينة وكان عمرها حين توفيت فى حدود العشرين سنة .(١)

٨ـ كفالة جده عبد المطلب :

علمنا أن والد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مات قبل أن يرى محمدا صلى الله عليه وسلم فلما وضعته آمنه أخبرت جده عبد المطلب فأتى وسماه وحمله ودخل به الكعبة يقول ابن اسحاق : ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها ، والتمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الرضعاء .(٢) ولما ماتت أمه صلى الله عليه وسلم ظل فى كفالة جده أيضا وباشر الإشراف عليه بنفسه . قال ابن اسحاق : وكان رسول الله " صلى الله عليه وسلم " مع جده عبد المطلب بن هاشم وكان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك ، حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له ، قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) السيرة النبوية والآثار المحمدية أحمد زينى المشهور بدحلان ص٥٦ ط ٣ طبع بالمطبعة الأزهرية بمصر ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م . باختصار

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ صـ ١٤٧ ، ١٤٨

يأتى وهو غلام صغير ، حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب
- إذا رأى ذلك منهم- دعوا ابنى فوالله إن له لشأنا ، ثم يجلسه على الفراش ويمسح
ظهره بيده ويسره مايراه يصنع (١) ومضت فترة من الزمن على محمد صلى الله عليه وسلم
وهو على هذا الحال ثم مات جده عبد المطلب كافله وتركه وله من العمر ثمان سنين

٩- كفالة عمه أبى طالب :

وفى غمرة الحياة التى يكابدها صبى يتيم الأب والأم يتولاه مولاه بعنايته فيغرس فى النفوس محبته حتى ولو كانت مشتغلة بأمور العيش ومشقة الحياة وأعبائها ، فتولى كفالته عمه أبو طالب واسمه عبد مناف وكان عبد المطلب قد أوصاه بذلك قبل أن تحين منيته ، فقام أبو طالب بهذه المهمة بالرغم من كثرة أبنائه وقلة ماله ، فأحسن الرعاية لابن أخيه ، لأن عبد الله أبا رسول الله " صلى الله عليه وسلم " وأبا طالب أخوان لأب وأم فأمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم ، ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم فى صغره كبقية أقرانه مشتغلا باللهو والعبث ، وإنما كان مجدا صاحب احساس بالحياة ومتاعبها فشارك عمه فى العمل وتحمل عبء الحياة فكان راعيا للغنم وكان مشتغلا بالتجارة ، ولم ينس لعمه هذا الصنيع فلما كبر واشتد عوده أخذ عليا بن أبى طالب ورباه فى حضنه وحاطه برعايته ردا للجميل ، وعرفانا منه للأيدى التى ساعدته ، وهكذا هيأ الله نبيه فتربى عزيزا مكرما بالرغم من أنه فقد أبويه وهو فى مرحلة الضعف

---

(١) المرجع السابق جـ ١ صـ ١٥٦

١٠ـ رعـى الغنم :

إنها إرادة الله أن يختار لرسله وأصفيائه هذه المهنة فى حياتهم الأولـــى ليتدربوا على الصبر بالممارسة فكم فى الغنم من شاردة وكم فيها من متصارعة ، وربمـــا تتقدم واحدة فى المسير ، وتتخلف أخرى جسمها هزيل ، وراعيها فى كل الأحـوال يقوم بحراستها وصيانتها وينتقل بها من مكان المرعى إلى مكان الماء ، بين الحين والحين بدون كلل أو ملل برفق ولين .. إنها الأمانة لمن يؤهلون لها يقول صاحـب الروض الأنف : " وإنما جعل الله هذا فى الأنبياء تقدمة لهم ليكونوا رعاة الخلـــق ولتكون أممهم رعاياهم[1] وقد رعى صلى الله عليه وسلم الغنم فى صغره وهــــو مسترضعا فى بنى سعد مع أخيه من الرضاعة ورعاها بمكة بعد أن شب عوده على قراريط[*] فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :(مابعث اللـــه نبيا إلا رعى الغنم فقال أصحابه وأنت فقال نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكـــة)[2] وهكذا شرف الله عز وجل حبيبه " صلى الله عليه وسلم " فاعتمد عليه الصلاة والسـلام على مولاه ، وأكل من كسب يده ، فرعى الغنم أمينا لأهل مكة نظير دريهمات حـــلال وكان رعيه للغنم تدريبا لقيادة الأمم ، وإرشادا للناس للعمل ، والكسب الطيـــب وقد هيأه الله وأعده ، بالعاطفة الخيرة أمده ليكون رحمة للعالمين ، وكان رعــى الغنم عمل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه وفى فترة من شبابــــه ليعلم الجميع أن حياته ليست بخافية عليهم وليس فيها غموض فمعاصروه يرونه فى الصباح

---

(١) الروض الأنف للإمام عبد الرحمن السهيلي (٥٠٨ - ٥٨١هـ) تحقيق عبد الرحمن الوكيل ج٢ ص١٨٢، ١٨٣ ط دار النصر للطباعة الأولى ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م.

(*) " قراريط " قال سويد شيخ ابن ماجة يعنى كل شاة بقيراط يعنى القيراط الذى هو جزء من الدينار أو الدرهم وقول من قال أنه اسم موضع بمكة جعله الحافظ مرجوحا لأن أهل مكة لاتعرف مكانا بها يقال له قراريط " التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للحسين بن المبارك جـ١ صـ ١٣٨ " بالهامش

(٢) المرجع السابق جـ ١ صـ ١٣٨ " كتاب الإجارة "

والسماء ومابينهما — فى صحراء مكة ينتقى أجود المراعى للغنم ويشاهده القاصى والدانى ، وهو ينتقل من واد إلى واد ، ففى أى وقت وفى أى مكان غاب عنهم ؟ ليختلى بمعلم يعلمه هذا العلم الوافى ؟ انه فى مرآى العين للجميع ، فمن علمه ؟ علمه مولاه بعد أن اختاره واصطفاه ، وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : " وأُنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما "

١١ — رحلته إلى الشام فى المـــرة الأولــى :

عرض النبى صلى الله عليه وسلم على عمه أبى طالب أن يصحبه فى رحلته إلى الشام وبعد تردد من أبى طالب قبل العرض فذهب إلى الشام فى المرة الأولى وكان سنه ثنتى عشرة سنة ، ولما وصل " بصرى " مع عمه أبى طالب عرفه بحيرا الراهب يقول صاحب الأنوار المحمديه : فقال : " أى بحيرا وهو آخذ بيده " صلى الله عليه وسلم " هذا سيد العلمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقيل له وماعلمك بذلك فقال إنكـــم حين أشرفتم به من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ولا يسجدان إلا لنبى وإنى أعرفه بخاتم النبوة فى أسفل من غضروف كفه مثل التفاحة وإنا نجده فى كتبنا وسأل أباطالب أن يرده خوفا عليه من اليهود (١)

١٢ — حضوره حرب الفِجار :

حضر النبى صلى الله عليه وسلم حرب الفِجار (٥) وكانت بين هوازن وكنانة وشهد صلـــى الله عليه وسلم القتال مع أعمامه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :(كنت أُنبل على أعمامى ، أى : أرد عنهم نبل عدوهم ، إذا رموهم بها (٢) وسبـــــب هـــــذه الحـــــرب

(١) الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية — يوسف بن إسماعيل النبهانى ص ٣٥ طبع بيروت بالمطبعة الأدبيه ١٣١٠ هـ .   (٥) حرب الفجار بكسر الفاء بمعنى المفاجرة كالقتال بمعنى المقاتلة ويقول ابن هشام وإنما سمى يوم الفجار بما استحل هذان الحيان كنانة وقيس عيلان فيه من المحارم بينهم .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ ص ١٧٠

أن البراض بن قيس الكنانى قتل عروة بن عتبه الرحّال بسوق عكاظ فى الشهر الحرام فجمعت قيس جموعها ، وجمعت قريش جموعها ومن بينهم كنانه وتحاربوا مرات متتالية كان الغلب فيها لقريش وكنانه فى النهاية ويقال كان للعرب أربع فجارات ، وآخرها تواعد المتحاربون على اللقاء للحرب فى العام الذى يأتى ، وحدث أن تم فيه الصلح وشاءت إرادة الله أن يحضر النبى صلى الله عليه وسلم هذه المعارك ولم يقاتل وإنما يدفع السهام عن أعمامه فقط ، لأنها حرب كفار أشعلتها حمية الجاهلية ، ولم يأذن الله له صلى الله عليه وسلم فى القتال إلا فى سبيل الله فقط ، ولذا حماه أن ينغمس معهم بالرغم من أنه فى وسطهم

١٣ ـ حضوره حلف الفضول :

وهو أشرف حلف فى العرب عقدته قريش عقب عودتها من حرب الفجار وسببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل ولم يعطه الثمن فاستنجد الزبيدى بالأحلاف : عبد الدار ومخزوما ، وجمح وسهما فلم يعينوه ، ثم صاح منشدا شعرا يطلب فيه قريشا بمساعدته فى أخذ حقه ، فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال : مالهذا مترك ، فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة فى دار ابن جدعان (١) ـ يقول صاحب السيرة الحلبية : فصنع لهم عبد الله بن جدعان طعاما وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه مابل بحر صوفه أى الأبد . وقد شاركهم النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك الحلف وقال مشيدا به : " لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم " أى بفواته " ولو دعى به فى الإسلام لأجبت " (٢)

---

(١) المرجع السابق جـ ١ صـ ١٢٣ بالهامش وتصرف

(٢) المرجع السابق صـ ١٥٦

١٤ ـ رحلته صلى الله عليه وسلم إلى الشام فى المرة الثانية :

كانت السيدة خديجة بنت خويلد " رضى الله عنها " ذات شرف ومال تستأجر أناسا من أهل مكة للتجارة فى مالها وبلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اشتهر به قبل بعثته من صدق الحديث وكرم الأخلاق ، وحسن الأمانة فأرسلت إليه ليعمل فى تجارتها ببلاد الشام فقبل صلى الله عليه وسلم وخرج فى تجارة خديجة مع غلامها ميسرة ، ولما وصل إلى سوق بصرى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظل شجرة قريبة من صومعة راهب يقال له نسطورا فاطلع الراهب الى ميسرة وكان يعرفه فقال ياميسرة من هذا الذى نزل تحت هذه الشجرة فقال ميسرة رجل من قريش من أهل الحرم فقال الراهب مانزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى (*) (١) هذا ماحدث فى رحلته التجارية ببلاد الشام ، ولقد صنع المستشرقون من هذه الرحلة التجارية مدرسة لتعليم النبى صلى الله عليه وسلم دين النصارى وكأن التجار الذى تعامل معهم من اليهود والنصارى كانوا أحبارا ورهبانا أو الذين تعامل معهم بيعا وشراء كانوا جميعا يهودا ونصارى فقط ، ولقد تابع النظرة الاستشراقية بتحفظ محمد حسين هيكل حيث يقول : فلما بلغ بصرى (*) اتصل بنصرانية الشام وتحدث إلى رهبانها وأحبارها وتحدث إليه راهب نسطورى وسمع منه ولعله أو لعل غيره من الرهبان قد جادل محمدا فى دين عيسى (٣) وليت الدكتور هيكل أخبرنا بما جرى من حديث بين النبى صلى الله عليه وسلم والراهب ولكنه توهم وترجى أن محمدا جادله الرهبان فى دين عيسى عليه السلام وهذا منه ظن وإن الظن لايغنى من الحق

(*) يريد بما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبى أى مانزل تحتها فى هذه الساعة إلا نبى ولم يرد مانزل تحتها قط إلا نبى والشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية .

(١) السيرة الحلبية جـ ١ صـ ١٥٧ بتصرف . (*) مدينة بصرى تقع بين المدينة ودمشق وتسمى الآن بحوران " التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح جـ ١ صـ ٧

(٢) حياة محمد ـ محمد حسنين هيكل ص ١٣٧ ط ١٤ مطبعة دار المعارف بالقاهرة بدون تاريخ

شيئا ، وبعض الظن إثم .

١٥ ـ السيدة خديجة رضى الله عنها تعرض الزواج منه صلى الله عليه وسلم :

عاد محمد صلى الله عليه وسلم من رحلة الشام الرابحة ، ثم حكى ميسرة لخديجة ماكان من أمر النبى صلى الله عليه وسلم فأرسلت إليه توضح رغبتها فى الزواج منه فأخبر أعمامه ، ويقال : إن أبا طالب نهض مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى خطب خطبة النكاح ، وكان مما قاله فى تلك الخطبة : أما بعد فإن محمدا ممن لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا ، وإن كان فى المال قُلّ فإنما المال ظل زائل وعارية مسترجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك [1] وسأتحدث إن شاء الله عن قصة هذا الزواج فى فصل زواج النبى صلى الله عليه وسلم .

١٦ ـ وضع الحجر الأسود فى موضعه :

قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين أراد القرشيون هدم الكعبة يقول ابن اسحاق : "فقام أبو وهب بن عمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم فتناول حجرا من الكعبة فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه ، فقال يامعشر قريش لاتدخلوا فى بنائها إلا طيبا ولاتدخلوا فيه مهر بغى ولابيع ربا ولا مظلمة أحد [2] وكانوا يخشون هدم البيت فابتدأ أحدهم بجزء منه ، ثم انتظروا ليلة فلما لم يصب بسوء أتموا الهدم وأحضروا مواد البناء من حجارة وأخشاب وخلافه ، وقاموا بالبناء حتى بلغ بنيان البيت

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ صـ ١٧٤ بتصرف .

(٢) المرجع السابق صـ ١٧٩ بتصرف .

موضع الركن فاختلفوا فيما بينهم ، من الذى يضع الحجر الأسود فى موضعه فكل قبيلة منهم تريد أن تحظى بشرف وضعه دون غيرها وهم القوم بالتناحر والقتال يقول ابن اسحاق: فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ، ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت ، وأدخلوا أيديهم فى ذلك أربع ليال أو خمسا ، ثم لجأوا إلى التشاور فقال أبو أميه بن المغيرة وكان أسن قريش : اجعلوا بينكم حكما أول من يدخل من باب المسجد يقضى بينكم فكان أول من دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا : هذا الأمين قد رضينا وأخبروه الخبر فقال : هلموا إلى ثوبا ، فأتى به فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا فلما بلغوا به موضعه وضعه بيده ، ثم بنى عليه (1)

وهذا دور واضح للنبى صلى الله عليه وسلم بالإضافة إلى ماقام به ، ومابذله من جهد فى بناء البيت الحرام .

١٧ـ وقفة للرد على مغالطات الاستشراق :

ذكرت فيما سبق صورة مفصلة لفترة من حياة سيدنا محمد قبل أن يبعثه الله تعالى ، وحياته صلى الله عليه وسلم ظاهرة للعيان لايختلف فى حدوث وقائعها إثنان فليست قصص مروية كما يقول صاحب قصة الحضارة ، وإنما حقائق منحوتة على صخور مكة ووديانها وماجاورها ، ومرسومة على الرمال ، ولقد شاهد أبناء شبه الجزيرة كل هذه المعالم وهى تخط فى حياة صاحبها صلى الله عليه وسلم ، ومازال أثرها

(1) المرجع السابق ص ١٨٢ بتصرف .

باقيا للآن ، شاهدا بمكان مولده ، ورضاعه ، وشق صدره ، ووفاة أبويه ، وكفالته ورعيه للغنم وسفره للشام وحضوره حرب الفجار وحلف الفضول وتجارته في مال خديجة وبنائه للبيت الحرام ، ووضعه للحجر الأسود ، فيامن احترفتم الاستشراق ؟ ويلمن سرتم في ركب المستشرقين ؟

هذه حقائق كلها يقين ، فلا يحق لباحث في الإسلام من أي ملة ودين أن يدعى عدم معرفتها أو أنه يخفى عليه شيء منها وإن كان مثل هذا الادعاء لا يضر الحقيقة في شيء إلا أنه يحاول حجبها خصوصا عن الذين لا يؤمنون برسالة الإسلام ولقد شاءت إرادة الله تعالى ، فهيأ للنبي صلى الله عليه وسلم هذه الحياة ، بما فيها من يتم ، وكد ، فكان مشكاة في فلاة ليتأكد الجميع أن الحق تولاه ، وأفاض عليه العلم الغزير ، فكان البشير النذير ..

المبحث الثاني

سيرته في قومه قبل البعثة

أ ـ صيانة الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم في صغره :

لقد حفظ الله نبيه صلى الله عليه وسلم وصانه من كل ما يدنس وتنزهه عن اللهو والعبث يقول ابن اسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لي يحدث عما كان الله يحفظه به في صغره ، أنه قال : لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان كلنا قد تعرى ، وأخذ إزاره ، فجعله على رقبته ، يحمل عليه الحجارة ، فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر ، إذ لكمني لاكم ما أراه ، لكمة وجيعة ثم قال : شد عليك إزارك قال : فأخذته وشددته علي ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري علي من بين أصحابي [1] وهكذا حماه الله وستره أن تنكشف سوأته وحال بينه وبين ميول النفس الشهوانية ، قال صلى الله عليه وسلم : ماهممت بشيء مما كان الجاهلية يعملونه غير مرتين ، كل ذلك يحول الله بيني وبينه ، ثم ماهممت به حتى أكرمني برسالته ، قلت ليلة لغلام يرعى معي بأعلى مكة : لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب فقال افعل فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفا فقلت : ماهذا ؟ فقالوا : عرس فلان بفلانة ، فجلست أسمع فضرب الله على أذني فنمت ، فما أيقظني إلا حر الشمس ، فعدت إلى صاحبي فسألني فأخبرته ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ودخلت مكة ، فأصابني مثل أول ليلة

---

(١) المرجع السابق صـ ١٦٧ ، ١٦٨

ثم ماهممت بعده بسوء [١] وتعبيره صلى الله عليه وسلم . فثم ماهممت بعده بسوء لايفيد أنه هم بسوء قبل وإنما يفيد أن رعاية الله حفظته دائمًا عن سفاسف الأمور فى كـــل حياته ، فنفسه صلى الله عليه وسلم صنعها الله تعالى على عينة يقول الدكتور البوطى : فهى حتى عندما لايجد لديه الوحى أو الشريعة التى تعصمه من الاستجابة لكثير من رغائب النفس ، يجد عاصما أخر خفيا يحول بينه وبين ماقد تتطلع إليه نفسه مما لايليق بمن هيأته الأقدار لتتميم مكارم الأخلاق وإرساء شريعة الإسلام [٢] فكان صلى اللـــه عليه وسلم نموذجا فريدا فى مجتمعه ومثلا عاليا فى بيئته فلم يخضع لمؤثرات البيئـــة وتقاليد المجتمع وإنما نفر من عباداتهم للاصنام وتقديسهم لالهتهم المزعومة فيقول صلى الله عليه وسلم : عن اللات والعزى " والله ما أبغضت شيئا قط بغضهما " ، وأعلن رفضه التام لفسقهم فترك أماكن لهوهم ، فلم يلعب ميسرا ، ولم يحتس خمرا ، ولم ينغمس فى الملذات الحسية ومتع الحياة المادية ، يقول ابن إسحاق : " فشب رسول الله صلى الله عليه وسلم – والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ، لما يريـــد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقـــا وأكرمهم حسبا ، وأحسنهم جوارا ، وأعظمهم حلما ، وأصدقهم حديثا ، وأعظمهم أمانـة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال ، تنزها وتكرما ، حتى ما اسمـــه فى قومه إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة [٣] .

ب– عصمة الله تعالى له صلى الله عليه وسلم فى شبابه وكهولته حتى قبل بعثته :

بعد أن ذكرت ماعصم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فى صباه من جنود الله تعالـى

---

(١) الكامل فى التاريخ للعلامة " عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف " بابن الاثير " المجلد الثانى ص ٣٨ دار صادر بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م . (٢) فقه السيرة تأليف الدكتور / محمد سعيد رمضان البوطى صـ ٥٥ ط ٧ ، ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ صـ ١٦٧ .

من ملائكة ونوم ... نعود لبيان استمرار هذه العصمة استكمالا لما سبق فعن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه ازاره فقال له العباس عمه يا ابن أخي لو حللت إزارك فجعلت على منكبك دون الحجارة قال فحله فجعله على منكبيه فسقط مغشيا عليه فما روُى بعد ذلك عريانا صلى الله عليه وسلم (١) وهكذا أحاطه الله عز وجل برعايته ، وتولاه بعنايته ، وحفظه بقوته فلم يوار عن سوءته ولم يحاك أهل مكة فيما ألفوه واعتادوه ، وظهر للناس بكماله وأدبه قبل أن يطلع عليهم بنور النبوة وبهاء الرسالة وكان هذا واضحا للعيان ، فلم يؤثر عنه صلى الله عليه وسلم فعل ما نهى الإسلام عنه وذلك من قبل أن يوحى إليه .

جـ ـ شهادة أهل مكة له صلى الله عليه وسلم :

بالأمانة والصدق اجتمعت فيه صلّى الله عليه وسلم صفات الإيمان قبل أن يوحى إليه الرحمن فكملت الأمانة فيه صلى الله عليه وسلم ، واكتسب ثقة المجتمع حتى لقبوه بالأمين " يقول ابن القيم : وأما الأمين فهو أحق العالمين بهذا الإسم فهو أمين الله على وحيه ودينه وهو أمين من في السماء وأمين من في الأرض ولهذا كانوا يسمونه قبل النبوة الأمين " (٢) وكما لازمته الأمانة وشهدوا له بها لازمه الصدق واعترفوا له صلى الله عليه وسلم به ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى : يا بنى فهر يا بنى عدى لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج

---

(١) صحيح البخارى جـ ١ صـ ١٠٢ " باب كراهية التعرى فى الصلاة " كتاب الشعب العدد ٣٩ مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ .

(٢) زاد المعاد فى هدى خير العباد محمد صلى الله عليه وسلم للإمام ابن قيم الجوزى جـ ٣ صـ ١٨٢ بدون عدد للطبعة المطبعة المصرية ومكتباتها بدون تاريخ .

أرسل رسولا لينظر ماهو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ قالوا نعم ماجربنا عليك إلا صدقا . قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت : (تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وماكسب)[١] ولم يشهد أحد أنه ارتكب مانهى الله تعالى عنه ولم يتمكن أحد من أعدائه أن يأخذ عليه مسلكا يريبه فى حياته كلها والدليل الذى لايتسرب إليك الشك شهادة واحد من ألد أعداء الدعوة فى ذلك الحين وهو أبو سفيان وقت أن سأله هرقل قائلا : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال قلت لا قال فهل يغدر قلت لا ونحن فى مدة لاندرى ماهو فاعل فيها .[٢] هذا بعض ماشهد به واحد من أعداء الدعوة قبل إسلامه . وهى شهادة توضح واقعه الملموس للناس جميعا . وما ظهر من الاتهام له بالكذب فيما تحدث به من وحى السماء كان مجرد اتهام باللسان ولذا قيل فى معنى قول الله تعالى (فإنهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) فإنهم لايكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بألسنتهم وروى ذلك عن قتادة وغيره ويؤيد مارواه السدى أنه التقى الأخنس ابن شريق وأبو جهل فقال الأخنس لأبى جهل يا أبا الحكم أخبرنى عن محمد صلى الله عليه وسلم أصادق هو أم كاذب فإنه ليس ههنا أحد يسمع كلامك غيرى ؟ فقال أبو جهل والله إن محمدا لصادق وماكذب محمد عليه الصلاة والسلام قط ولكن إذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والندوة[*] والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فأنزل الله تعالى الآية التى ذكرت سابقا[٣]

---

(١) البخارى بحاشية السندى جـ ٣ ص ١٧١ كتاب التفسير

(٢) الحديث بتمامه فى صحيح البخارى جـ١ ص ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ " باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله جل ذكره كتاب الشعب . (*) اللواء : رايه يلوونها على رمح وينصبونها علامة للعسكر إذا توجهوا الى عدو . والسقاية : إسقاء الحجيج الماء العذب والحجابة : سدانة البيت وحفظ مفاتيحه . والندوة : رياسة الاجتماع كل أيام العام .

(٣) روح المعانى جـ ٧ صـ ١٣٦ بتصرف .

د - هل بقى شئ يراد معرفته عن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ؟ :

إن مابينته فى سيرته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يوضح أن كل صغيرة وكبيرة من سلوك وأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجلة فى كتب السير والتاريخ وهى تنضح بالعفة والطهارة ، وتبدو منها ملامح عصمة الله له صلى الله عليه وسلم فبالرغم من مشاركته مجتمع مكة فى الحياة إلا أنه انفرد فى السلوك والأخلاق ، فنراه منزهـا عن سفاسف الأمور ، وعلى قمة مكارم الأخلاق .

وإذا أغض البعض جفونهم عن هذه القمم الشامخة ، والأخلاق السامية فأهملوا جوانب الكمال التى شهد بها أعداء الدعوة وقتها ، من طهارة ، وأمانة ، فما ذنب المسلمين إذا لم يعترف خصومهم الآن بالحقائق التاريخية أو يصدقوا بالسنة النبوية الشريفة ، والله تعالى يقول :

(والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) (١)

(١) سورة الأنعام الآية ٢٩

المبحث الثالث

الاخبار ببعثته صلى الله عليه وسلم

لما حان وقت النبوة الخاتمة وظهور نورها فى الأكوان ، ترادفت الأخبار ببعث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومنها :ـ

١ـ أخبار الكهان من العرب :

استدل الكهان من العرب على قرب بعثته صلى الله عليه وسلم برمى الجن بالشهب وهذا من بشائر نبوته صلى الله عليه وسلم " وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا "(١)

قال جبير بن مطعم : كنا جلوسا عند صنم ببوانه قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بشهر ، نحرنا جزورا ، فإذا صائح يصيح من جوف الصنم اسمعوا إلى العجب ، ذهب استراق الوحى ونرمى بالشهب لنبى بمكة إسمه أحمد مهاجره إلى يثرب قال فأمسكنا وعجبنا ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم .(٢) وقد وردت أخبار كثيرة عن كهان العرب ذكرها أصحاب السير ونكتفى منها بذكر كاهن من الكهان الذين تنبئوا ببعثه صلى الله عليه وسلم ممن ذكرهم ابن هشام فى السيرة النبوية : قال ابن اسحاق : وحدثنى على بن نافع الجرشى أن جنبا(٣) بطنا من اليمن ، كان لهم كاهن فى الجاهلية ، فلما ذُكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر فى العرب ، قالت له جنب انظر لنا فى أمر هذا الرجل ، واجتمعوا له فى أسفل

(١) سورة الجن الآية ٩ (٢) الكامل فى التاريخ لابن الأثير المجلد ٢ ص ٤٧ .

(٣) جنب : هم من مذحج ، وهم عبد الله ، وأنس الله ، وزيد الله ، وأوس الله ، وجعفى والحكم ، وجروة بنو سعد العشيرة بن مذحج ومذحج هو مالك بن أزد وسمو جنبا لانهم جانبوا بنى عمهم صداء ، ويزيد ابنى سعد العشيرة بن مذحج " السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٩٣ بالهامش "

جبله ، فنزل عليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا على قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلا ، ثم جعل ينزو ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله أكرم محمدا واصطفاه ، وطهر قلبه وحشاه ، ومكثه فيكم أيها الناس قليل ، ثم اشتد في جبله راجعا من حيث جاء[1] ، وأخبر بمثل ذلك أيضا سواد بن قارب (*) ، حدث عمر بن الخطاب فقال : " لقد كنت كاهنا في الجاهلية ، قال : فأخبرني ما جاء به صاحبك ، قال : جاءني قبل الإسلام بشهر أو شيعه ، فقال : ألم تر إلى الجن وإبلاسها وإياسها من دينها ، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها[2] . وعلى العموم نجد روايات كثيرة لكهان العرب في دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم .

٢- إخبار الأحبار من اليهود :

أوصاف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم موجودة في التوراة والإنجيل يقول الله عز وجل : (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)[3] وكان سبق إسلام الأوس والخزرج نتيجة لهذه المعرفة فاليهود كانوا يتوعدونهم ببعثة نبي قرب زمانه وسينصره الله على أعدائه ، وأنهم سينضمون إليه ، ويتخلصون به من الأوس والخزرج ولذا يقول ابن اسحاق ما اختصاره : أن اليهود حين تفوز الأوس والخزرج عليهم كانوا يخبرونهم أنه تقارب زمان نبي يبعث وأنهم سيقاتلونهم معه قتل عاد وارم ، فلما بعث صلى الله عليه وسلم ، يقول عرب يثرب : فبادرناهم إليه ، فآمنا به وكفروا به فغينا وفيهم نزل قول الله عز وجل : (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)[4]

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ ص ١٩٣ (*) هو سواد بن قارب الدوسي في قول ابن الكلبي وقال غيره هو سدوسي[1] (٢) المرجع السابق ص ١٩٤

(٣) سورة البقرة الآية ١٤٦ (٤) السيرة النبوية لابن هشام جـ١ ص ١٩٥ بتصرف

ولقد دخل فى الإسلام جماعة من اليهود بسبب هذه المعرفة أيضا فكان ابن الهيهان اليهودى سببا فى إسلام ثعلبه وأسيد ابنى سعيه (١) وأسد بن عبيد تحيث قدم عليهم من الشام وأقام معهم بجوار يثرب ، وأخبرهم حين حضرته الوفاة أنه ماقدم إليهم إلا لعلمه بأن نبيا قرب زمانه ، وحل أوانه ، وأنه يرجو أن يبعث فيتبعه ثم نصحهم قائلا : فلا تسبقن إليه يامعشر يهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء ، وسبى الذرارى والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه .

فلما هاجر صلى الله عليه وسلم إلى يثرب ، ثم جاء حصار بنى قريظة ، قال هؤلاء الفتية ، والله إنه النبى الذى كان عهد إليكم فيه ابن الهيهان نعرفوه بصفته فأسلموا ، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم . (٢)

٣ـ اخبار النصارى :

* من رهبان النصارى من أخبر بقرب بعثته صلى الله عليه وسلم وقد علم سلمان الفارسى بذلك من أسقف عمورية ويحكى ابن هشام أن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى (٣) : لما ترك مكة ورحل إلى الشام طاف الشام كله حتى انتهى إلى راهب بميفعه (٥) من أرض البلقاء ، كان ينتهى إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفة دين إبراهيم فقال إن أحدا لن يعرف به اليوم ، ولكن قد أظل زمان نبى يخرج من مكة ، يبعث بدين إبراهيم ، هذا زمانه ، وأمره أن يلحق به ، وفى أثناء عودة زيد قتل فى الطريق ومن جانبى لاأستبعد حدوث مثل هذا ، فاتباع عيسى عليه السلام على علم بمجئ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) بنو سعيه هؤلاء فيهم أنزل الله عز وجل " من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون " سورة آل عمران الآية ١١٣ (٢) السيرة النبوية لابن هشام جا ص ١٩٦ ، ١٩٧ بتصرف (٥) زيد بن عمرو بن نفيل أحد الأربعة الباحثين عن الحنيفية ومنهم ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث بن أسد (٥) بميفعة الأصل فيها كسر الميم والقياس الفتح لأنه اسم لموضع أخذ من البقاع وهو المرتفع من الأرض

يقول الله تعالى : (وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى إسمه أحمد فلما جآءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين)(١)

٤ ـ التحنث :

أدب الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فأحسن تأديبه ، واصطفاه للرسالة منذ الأزل ، فألهمه الرشد ، وهداه الصواب ، فنشأ صلى الله عليه وسلم تاركا لماعليه قومه من عبادة الأوثان ، ومن فعل العادات السيئة ، واتجه قبل الرسالة بقليل إلى غار حراء متخذا إياه مكانا للعبادة والنسك يقول الإمام الأكبر المرحوم الدكتور / عبد الحليم محمود : " كان صلوات الله عليه ، يتوج كل عام جهاده الروحى المتصل بشهر يقضيه فى غار حراء : حيث الخلوة التامة ، وحيث التجرد المطلق عن كل ماسوى الله "(٢) ويذكر ابن هشام أن أول بدء الوحى الرؤيا ، وأنه صلى الله عليه وسلم حبب إليه الخلاء بعدها يقول ابن اسحاق : فذكر الزهرى عن عروة ابن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها أنها حدثته : أن أول مابدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة ، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصادقة ، لايرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فى نومه إلا جاءت كفلق الصبح قالت : وحبب الله تعالى إليه الخلوة ، فلم يكن شىء أحب إليه من أن يخلو وحده . وكان تعبده صلى الله عليه وسلم إلهاما من الله سبحانه وتعالى وتربية خالصة فلم يكن صلى الله عليه وسلم على علم بنبوته قبل أن يعلمه المولى عز وجل يعبر عن هذا المفهوم إمام الحرمين الجوينى بهذه السطور : فليست النبوة راجعة

---

(١) سورة الصف الآية ٦

(٢) دلائل النبوة ومعجزات الرسول صلوات الله وسلامه عليه ص ٨ مطابع بالدجوى بالقاهرة ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤م .

إلى جسم النبى ،ولا إلى عرض من أعراضه ،ويبطل صرفها إلى علمه بربه إذ ذلك يثبت من غير تقدير النبوة ،وباطل أيضا صرف النبوة إلى علم النبى بكونه نبيا فان المعلوم مالم يتقرر فلا يتقرر العلم به فإن كان النبى عالما بنبوته فما نبوته ؟ وفيها السؤال :

فالنبوة ترجع إلى قول الله تعالى لمن يصطفيه " أنت رسولى "

٥ ـ خلاصة البحث :

نستخلص من البحث السابق :

١ ـ أن كل الدلائل أشارت ببعثته صلى الله عليه وسلم قبل تحققها ففى كهان العرب وأحبار اليهود ورهبان النصارى من ذكر ذلك وذاع أمر بعثته حتى ترقب الناس ظهور النبوة ،ولست بصدد بيان البشارات الواردة عند أهل الكتاب بنبوته صلى الله عليه وسلم فهذا يحتاج إلى مجلدات .

٢ ـ أن التحنث كظاهرة واضحة فى حياته صلى الله عليه وسلم علم بها معاصروه ـ من أهل مكة ،كما لم يغب مكان تعبده عنهم فقد اتجه إلى غار حراء لا إلى صومعة أو بيعة فمن علمه غيرهم ؟

علمه الله واصطفاه فحين أراد ارساله رحمة للعالمين فبعث إليه الأمين جبريل وهو صلى الله عليه وسلم وحيدا فى جبل حراء بقوله عز وجل : (اقرأ باسم ربك الذى خلق)

بعد هذا نقول :

ماذا خفى فى حياته صلى الله عليه وسلم ؟

أعتقد أن كل أموره " صلى الله عليه وسلم " ظاهرة ليس فيها خفاء فما يهم الإنسانية من المعرفة عنه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها أطلع عليه أعداؤه وأصدقاؤه ونقلته الأجيال جيلا بعد جيل فما على الباحثين الذين يدعون أنهم لايعرفون الكثير من حياته قبل البعثة إلا أن يسألوا علماء الإسلام عامة والأزهر خاصة عما يخفى عليهم إن كانوا حقا يطلبون المعرفة ، والله عزوجل يقول :

(وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحىّ اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون)[1]

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٧

" الفصل الثاني "

مطاعن المستشرقين حول زواج النبي " صلى الله عليه وسلم "

جل كتاب الغرب لم تسلم كتبهم من الطعن في الإسلام

فهم في الغالب يختلقون المثالب والنقائص ويلحقوها به ، فنراهم

يعيبون الإسلام بتعدد الزوجات علما بأن الإسلام أباح التعدد

بشرط العدل فإن خيف الميل فالواجب الاحتراز والاقتصار على

الواحدة ولكنهم لا يذكرون هذا الأمر ليظهروا في أعين أممهم

أن الإسلام كله عيوب ، ومما يدل على أن مسلكهم بنية عدوانية

تجاهلهم ماكرم به الإسلام المرأة بما لم تشهده من قبل ولم

يقتصروا على طعن الإسلام في صورة تشريعه العادل الرحيم

بل نددوا بزواج سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وتناسوا أن كثيرا

من الأنبياء قد تزوجوا بأكثر من واحدة ، ولم يعيبوا عليهم هذا المسلك

، ولذا جعلت هذا الفصل من الرسالة لإيضاح هذه الأمور والرد على

مطاعن القوم حول زواج النبي صلى الله عليه وسلم .

المبحث الأول

الرد على المطعن الاستشراقي لتعدد الزوجات في الإسلام

العجب كل العجب ممن يقول إن المستشرقين غيروا نظرتهم للإسلام ولرسوله عليه الصلاة والسلام، فصاروا منصفين في الغالب خصوصا منذ نهاية القرن التاسع عشر، بينما الواقع يشهد بخلاف هذا. فما زلنا نسمع ونقرأ ما يصوبونه من سهام إلى الإسلام في صورة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفي صلب رسالته ومن بين السهام الموجهة للإسلام طعنهم في إباحة التعدد للزوجات عند المسلمين واتهامهم للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه زير نساء، وسأعرض مزاعمهم ثم أفندها.

أولا : بالنسبة لتعدد الزوجات في الإسلام :

يتهم المستشرقون الإسلام بأنه دين لبى رغبة العرب في تعدد الزوجات، وكأن التشريع الإسلامي في نظرهم لم يأت للمصلحة العامة، وإنما جاء بتميل الناس للدخول فيه، بإباحته لهم الشيء الذي يشتهونه ولذ يقول أحدهم :

" ولقد كانت العرب أكثر شهوانية من كثير من الشعوب ولهذا أجاز الإسلام تعدد الزوجات (١) ".

وللرد على هذا الزعم : أقول :-

إن التعدد موجود قبل الإسلام عند اليونان، والرومان، واليهود، والمسيحيين، والعرب، فالإسلام لم يبح التعدد بدون أن يكون له وجود من قبل، والإسلام

---

(١) قصة الحضارة لول ديورانت ج ٢ من المجلد الرابع ص ٦٧
(عصر الإيمان)

ليس خاصا بالعرب وحدهم ليراعى فى التشريع أمة العرب فقط ، ولقد جاء الإسلام والعربى يجمع بين الثمان والعشر من النسوة فاتخذ موقفا حكيما ، فلم يمنع التعدد وإنما حدده ، وقيده ، مراعيا بذلك مصلحة الأمة ، فأباح للرجل الجمع بين أربع من النسوة ، وحرم عليه الزيادة وقيد الإباحة بالعدل بينهن فمن لم يستطع العدل لايباح له التعدد يقول الله عز وجل : (وإن خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم الاتعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا)[1] فان خفتم ألا تعدلوا فيمن تريدون نكاحهن طمعا فى مالهن لا رغبة فيهن ممن لكم عليهن وصاية ، أو تتزوجوهن بغير قسط فى الصداق ، فانكحوا ماطاب لكم من النساء غير اليتامى ، مثنى وثلاث ورباع بشرط العدل فإن خفتم الميل والجور فواحدة ، والمقصود بالعدل هو العدل المستطاع ويكون بالمساواة فى الحقوق الشرعية ، فى المبيت ، والمأكل ، والمسكن والملبس ، أما مالاطاقة للمرء عليه ولااختيار له فيه كالميل القلبى نحو واحدة دون سواها فلا تشترطه الآية ، والله عز وجل أخبرنا بأن هذا الميل ليس فى وسعنا : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما)[2] هذا مفهوم التعدد فى الإسلام وحكمته لاتخفى على إنسان وهو علاج لمشاكل الأمم والأجناس ، فلاداعى للقول بأن الإسلام أباحه للعرب لكثرة الشهوانية عندهم ، فكثرة الشهوة فى مكان

---

(١) سورة النساء الآية ٣

(٢) " " الآية ١٢٩

مايعنيه تكون عند الذكر والأنثى لاعند الرجل وحده ،ولماذا يتخذ الفرد بديل التعدد – ويباشر غير زوجته فى الحرام ؟ إن كان لايقترهذا الفرد لمكتفى حقا بزوجته .

ثانيا : لماذا تزوج النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من أربع ؟

زواجه صلى الله عليه وسلم بأكثر من أربع خصوصية من خصوصياته والحق تبارك وتعالى اختصه صلى الله عليه وسلم بأمور كثيرة منها فرض التهجد وتحريم الصدقة عليه وعلى آله ،فلا ينبغى تفسير هذا بالتوسعة له فى أمر حدد فيه لاتباعه لأنه صلى الله عليه وسلم حين اجتمع فى فراشه تسع من النسوة كان التحديد من الله تعالى : (لايحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ماملكت يمينك وكان الله على كل شىء رقيبا (١)) بينما ظل باب التزوج وتبدل الأزواج مفتوحا لأتباعه كما رسم الشرع فى غير شطط وضياع للحقوق لمن كان تحته أربع من النسوة وطلق إحداهن أو ماتت أباح له الشرع الزواج بأخرى وهكذا

ثالثا : العودة إلى مزاعم المستشرقين حول زواج خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم :

وأعود إلى مزاعم المستشرقين حول زواج النبى صلى الله عليه وسلم :

يقول "درمنغم": شعر محمد فى العقد الأخير من عمره بميل كبير إلى النساء فقد أثارته عائشة الفتاة التى تزوجت فى السنة التاسعة من عمرها (٢) ثم يستمر فى سبك زعمه فيقول : بلغ محمد المدينة وصار رئيس دولة وقائد حرب فأقام لنفسه بيتا

(١) سورة الأحزاب الآية ٥٢

(٢) حياة محمد " صلى الله عليه وسلم " ترجمة عادل زعيتر ص ٢٩٩ ط ٢١ ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م.

كبيوت سادات العرب ،فأبرم كهؤلاء السادات ، عقود نكاح كثيرة عن حب أو عن سياسة ،فضلا عن عدم زهده فى سرارى جميلات عرض عليه هداية أو نالهن سبيا [١]

رابعـــا : رد هذه المزاعـــم :

ماتقول به هذا المستشرق تحدث به كثير من أقرانه ،وقديما ردأعداء الإسلام مثل هذا الإدعاء ورد الله عز وجل عليهم : (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب) [٢] ويكفى كل مفتر أن يسمع هذه الآية ،ولكن أعداء الإسلام فى العصر الحاضر مايزالوا على عهد أسلافهم فى الماضى ، فجولد تسيهر يستدل على طغيان الميل الجنسى عند رسول الله فيبتر الحديث الشريف بعد تقديم بعض الألفاظ فى الحديث على البعض الاخر فيقول : " حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء " ومن يطلق عليه لفظ المعتدل أو المنصف كـ " غوستاف لوبون " لا يبرأ من الولوغ فى هذا الإثم ،فيقول : وضعف محمد الوحيد هو حبه الطارئ للنساء وهو الذى اقتصر على زوجه الأولى حتى بلغ الخمسين من عمره ،ولم يخف محمد حبه فقد قال : حبب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة [٣] . ولو أخبر القوم بأنبيائهم أو بمن تقدم من الأنبياء لناقشوا القضية مع كتبهم وأثبتوا مثل هذا لأنبيائهم واقتنعوا بأن للأنبياء شأنهم ولكن البغض لا الحب أعماهم وأصمهم ، فقد تزوج الأنبياء إلا مانذر ،وعدد كثير منهم فسيدنا إبراهيم ،وداود ،وسليمان

---

(١) المرجع السابق

(٢) سورة الرعد الآية ٢٨

(٣) حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر ص ١١٢ ط٣ طبع مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م

وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد تزوجوا بأكثر من واحدة : فإبراهيم عليه السلام قد تزوج ساره ، وجاريتها هاجر ولما ماتت ساره عاد ابراهيم فأخذ زوجـــه اسمها " قطوره " كما هو مذكور فى سفر التكوين ·

وأيضا داود كان له الكثير من الزوجات والسرارى " فى سفر صموئيل الثانى "

وأخذ داود أيضا سرارِىَ ونساء من أورشليم بعد مجيئه من حبرون فولد أيضـــا لداود بنون وبنات "(١) والعجيب ماذكر فى كتابهم أنه لما قضى داود بقتل الغنى الذى ذبح نعجة الفقير ورد النعجة أربعة أضعاف كافأه الرب بالملك والانقاذ من يد شاؤل ، وأعطاه بيت إسرائيل ، ونساء ملكها ، كما ورد فى سفر صموئيل فقال ناثان لداود أنت هو الرجل هكذا قال الرب إله إسرائيل أنا مسحتك ملكـــــا على إسرائيل وأنقذتك من يد شاؤل وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك فى حضنـــك وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا وإن كان ذلك قليلا كنت أزيد لك كذا وكذا(٢) ·

والأعجب بل والأغرب من هذا أنه لما تقدمت بداود السن ولم يستطع مقاومـــة البرد مهما وضعوا عليه من دثار أتواله بفتاة جميلة لتدفئته كما ورد فى سفر الملوك : فقال له عبيده ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء فتلقف أمام الملك ولتكـــن له حاضنه ولتضطجع فى حضنك فيدفأ سيدنا الملك ففتشوا على فتاة جميلة فـــى جميع تخوم إسرائيل فوجدوا أبيشج الشونميه فجاءوا بها إلى الملك(٣) ·

أما سيدنا سليمان عليه السلام فيحكى سفر الملوك : وكانت له سبعمائة من النســاء

---

(١) الكتاب المقدس " العهد القديم والعهد الجديد ص ٤٩٠ (٥ : ١٣ ،) مطبعـــة دار حلمى للطباعة بمصر ·

(٢) المرجع السابق ص ٥٠٠ (١٢ : ٧ ، ٨)

(٣) المرجع السابق ص ٥٢٨ (١ : ٢ ، ٣)

السيدات وثلاث مائة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه [1] وذلك بخلاف من التصق بهم بالمحبة كما ذكرنا فى هذا السفر ، ونحن المسلمين نؤمن بأن هؤلاء الأنبياء الكرام صلوات الله وسلامه عليهم تزوجوا بأكثر من واحدة واتخذوا الإماء ، وهذا لا ينافى النبوة ولا يقلل من شأنها . ولكن نبرئهم من التهم الكاذبة التى ألصقهما كتاب التوراة بهم فالأنبياء عصمهم الله من الدنايا وبرأهم من كل مايشين ونزههم من كل مايدنس فكيف يقبل داود من جيدة هذه الشاة الاسرائيلية زوجة وهو فى فراش الموت ؟ وكيف تميل نساء سليمان قلبه ؟ وهو المشهور بالعدل إن الرجل الكامل لا يقع فى مثل هذه السقطات فما بالنا بمن أتاهما الله الحكمة والعلم لا شك أن القوم قد انحرفوا عن طريق الجادة حتى فى نظرتهم لأنبيائهم ويكفى مبالغتهم فى عدد أزواج سيدنا سليمان عليه السلام .

خامسا : عودة إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حبب إلى من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة [2] .

فلفظ الحديث ورد عن أنس بن مالك بهذه الصورة ، وماذكره جولد تسيهر من قوله حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء خطأ والذى ورد عن ابن سعد عن ميمون مرسلا فى منتخب كنز العمال : ما أحببت من عيش الدنيا إلا الطيب والنساء [3] وما صرح به غوستاف لوبون من قوله " حبب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت

---

(١) المرجع السابق ص ٥٥٣ (١١ : ٣) (٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة : محمد المدعو بمحمد الرؤوف المناوى على كتاب " الجامع الصغير " من أحاديث البشير النذير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى جـ ٣ ص ٣٧٠ ط ١ مطبعة مصطفى محمد بمصر ١٣٥٦هـ = ١٩٣٨م .

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للشيخ علاء الدين على حسام الدين الشهير بالمتقى الهندى جـ ٣ صـ ٣٣

قرة عيني في الصلاة " خطأ فاحش فالوارد حبب إلي من دنياكم " بدون لفظ ثلاث قال الحافظ العراقي في أماليه : لفظ ثلاث ليست في شيء من كتب الحديث وهي تفسد المعنى (١) ولفظ النساء مقدم على الطيب في الحديث الصحيح بخلاف ما ذكره المستشرقان وذكر النساء أولا وارداقه بالطيب له مغزى وقدم النساء للاهتمام بنشر الأحكام وتكثير سواد الإسلام وأردفه بالطيب لأنه أعظم الدواعي لجماعهن المؤدي إلى تكثير التناسل في الإسلام مع حسنة بالذات وكونه كالقوت للملائكة الكرام . وأفرد الصلاة بما يميزها عنهما بحسب المعنى اذ ليس فيها تقاضي شهوة نفسانية كما فيهما . وإضافتها إلى الدنيا من حيث كونها ظرفا للوقوع وقرة عينه فيها بمناجاته ربه ومن ثم خصها دون بقية أركان الدنيا هذا ماذكره القاضي كغيره في بيان وجه الترتيب . (٢) وكونه صلى الله عليه وسلم يذكر حبه للنساء والطيب وقرة عينه بالصلاة ليس داعيا لاتهامه بالشهوة الجامحة وواقع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد بعفته ويكذب دعوى مبغضيه فلم ينشغل بأمور النساء عن أمور الدعوة . ورغم حبه وعطفه على نسائه ورحمته لأنوثتهن وبره بهن . لم تتدخل واحدة منهن في أمر من أمور الدين لتغييره كما يحدث في عصرنا الحاضر من نساء وأزواج الحكام الذين لايؤيدون التعدد . فكم من امرأة دخلت حياتهم وهم في قمة السلطة فسيطرت على عقولهم وتسببت في انحرافهم وتغييرهم لاحكام كانت مسنونة أوسنوها لهم . وما يحدث في الغرب والشرق ليس بغائب عن المستشرقين ولقد عدد صلى الله عليه وسلم . وأحب نساءه وما سمح لواحدة منهن أن تنتهك حرمة الله أو تتجرأ على شرع الله . ولقد عاشت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ ٣ ص ٣٧٠ بالهامش

(٢) المرجع السابق جـ ٣ صـ ٣٧١ .

زاهدات فى الحياة وزينتها حبا فى الله تعالى وأرضاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكن محجبات مؤدبات ومن كل عيب مبرآت .

وبعد هذا الرد أجد لزاما على تكذيب د رمنغم فى اتهامه للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه بعد مكة بالمدينة : أقام لنفسه بيتا كبيوت سادات العرب وسأقتصر فى الرد عليه بما رواه بن سعد فى وصفه لبيت النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ففيه عبرة قال عمر بن أبى أنس كان منها أربعة أبيات يلين لها حجر من جريد وكانت خمسة أبيات من جريد مُطَيَّنه لاحجر لها ،على أبوابها مسوح الشعر ،ذرعت الستر فوجدته ثلاث أذرع فى ذراع والعظم أو أدنى من العظم فلثاما ذكرت من البكاء يومئذ فلقد رأيتنى فى مجلس فيه نفر من أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ،وأبو أمامة بن سهل بن حنيف وخارجة بن زيد بن ثابت وإنهم ليبكون حتى أخضل لحاهم الدمع وقال يومئذ أبو أمامة ليتها تركت فلم تهدم حتى يقصر الناس عن البناء ويروا مارضى الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ومفاتيح خزائن الدنيا بيده [1] وفى هذا عبرة لمن يعتبر (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) [2]

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد المجلد الأول ص ٥٠٠ طبعة بيروت
١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م

(٢) سورة ق الآية ٢٧

المبحث الثاني

زيجات الرسول صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة إلى السيدة أم سلمه رضى الله عنهن

وضح فيما سبق أن زواج النبى صلى الله عليه وسلم بأكثر من أربع كان خصوصية من خصوصياته ولكن المفكرين الأجانب فى الغالب جعلوا من تعدد زواج النبى صلى الله عليه وسلم فرصة لتوجيه طعونهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فوجدت لزاما على أن أجلو حقيقة هذا الأمر الهام حتى تظهر الحكمة فى النهاية من هذا الزواج واضحة وذلك ببيان كل زيجة من زيجات أمهات المؤمنين رضى الله عنهن مع ذكر الدافع لهذا الزواج .

السيدة " خديجة " رضى الله عنها

السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى فهى حسيبة نسيبة شريفة فاضلة " زواجها برسول الله صلى الله عليه وسلم "

كانت السيدة خديجة رضى الله عنها ثيبا عاقلا تقدم لخطبتها أثرياء مكة ورفضتهم ،ثم رغبت فى الزواج من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما لمسته فيه من أمانة وصدق ،وما أخبرها به غلامها ميسرة مما شاهده أثناء الرحلة مع محمد صلى الله عليه وسلم ، قالت نفيسة (١) فأرسلتنى إليه دسيسا أعرض عليه نكاحها

---

(١) كان الرسول بين خديجة وبين النبى صلى الله عليه وسلم نفيسة بنت منيه أخت يعلى بن منيه وأسلمت يوم الفتح فبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكرمها .

ففعل ، وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد بن عبد العزى بن قصى فحضر ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى عمومته ، فزوجه أحدهم (١) وتم الزواج وهو ابن خمس وعشرين سنة ولها أربعون سنة .

هى سند أمين للدعوة : فنعم الزوجة المخلصة الوفية ، فبطيب عنصرها وكرم أخلاقها ورجاحة عقلها عاونت النبى صلى الله عليه وسلم ، وآمنت بدعوته فى بدئها ، ووقفت بجواره تناصره وتشد أزره وتمسح عرقه وتهون عليه المصاعب والمتاعب وفى فضائلها روى مسلم فى صحيحه : عن أبى زرعة قال سمعت أبا هريرة قال (أتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه ادام وطعام أو شراب فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصب) (*) (٢) وحسبها ماقاله فى حقها " آمنت بى إذ كفر الناس وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء " وهى محاسن جمة نالتها أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها فسلم عليها رب العالمين وجبريل الأمين وبشرت بمقعد صدق فى عليين ، وهذا جزاء من الله للمحسنين ، فهى من أوائل المؤمنين المصدقين ، وسند للدعوة لايلين ، ورزق الله رسوله الأمين منها بالبنات والبنين زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، والقاسم وكان يكنى به صلى الله عليه وسلم ، وعبد الله وهو الملقب بالطاهر والطيب وبقيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد " المجلد الثامن " ص ١٦

(*) مفردات الحديث أتتك : معناه توجهت إليك — وقوله فإذا هى أتتك أو وصلتك بيت من قصب قال جمهور العلماء المراد به قصب اللؤلؤ المجوف وقيل قصب من ذهب منظوم بالجوهر قال أهل اللغة القصب من الجوهر مااستطال منه فى تجويف ، والصخب الصوت المختلط المرتفع والنصب المشقة والتعب " صحيح مسلم بشرح النووى جـ٥ ص ١٩٩ بالهامش .

(٢) المرجع السابق

زهرة شبابه ولم يتزوج عليها غيرها وكان فى استطاعته أن يتزوج عليها خاصة قبل أن يتحمل أعباء الرسالة وكمادة المجتمع المكى وقتئذ ، وفى هذا مايكتم أنفاس المتقولين بميله للجنس للنساء ، ولقد توفيت رضى الله عنها لعشر خلون من شهر رمضان وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين وهى يومئذ بنت خمس وستين سنة

ومن هذا التاريخ الحافل نعلم :

١ـ أن النبى صلى الله عليه وسلم ظل زوجا لخديجة رضى الله عنها إلى أن لحقت بالرفيق الأعلى وسنه صلى الله عليه وسلم خمسون سنة ولم يعدد عليها وهو فى ربيع العمر وريعان الشباب .

٢ـ أن هذا الزواج كان مقدرا بتوقيت معلوم تمهيدا للرسالة وعونا لصاحبها

٣ـ اختارها الله عز وجل لرسوله زوجا لتتم مسيرة الدعوة وتنجح فى مهدها ولينجو قائدها من المكائد ، فهى جند من جنود الدعوة " وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هى إلا ذكرى للبشر "

السيدة " سوده " رضى الله عنها

أما السيدة سوده بنت زمعه ، فقد كانت زوجه لرجل يسمى السكران بن عمرو بن عبد شمس ابن عبد ود وقد أسلمت بمكة قديما وأسلم معها زوجها ، وخرجا معا من مكة مهاجرين الى أرض الحبشة فى المرة الثانية وفى أرض المهجر تنصر زوجها السكران ومات فعادت من الهجرة إلى مكة بينما لايزال أهلها على الشرك وهى مسنه لاتستطيع الكد فى الحياة لطلب الرزق فأصبحت بين أمرين : إما أن تلجأ الى أهلها وهم يتربصون بها لإسلامها رغما عن أنوفهم ، وربما يفتنوها عن دينها ، وإما أن تعيش وحيدة عالة على الناس ، وصاحبة العزيمة القوية لا ترضى بذلك فرحمة بها ، وصيانة لها ، وتكريما لها أرسل صلى الله عليه وسلم خولة بنت حكيم زوجة عثمان بن مظعون لتخطبها عليه صلى الله عليه وسلم .

زواج النبى صلى الله عليه وسلم بها :

عن محمد بن عبد الله بن مسلم قال سمعت أبى يقول : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة فى رمضان سنة عشر من النبوة بعد وفاة خديجة وقبل تزوج عائشة ودخل بها مكة وهاجر بها إلى المدينة [1] .

وكانت رضى الله عنها مسنة لا أرب فيها للرجال رضيت أن تكون ضمن أزواجه صلى الله عليه وسلم واكتفت بهذا الشرف العظيم ومما يدل على حبها لرسول الله -

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد " المجلد الثامن " ص٥٣

صلى الله عليه وسلم تنازلها عن يومها لعائشة طواعية لعلمها بحب الرسول لها

وتوفيت سودة بالمدينة فى شوال سنة أربع وخمسين فى خلافة معاوية بن أبى سفيان وكانت " رضى الله عنها " صوامة قوامة سخية تتصدق بالكثير ولاتدخر القليل ..

واستخلص من هذا :

١- أن النبى أراد بهذا الزواج حفظ سودة من الفتنة فى دينها أو الاهانة لشخصها بعد أن برهنت على صدق اخلاصها وحبها لدينها .

٢- ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى لأصحابه ليقدموا على الزواج من نساء المؤمنين المجاهدين اللاتى فقدن أزواجهن فى سبيل الله تعالى .

٣- لم يكن المراد بهذا الزواج الشهوة وهذا واضح من تقدمها فى السن ومن تركها يومها فماذا بقى للأفاكين ؟ ليطعنوا فى هذا الزواج الكريم وكان الأجدر بهم أن يشكروا هذا السلوك لصاحبه . فصاحبه فى منتهى العطف والإحسان .

السيدة عائشة " رضى الله عنها "

وهى بنت أبى بكر الصديق بن أبى قحافة ، واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر ، وأمها أم رومان بنت عمير ، ولقد شاءت إرادة الله تعالى أن يتزوج الرسول صلى الله عليه وسلم بنت الصديق لتزداد الصلة والرابطة بينهما قوة وتوثيقا وليحقق أمنية الصديق رضى الله عنه .

زواج النبى صلى الله عليه وسلم بها :

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبى بكر بمكة وهى بنت سبع سنين (ه) ، وبنى بها بالمدينة وهى بنت تسع سنين ، زوجه إياها أبوها ، وكان صداقها أربعمائة درهم وكناها رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن أختها أسماء فعن هشام بن عروة عن عباد بن حمزة أن عائشة قالت : يانبى الله ألا تكنينى ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم " اكتنى بابنك عبد الله بن الزبير فكانت تكنى بأم عبد الله " (١) وكان أمر هذا الزواج بوحى السماء ومباركة الأمين جبريل لا شهوة من سيد المرسلين ومن الذى يشتهى بنت ست سنوات ليعقد عليها القران وينتظرها بعد ثلاث سنوات قد يقول البعض ربما يحدث هذا ، ولكنهم لا يقولون بحدوثه لرجل تزوج مرتين ونيف على الخمسين من العمر . عن عائشة أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أريتك فى المنام ثلاث ليال جاءنى بك الملك فى سرقة من حرير فيقول هذه امرأتك فأكشف عن وجهك فإذا أنت هى فأقول إن يك هذا من عند الله يمضه) (٢)

(ه) وفى رواية وهى بنت ست سنين بدل من سبع سنين ويجمع بينهما بأنها كانت أكملت السادسة ودخلت فى السابعة كما قال الحافظ بن حجر فى الإصابة .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٦٦

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٥ ص ٢٠٣ (كتاب الفضائل - باب فضائل أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها)

وفى قصة زواجها يقول ابن القيم :

ثم تزوج بعدها " أى بعد سودة بنت زمعه " أم عبد الله عائشة الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سماوات حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبى بكر الصديق وعرضها عليه الملك قبل نكاحها فى سرقة من حرير وقال هذه زوجتك ، تزوج بها فى شوال وعمرها ست سنين وبنى بها فى شوال فى السنة الأولى من الهجرة وعمرها تسع سنين ولم يتزوج بكرا غيرها ومانزل عليه الوحى فى لحاف امرأة غيرها وكانت أحب الخلق إليه ونزل عذرها من السماء واتفقت الأمة على كفر قاذفها وهى أفقه نسائه وأعلمهن بل أفقه نساء الأمة وأعلمهن على الإطلاق[1] . روت عن النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا من الأحاديث وعن كبار الصحابة وروى عنها كثير منهم ، وكانت مرجعا فى العلم قال أبو الضحى عن مسروق رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكابر يسألونها عن الفرائض ، وقال أبو بردة بن أبى موسى عن أبيه ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمر قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علما[2] .

لحوقها بالرفيق الأعلى :

توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى بنت ثمانى عشرة سنة وبقيت بعده صلى الله عليه وسلم مدرسة للفقه والطب ، والعلم إلى أن جاءها الموت بعد حياة حافلة بالخير يقول محمد بن عمر : توفيت عائشة ليلة الثلاثاء لسبع عشرة مضت من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين ودفنت من ليلتها بعد الوتر وهى يومئذ بنت ست وستين سنة[3]

---

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد محمد صلى الله عليه وسلم جـ ١ ص ٢٦

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى جـ ١٢ ص ٤٣٥ ، ط١ مطبعة مجلس دائرة المعارف ١٣٢٧ هـ

(٣) الطبقات الكبرى جـ ٨ ص ٧٨

وبذا نعلم أنها لحقت بالرفيق الأعلى سنة ثمان وخمسين هجرية وعمرها ست وستون سنة وهذا ما عليه الإجماع وبطرح السنوات الهجرية من سنوات عمرها نحصل على عمرها قبل الهجرة وهو ثمان سنين قضتها بمكة وهذا يؤكد لنا تزوج النبي بها وسنها تسع سنوات فلقد بنى بها بعد مقدمه المدينة بثمانية شهور ويتضح من زواج النبي صلى الله عليه وسلم بالسيدة عائشة رضى الله عنها الآتي :

١ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى بعائشة رضى الله عنها وسنه أربع وخمسون سنة وسنها تسع سنين •

٢ـ ترتب على هذا الزواج زيادة القرب والصلة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضى الله عنه مما أتاح الفرص لخدمة الدعوة • وظهرت آثار هذا الزواج في الهجرة ومابعدها من مواقف •

٣ـ أعطى للأمة قاعدة شرعية ـ وهى جواز الدخول بالفتاة في سن التاسعة

٤ـ تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بالسيدة عائشة في هذا السن لحكمة جليلة فذاكرة الصغير قوية على الحفظ نشيطة للاستماع وكان لها نصيب وافر من سماع أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظها وتبليغها كما سمعتها يقول صاحب " فتح المنعم ببيان ما احتيج لبيانه من زاد المسلم " في وصف علمها : كانت فقيهة ربانية من أحب نساء النبي صلى الله عليه وسلم وهى من المكثرين من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ألفا حديث ومائتا حديث وعشرة أحاديث اتفق البخارى ومسلم على مائة وأربعة وسبعين منها وانفرد البخارى بأربعة وخمسين

ومسلم بثمانية وستين (١) .

٥ـ أثرت الأئمة الإسلامية علما جما بهذا الزواج كما علمنا من مصادر موثوق بهــا .

وكل أمانة أقول هذا الزواج كان نصرا للدعوة الإسلامية وتقوية لأواصر الصلــة بين أتباعهــا ، ونشرا للإسلام وتعاليمه فى كافة الأرجاء ، وكان هذا كله الدافــع على هذا الرباط فلم يكن الباعث عليه الحب الأهوج كما يدعى أعداء الإسلام ، وإنما كان من ثمرته الحب المستقيم الذى أشار اليه القرآن الكريم : " ومن آياتــه أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلــك لآيات لقوم يتفكرون " (٢) .

السيدة حفصة رضى الله عنهـا

السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية كانت زوجا لخنيس بن حذافة السهمى وكان بدريا ، وأبلى بلاء حسنا فأصيب فى غزوة بدر الكبرى ومات عقبها ، وبعــد انقضاء عدة حفصة عرض أبوها على أبى بكر أن يتزوجها فسكت ، ثم عرض ذلك علــى عثمان بعد موت زوجته رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم فاعتذر ، فأثر موقــف أبى بكر وعثمان فى نفس عمر فهو العربى الأبى وما ظن أن يرفض عرضه من أى من صاحبيه لما بينه وبينهما من مودة ومحبة ، فما كان منه إلا أن رفع الأمر لرسول الله صلى اللــه عليه وسلم :

---

(١) زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم للإمام محمد حبيب الله بن الشيخ سيدى عبد الله بن سيدى أحمد المشهور بما يأبى الجكنى جـ٤ ص٣٢ مطبعة المدنى بالقاهرة ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م .

(٢) سورة الروم الآية ٢١

الرسول يعلن الزواج من حفصة معالجة لما حدث :

فيقول صلى الله عليه وسلم لأبيها : قد زوج الله عثمان خيرا من ابنتك وزوج ابنتك خيرا من عثمان (١) . وقد كان تزوج عثمان أم كلثوم بنت النبى صلى الله عليه وسلم وتزوج الرسول صلى الله عليه وسلم حفصة ، وحدث هذا فى السنة الثالثة من الهجرة ، وهذا الزواج فى حقيقته تكريم لعمر رضى الله عنه كما كرم الرسول أبا بكر رضى الله عنه من قبل ، فنالا المساواة فى الشرف بمصاهرته صلى الله عليه وسلم ويعلم من هذا أن زواج النبى بالسيدة حفصة كان توثيقا للصلة بأبيها وجمعا لشمل أتباعه الناصرين للدعوة ، ولونا من المواساة للسيدة حفصة التى فقدت زوجها من أول معركة ، وصورة حية للوفاء لزوجها الذى أستشهد فى سبيل الله .

السيدة زينب بنت خزيمة " رضى الله عنها "

وفى شهر رمضان من السنة الرابعة للهجرة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة أم المساكين .

يقول ابن هشام : وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف وكانت قبل عبيدة عند جهم بن عمرو بن الحارث وهو ابن عمها (٢) . ولقد استشهد زوجها عبيدة فى أحد ، وكانت رضى الله عنها معه فى المعركة تقوم باسعاف الجرحى واسقاء المحاربين ، وتضميد جراح المكلومين ولصبرها وتضحيتها شد النبى أزرها وجبر خاطرها بزواجه منها وفضل الله تعالى عظيم فشاءت إرادته تعالى أن يكافئ .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٨ ص ٨٢

(٢) السيرة النبوية لابن هشام حـ ٤ ص ٢١٧

من رحمت المساكين ورتهم بسخاء لايقدر حتى لقبت بأم المساكين ، فأعطاهـــــــا الله لقب أم المؤمنين ولقد لحقت بالرفيق الأعلى بعد فترة وجيزة من عشرتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسلام عليها في المجاهدين .

ولنا أن نتساءل ماهى الشهوة والنشوة الموجودة والحاصلة فى هذا الزواج الكريم؟ إنها شهوة الحب فى الله ونشوة الطاعة له تبارك وتعالى ، دعت النفس العاليـــة أن تتحمل المسئولية فتنوىء هذه المترملة ، وتعوض أبناءها الأبوة بأبوة أعلى منهـــا والله عز وجل يقول : (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلـــوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطورا)(1) وقوله صلى الله عليه وسلـــم فى الحديث الشريف : (أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أوضياعا فإلى وعلـــى)

السيدة أم سلمة " رضى الله عنها "

أما أم سلمه وأسمها هند بنت أبى أمية ، واسم أبيها " سهيل زاد الركـــــب " بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن علقمة جزل الطعان بن فراس بن غنم بن مالك ابن كنانة ، وكانت زوجة لأبى سلمه فاسلمت معه واستاءت قريش لإسلامهما فنكلت بهما ولكنهما لم يستكينا أو يستسلما فـ وهاجرا إلى الحبشة الهجرتين الأولى والثانية ، ولما أرادات الهجرة إلى المدينة

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٦

أجبرها قومها وحالوا بينها وبين صحبة زوجها ، وعلم أهل زوجها بما حدث من قومها ، فذهبوا إلى بني مخزوم وطلبوا " سلمة " ولما رفض بنو مخزوم أخذوا يتجاذبون الطفل حتى تمكنوا من انتزاعه بعد خلع يده ، إنها محنة قاسية ، ومأساة دامية فالأم عند أهلها والولد الجريح عند بني عبد الأسد (أهل الزوج) وأبوه قد هاجر إلى المدينة وساق الله من ترجى قومها في السماح لها باللحاق بزوجها ، ومن طلب من بني عبد الأسد إعطاء الولد لها فوافق الجميع وفرج الله همها بعد أن قضت فترة عصيبة وانطلقت بولدها مهاجرة إلى المدينة ، وتم جمع شمل الأسرة المسلمة هناك .

وفاة أبي سلمة :

تاريخ أبي سلمة حافل بالجهاد فهو من أوائل المسلمين ، والمهاجرين ومن صفوة المجاهدين شارك في المعارك الإسلامية وقاتل في بدر وأحد وأصيب في هذه الغزوة ومات من أثر الجرح وحزنت أم سلمة على زوجها حزنا عميقا ، ولها أن تحزن فهو الزوج البار والمؤمن حقا ، والمجاهد الصادق ، وواساها النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المصاب وقال لها صلى الله عليه وسلم سلي الله أن يؤجرك في مصيبتك ، وأن يخلفك خيرا فقالت : ومن يكون خيرا من أبي سلمة ؟

إنها لاتعلم الغيب حتى كشفه الله وعوضها بالنبي صلى الله عليه وسلم زوجا .

زواج النبي صلى الله عليه وسلم بالسيدة أم سلمة رضي الله عنها

أثمر سلوك النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، وكان من نتيجة إقباله على زواج المسلمات اللائي فقدن أزواجهن في الجهاد في سبيل الله أن تقدم أبو بكر وعمر بطلب الزواج من أم سلمة لكنها اعتذرت ويتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لخطبتها فتعتذر إليه أيضا بما اعتذرت به سابقا قائلة : اني امرأة مسنة ، وإني أم أيتام ، وإني شديدة الغيرة ، قالت فأرسل الي رسول الله : أما قولك اني امرأة مسنة فأنا أسن منك ولا يعاب على المرأة أن تتزوج أسن منها وأما قولك اني شديدة الغيرة ، فإني أدعو الله أن يذهب ذلك عنك .

ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في ليال بقين من شوال سنة أربع من الهجرة . وبعد حياة حافلة لحقت بالرفيق الأعلى ، وكان لها يوم الوفاة أربع وثمانون سنة أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني عبد الله بن نافع عن أبيه قال : ماتت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، في سنة تسع وخمسين فصلى عليها أبو هريرة بالبقيع .[1]

ماذا بقي للمستشرقين من تقول في هذا الزواج ؟

امرأة قاست كل هذه المحن التي ذكرتها ، وتحملت المصاعب في سبيل الله وأنجبت العديد من العيال ، ولم يبق لها الحزن على وفاة زوجها أثرا من الجمال وقد أطنت هي كبر سنها ، أما كان مرا لأفضل للعاقل أن يظهر الناحية الإنسانية

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٩٦

فى هذا الزواج وهى واضحة ،وأن يشكر صاحب الخلق الرفيع وهو إلى الشكر غير محتاج على أننا نخطئ حين ننتظر ممن يصفون الخائنين أبطالا ،والانذال رجالا ، أن ينصفوا الرسول الكريم فى هذه الناحية ،أو يحترموا عقولهم بالسكوت .

المبحث الثالث

أم المؤمنين " زينب بنت جحش " رضى الله عنها

زينب بنت جحش بن رباب ،وأمها أميمة بنت عبد المطلب ، وفى قصة زواجها بالنبى صلى الله عليه وسلم روايات مختلفة اتخذها أعداء الدين تكأة ،فقلما نجد واحدا من المبشرين والمستشرقين أعرض عن ذكرها ،إنهم فى الواقع وجدوها فرصة سانحة ،فألفوا برنامجا من الدعاية المغرضة ،ونشروا أباطيلهم بكل الوسائل ،ولكن الذى شجعهم وأعانهم فى سفههم نقل بعض رواة الإسلام لهذه الافتراءات والأراجيف بدون فحص وتدقيق اكتفاء بذكر السند علما بأن هذه الروايات غير مقبولة سندا ومتنا

ومن أمثلة الروايات المكذوبة :

أ- رواية ابن سعد :

قال ابن سعد : أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى عبد الله بن عامر الأسلمى عن محمد بن يحيى بن حبان ،قال : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت زيد بن حارثة يطلبه ،وكان يقال له : زيد بن محمد ،فلم يجده بالمنزل ،وكانت زوجه زينب بالمنزل فى ثياب مهنتها ،فوثبت عجلى لعلمها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالباب فأعجب بها ،فانصرف وهو يهمهم

" سبحان الله العظيم سبحان مصرف القلوب " فلما جاء زيد أخبرته زوجته بما جرى من رسول الله صلّى الله عليه وسلم : فظن أنها أعجبته فأراد أن يفارقها وكلما أخبر الرسول بذلك قال له أمسك عليك زوجك وأخيرا فارقها زيد بعد انقضاء عدتها جاء الوحي يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بزواجها (١) .

نقد رواية ابن سعد سندا ومتنا :

أولا من ناحية السند :

أ ـ هذه الرواية مرسلة . فمحمد بن يحي بن حيان تابعي مدني فقيه . يروى عن أبيه وعمه واسع ورافع بن خديج . وأنس وغيرهم وروى عنه الزهرى ويحى ابن سعيد الأنصارى ومالك . والليث وآخرون . وقد كانت وفاته سنة إحدى وعشرين ومائة (٢)

ب ـ ومحمد بن عمر الواقدى لا يعتد به عند علماء الحديث تركه أحمد وابن المبارك ضعفه . وكذبه كثير من المحدثين وقال أبو داود : لاأكتب حديثه . ولا أحدث عنه ما أشك . وذكر أبو حاتم وابن راهوية والنسائى أنه كان يضع الحديث (٣) .

جـ ـ عبد الله بن عامر الأسلمى الذى روى عنه محمد بن عمر ضعيف الحديث تكلم فى ضعفه كثير من المحدثين. وقال ابن حيان كان يقلب الأسانيد والمتون ويرفع المراسيل (٤)

---

(١) الطبقات الكبرى جـ ٨ ص ١٠١ ـ ١٠٢ بتصرف
(٢) تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٥٠٧ ـ ٥٠٨ بتصرف
(٣) المرجع السابق ص ٣٦٣ ـ ٣٦٨ بتصرف واختصار
(٤) المرجع السابق جـ ٥ ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ بتصرف

ثانيا : من ناحية المتن :

بعد إقامة الدليل على سقوط هذه الرواية سندا نقول إن نظرة سريعة لسطورها توجب سقوطها متنا ، فما تحكيه سطور الرواية يتعفف عنه البشر الشرفاء فما بالنا بمن كان أشد حياء من العذراء فى خدرها ، والذى أعطى القدوة من نفسه فى مراعاة حرمات البيوت ، وشرف الأسر وحماية العلاقات الزوجية وصيانتها من كل مايوهنها ، فعلمنا آداب الاستئذان ونهى الرجل أن يقف قبالة باب الغير عند طرقة حتى لايقع نظره على عورة أو يكشف ثلمة البيت ، ونصح أتباعه بالتعفف ونهاهم عن اتباع النظرة ، وأمر من وقع منهم فى النظرة فجأة إلى امرأة وأعجبته أن يأتى أهله فكيف يتأتى منه التطلع إلى زوجة مولاه ، ويكافأ بالزواج بها يقول الشيخ محمد الخضرى بك مستبعدا حدوث هذا من الرسول صلى الله عليه وسلم " ولو حدث أمر مثله من أقل الناس لعيب عليه فكيف بمن اجتمعت كلمة المؤرخين على أنه أحسن الناس خلقا وأبعدهم عن الدنايا وأشدهم ذكاء وفراسة حتى مدحه الله بقوله فى سورة ن (وانك لعلى خلق عظيم) لا شك أن هذه الخرافة مما يلتحق بخرافة الغرانيق وضعها أعداء الدين ليصلوا بها إلى أغراضهم[1] -

رواية ابن جريـــر الطبرى :

حدثنا بشر ، قال حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة " وإذ تقول للذى أنعم الله عليه " وهو زيد أنعم الله عليه بالإسلام وأنعمت عليه أعتقه

---

(١) نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين ص ١٧١ ط ١٠ مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٥٩م .

رسول الله صلى الله عليه وسلم " أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه قال : وكان يخفى فى نفسه ود أنه طلقها [١] "

نقد رواية ابن جرير الطبرى سندا ومتنا :

أولا : من ناحية السند :

أ ـ هذا الحديث مقطوع لأن السند انتهى إلى قتادة [٥] ولم يصرح بأن قتادة رواه عن أحد من الصحابة ولذ لا يعول عليه

ب ـ فى سند الحديث سعيد بن [٥] أبى عروبة وقد اختلط [٥] فى نهاية حياته قال ابن حيان فى الثقات مات سنة (٥٥) وبقى فى اختلاطه خمس سنين ولا يحتج إلا بما روى عنه القدماء قبل يزيد بن زريع وابن المبارك ويعتبر برواية المتأخرين عنه دون الاحتجاج بها [٢] . وقال الآجرى عن أبى داود كان سعيد يقول فى الاختلاط قتادة عن أنس أو أنس عن قتادة وقال النسائى من سمع منه بعد الاختلاط فليس بشئ [٣]

ثانيا : من ناحية المتن :

سلوك النبى صلى الله عليه وسلم ينافى مثل هذا الأمر . والرجل الذى يرغب فى طلاق امرأة غيره ليتزوجها أخفى فى نفسه أو صرح سينكشف أمره لأن هذا النوع من الرجال يتكرر منه الأمر المذكور مرة وأخرى وهذه حالة فريدة فى زواج

---

(١) جامع البيان عن تأويل آى القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ج٢٢ ص١٣ ط٣ مطبعة مصطفى البابى الحلبى بالقاهرة ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م .

(٥) قتادة : هو أبو الخطاب وقتادة بن دعامة السدوسى الأكمه عربى أصيل وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة من الهجرة وعمره ست وخمسون سنة .

(٥) سعيد بن أبى عروبة بفتح مهملة وضم راء خفيفة ـ وموحده وأسمه مهران العدوى مولى بنى عدى بن يشكر أبو النضر البصرى . (٥) المختلط : هو المختل الضبط بخرف أو هرم أو لذهاب بصره أو نحو ذلك فاذا كان ثقة يقبل ماتحدث به قبل الاختلاط لا بعده "صحيح مسلم بشرح النووى ج١ ص١٣ بتصرف . (٢) تهذيب التهذيب ج٤ ص٦٥ (٣) المرجع السابق

النبى بالرغم من تعدادهم ، فمثل هذه الرواية مدسوس فى كتب الإسلام ، بعد تلفيقها وأكتفى بنقلها بعض المؤرخين بدون فحص وتمحيص اكتفاء بذكر السنه واعتقادا منهم بعلم أهل زمانهم بحال المسند إليهم ، فرددتها الالسن حديثا عن قصة زواج النبى صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش وهى مدسوسة على الإسلام . يقول المرحوم الدكتور / محمد السيد حسين الذهبى ومن الأباطيل التى يرويها ابن جرير فى تفسيره ــ .... ــ بدسيسة دسها على الإسلام يوحنا الدمشقى فى عصر بنى أمية (١) يقصد بهذا ما ذكره ابن جرير فى تفسير الآية ٣٧ من سورة الأحزاب ثم يعود الدكتور الذهبى باللوم على المفسر الكبير فيقول : وما كان يكفى فى مثل هذا المقام الدحض أن يقتصر ابن جرير على ذكر السند لأن فى الناس ــ كما قلنا ــ كثيرين لا يعرفون من أمر الأسانيد شيئا ، ومن الناس من اذا رأى ابن جرير ــ على مبلغ علمه وجلالة قدره يروى فى تفسيره مثل هذا ، أخذه على أنه حق وصدق (٢) . وقد أورد ابن جرير الطبرى بعض الروايات الأخرى وهى أو هى من الرواية المذكورة فاكتفيت بما نقدت ــ من الروايات التى استند إليها المستشرقون وأذنابهم لأتحدث ــ باختصار عن قصة زواج النبى صلى الله عليه وسلم بزينب رضى الله عنها وذلك فى ضوء القرآن الكريم وسنة خاتم النبيين والمرسلين .

كانت ظاهرة التبنى شائعة بين العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام وترتب على هذه الظاهرة أن صار الابن المتبنى كالابن من النسب فى الحقوق وكثير من الأحكام كالمواريث ، والزواج . وهذه عادة وظاهرة مفككة للأسر ومخلة بالنظام .

---

(١) الإسرائيليات فى التفسير والحديث ص ١٧٢ " الكتاب السابع والثلاثون ــ السنة الثالثة " سلسلة البحوث الاسلامية . مطابع دار النصر بالقاهرة ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٤ ، ١٧٥

استحكمت في المجتمع وفشت فيه بصورة مخيفه ، فشاءت إرادة الله عز وجل أن تبطلها بصورة تسري في شرايين الأمة وتلفت انتباه أتباع الملة .

النص القرآني والتطبيق العملي

فكان النص القرآني : فأنزل الله عز وجل : (ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم ، وماجعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ماتعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما)[1]

ثم كان التطبيق العملي :

واختار الله عز وجل المثل الأعلى للتطبيق ، وهو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكي تتحقق الصورة عمليا لابد أن يتزوج زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم من شريفة قرشية ، وبعد طلاقه لها يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدف الإسلام من هذا الترتيب الدقيق :

١ـ إلغاء العادة الجاهلية ، التي تعتبر أن من جرى عليه الرق غير كفء للحرة حتى ولو تحرر بعد رقه .

٢ـ إباحة زواج الحر من مطلقة العبد ـ بخلاف ماكان معمولا به في الجاهلية من أن الحر لايتزوج مطلقة العبد .

---

(١) سورة الاحزاب الآيتان ٤ ، ٥

٣ـ إبطال ماكانوا يعتقدونه من حرمة زوجة الابن المتبنى •

مراحل التطبيق العملى

وتمر مراحل التطبيق العملى :

فيخطب النبى صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لمولاه ومتبناه زيد بن حارثة وتأبى الشريفة القرشية وأخوها ، فى أول الأمر ولكنها رضخت وقبلت زيدا زوجا بعد أن علمت أنه هذا أمر الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا "(١) وتم الزواج وكلما مرت الأيام تزداد حدة الخلاف بين الزوجين ويشكو زيد زوجه لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم • فيقول له صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك ، فلم يمض على زواج زيد عام إلا وقد أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم : بأن زينب ستكون من أزواجه بعد أن يطلقها زيد ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستحى من إظهار ذلك إذ لم يأمره الله بإظهاره •(٢)

يقول الخفاجى :

والظاهر أن الله تعالى لما أراد نسخ تحريم زوجة المتبنى أوحى إليه عليه الصلاة والسلام أن يتزوج زينب إذا طلقها زيد فلم يبادر له صلى الله عليه وسلم مخافة طعن الأعداء فعوتب عليه حيث كان يرجو الله تعالى أن يعفيه من هذا التكليف(٣)

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٦

(٢) مع المفسرين والمستشرقين فى زواج النبى صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش الدكتور زاهر عواض الألمعى ص ٨ [illegible] [illegible] ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م

(٣) روح المعانى جـ ٢٢ ص ٢٤ بتصرف

فما أخفاه صلى الله عليه وسلم علمه أن زينب ستكون من أزواجه لا وَدّ طلاقها كما في رواية الطبرى ، ولا حبه لها كما في رواية ابن سعد ، أو غيرهما ولا مازعمه المستشرقون من هذه الخيالات والأوهام .

ولما كان الله عز وجل لم يأذن له في إظهار هذا الأمر فلم يحصل منه صلى الله عليه وسلم كتم شئ أمره الله تعالى بإبدائه " عن ثابت عن أنس قال جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اتق الله وأمسك عليك زوجك قالت عائشة لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا لكتم هذه . قال فكانت زينب تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول : زوّجكن أهاليكن وزوّجني الله من فوق سبع سماوات "[1]

زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب :

بعد أن طلقها زيد ، وانتهت عدتها منه ، أرسله النبي صلى الله عليه وسلم ليخطبها له ، فأخبرها زيد ، فتمهلت حتى جاءها الإذن والسماح ، فزوجه الله تعالى إياها : " فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا "[2] ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر السماء فكان نكاحا ربانيا هذا ملخص قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب رضى الله عنها أوجزتها في إطارها السليم وأظهرت بواعث هذا الزواج في التطبيقي العملي — كما سبق —

---

(١) البخارى بحاشية السندى ج٤ ص٢٨١

(٢) سورة الاحزاب الآية ٣٧

ولكن المستشرقين عز عليهم أن يسلكوا منهج البحث القويم فى إظهار هذا الزواج فى إطاره الربانى وكيف يتأتى منهم هذا المسلك ؟ وهم يتلمسون الأخطاء ويختلقون التهم للتشكيك فى مقام النبى محمد صلى الله عليه وسلم ولنعرض بعض السطور مما تصوره وتخيله " د رمنغم " بعد أن وقف النبى صلى الله عليه وسلم بباب زيد : حيث يقول : وكان زيد فى ذلك اليوم غائبا عن بيته فوجد محمد نفسه تجاه زينب بنت جحش التى كانت أجمل فتيات قومها والتى كانت زوجة لزيد . وكانت زينب هذه آنئذ سافرة وشبه عارية وعاملة على زينتها وإدارة بيتها فأثر هذا الجمال الغض الفياض فى نفس النبى فقال : " سبحان مقلب القلوب " (١) ويستمر فى خياله بما ملخصه : أن زيدا بعد علمه بقدوم النبى صلى الله عليه وسلم وما جرى منه عزم أن يطلق زينب ليتزوجها النبى ولكن النبى كان يقول له باللسان أمسك عليك زوجك . بينما كان قلبه يخفى حب زينب فطلقها زيد إلى أن قال : فلما انقضت عدة زينب أرسلت إلى محمد من يقول له إن زيدا طلقها إرضاء له . (٢)

دفاع عن النظرة الاستشراقية

ويؤلمنى أن تدافع عن النظرة الاستشراقية الدكتورة / عائشة عبد الرحمن وكان من الأجدر بها هى الاخرى أن تستغفر الله وتكفر عن سيئاتها بتصحيح ماوقعت فيه من أخطاء فى مؤلفها نساء النبى . لكنها تتمادى فتقول : فإن يكن من المستشرقين والمبشرين من تعلقوا بهذا التأويل ومثله . فليس يجدى أن نتهمهم بافترائه

---

(١) حياة " محمد صلى الله عليه وسلم " ترجمة عادل زعيتر ص ٢٦٣ ، ٢٦٤

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٤

ونسجه من الخيال بعد الحروب الصليبية .[١]

الرد على الدكتوره / عائشة فى دفاعها

وأقول لهما : إن افتراءهم لهذا التأويل الغير مقبول كان قبل الحروب الصليبية وزاد انتشارا بعدها ، وقد بين الذهبى رحمه الله تعالى - وكما ذكرت سابقا - أن يوحنا الدمشقى صاحب هذه الفرية ، ويزداد الأمر تفاقما - وأمتلىء حسرة - حين تشاركهم هذه السيدة المسلمة والباحثة الرأى بطرحها السؤال الآتى والجواب عليه فان قلت ما الذى أخفى فى نفسه ؟ قلت : تعلق قلبه بها ، وقيل : مودة مفارقة زيد إياها[٢] . ولو راجعت الكتب الإسلامية الصحيحة والمعتمدة لبان لها الصواب وأظنها لاتغفل عن ذلك . يقول الإمام الألوسى : فى قول الله تعالى : " وتخفى فى نفسك ما الله مبديه " والمراد بالموصول على ما أخرج الحكيم الترمذى وغيره عن على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما ما أوحى الله تعالى به إليه أن زينب سيطلقها زيد ويتزوجها بعده عليه الصلاة والسلام وإلى هذا ذهب أهل التحقيق من المفسرين كالزهرى ، وبكر بن العلاء ، والقشيرى ، والقاضى أبى بكر بن العربى وغيرهم .[٣] ويقول القاضى عياض فى الشفاء : لاتسترب فى تنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وأنه يأمر زيدا بإمساكها وهو يحب تطليقه إياها كما ذكره جماعة من المفسرين .[٤]

---

(١) نساء النبى : الدكتوره / عائشة عبد الرحمن ص ١٦٩ طبعة خاصه . دار المعارف بمصر ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م .
(٢) المرجع السابق ص ١٦٩

(٣) روح المعانى ج ٢٢ ص ٢٤ ، نوادر الأصول فى معرفة أخبار الرسول لأبى عبد الله محمد بن على بن الحسين بن بشير المؤذن الحكيم الترمذى ص ١٨٩
(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم للإمام أبى الفضل عياض اليحصبى الأندلسى المتوفى (٥٤٤هـ) تحقيق الشيخ أحمد بيومى محمد سليم جـ ٢ ص ١٥٢ مطبعة الصحافة بمصر ١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م

كتاب نساء النبي فى الميزان

وأجد لزاما علىّ التنويه بأن " كتاب نساء النبي " يحتاج إلى مراجعة عامة وكنت أتوقع من مؤلفة الكتاب أن تتدارك ما وقعت فيه من أخطاء لاسيما وأن كثيرا من علماء الإسلام الأجلاء كشفوا لها أخطاء جسيمة ونصحوها بالرجوع إلى الصواب ويبدو وأنها مصرة على الخطأ فالكتاب كما نعلم ذائع الصيت والشهرة — وتصدر الطبعة تلو الطبعة ولم نر تصحيحا يحدث أو عودة إلى الصواب ، وإنما نجد دفاعا عن الأخطاء ومن باب الملاحظة :

١ — نراها دائما تركز على أن نساء النبي كشأن كافة النساء فى كل أمورهن فى حبهن وفى غيرتهن ، وفى مكرهن ، وفى كيدهن ، وتتناسى أنهن قد و ، وأنهن آثرن الله ورسوله على زينة الحياة ، وأن الله تعالى خصهن بما يميزهن فى كتابه الكريم ... وذلك فى قوله تعالى : (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا . ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما)[1] .

٢ — نقلها للروايات الضعيفة بدون إشارة إلى وهنها وعلى سبيل المثال لا الحصر ذكرها أن النبي حرم " مارية " على نفسه[2] . والنبي حرم على نفسه العسل لا مارية ، قال النووى فى شرح مسلم بعد أن أثبت أن التى شرب النبي عندها العسل زينب وأن المتظاهرتين عليه عائشة وحفصة — مانصه " كما أن الصحيح

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان ٣٠ ، ٣١

(٢) نساء النبي صلى الله عليه وسلم ص ٩٨ بتصرف

فى سبب نزول الآية فى قصة العسل لا فى قصة مارية المروى فى غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح (١) .

المبحث الرابع

من زواجه صلى الله عليه وسلم بالسيدة جويرية رضى الله عنها

الى بيان الحكمة من الزواج النبوى الشريف

السيدة " جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار " رضى الله عنها :

وقوعها فى الاسر :

غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى المصطلق فى شعبان سنة ست من الهجرة وانجلت المعركة بنصر المسلمين وهزيمة بنى المصطلق ،فأصاب المسلمون منهم سبيا كثيرا ،وكانت جويرية بنت الحارث من السبايا ،ولما انتهت الغزوة وعاد المسلمون إلى المدينة قسم السبى والغنائم على المجاهدين ،فكانت جويرة من نصيب ثابت بن قيس بن الشماس فكاتبته على نفسها .

زواج النبى صلى الله عليه وسلم بها :

لم تستطع جويرة أن تحصل على المال المطلوب لتحرير رقبتها فلجأت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه على أمرها ،ورأى الرسول الرحيم أن يخفف أثقالها ،ويجبر خاطرها ، ويرفع من شأن أبيها سيد بنى المصطلق ولندع بن جرير الطبرى يحكى لنا بعضا من حوارها مع النبى صلى الله عليه وسلم :

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٠ ص ٧٧

فقالت يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه وقد أصابنى من البلاء مالم يخف عليك فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس أولا بن عم له فكاتبته على نفسى فجئتك استعينك على كتابتى فقال لها فهل لك فى خير من ذلك قالت وما هو يا رسول الله : قال : أقضى كتابتك وأتزوجك قالت نعم يا رسول الله قال قد فعلت وهكذا كان رأى الرسول صلى الله عليه وسلم فى منتهى الحكمة والكياسة فقال الناس أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فلا يحق أن نسبيهم ولا يحدث هذا أبدا فأرسلوا ما بأيديهم . وعلم بنو المصطلق بفعل الرسول وصحابته فدخلوا فى دين الله أفواجا ولذا تقول السيدة عائشة رضى الله عنها فما أعلم أمرأة كانت أعظم على قومها بركة منها .

هل للمستشرقين من مطعن :

أعتقد أنه ليس من قول لإنسان فى هذا الزواج المبارك الذى بسببه تحرر العبيد ، ورأى محاربوا الإسلام سماحة المسلمين فدخلوا فيه طائعين ، وصاروا جنودا للدعوة مخلصين فمن يخرج بهذا الزواج عن حكمته السامية ، يكون من أشد الحاقدين ، وعلينا أن نذكره بقول رب العالمين :(قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور)

السيدة أم حبيبة بنت أبى سفيان " رضى الله عنها "

واسمها رملة بنت أبى سفيان بن حرب من أمية بن عبد شمس ، وأمها صفية بنت أبى العاص بن أمية بن عبد شمس عمة عثمان بن عفان [1] . وزوجها عبيد الله بن جحش ، كنيت باسم ابنتها منه " حبيبة " وأسلمت مع زوجها ثم هاجرا سويا إلى الحبشة فى المرة الثانية ، وفى أرض الحبشة تنصر زوجها وارتد ولحقته الوفاة ، وصمدت أم حبيبة وظلت على دينها مهاجرة ، فى الوقت الذى يتوقع فيه أسرتها قد وصلها إليهم تعتذر عن إسلامها — فلم يكن فى الأسرة من أسلم سواها .

زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بها :

وأمام هذه المحنة القاسية لأم حبيبة لم يتركها المصطفى صلى الله عليه وسلم فى مجتمع يدين جله بالمسيحية — شيها ، غريبة ، حتى لاتسيطر عليها الهموم والأحزان وربما تفضل العودة إلى أسرتها المشركة فتتعرض للإيذاء من جديد فأرسل صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى يخطبها يقول ابن سعد : كان الذى زوجها وخطب إليه النجاشى خالد بن سعيد بن العاص ابن أمية بن عبد شمس وذلك سنة سبع من الهجرة ، وكان لها يوم قدم بها المدينة بضع وثلاثون سنة [2] وأصدقها النجاشى أربعمائة دينار ثم أرسلها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الطبقات الكبرى : لابن سعد جـ ٨ ص ٩٦

(٢) المرجع السابق ص ٩٩

مكرمة فنالت العطف والبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ماذا يتقول المستشرقون على هذا الزواج :

لقد كرم ملك الحبشة هذا الرباط الميمون ودفع الصداق من ماله الخاص وما فعل هذا إلا تقديرا للنفس العالية ، وإعجابا بهذا التصرف الحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبالرغم من أنه حاكم للنصارى إلا أنه أدرك الجوانب الإنسانية في هذا العقد المبرم فلم يمتنع عن التكريم بالحضور والمال ولقد كان هذا الزواج حماية للأم وابنتها وفتحا لباب الدخول في الإسلام فدخل قومها بنو أمية في الإسلام كما أسلم أبوها بعد فتح مكة فبأى شيء يتقولون " يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون "(١)

السيدة صفية بنت حيى " رضى الله عنها "

هى صفية بنت حيى بن أخطب بن سعية بن عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج من بنى إسرائيل من سبط هارون بن عمران

وأمها برة بنت سموءل أخت رفاعة بن سموءل من بنى قريظة أخوة النضير وكانت صفية تزوجها سلام بن مشكم القرظى ثم فارقها فتزوجها كنانة بن الربيع ابن أبى الحقيق النضرى (٢) ، سباها المسلمون فى غزوة خيبر وكانت من نصيب دحية الكلبى

زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بها :

أدرك الصحابة بفطرتهم النقية مكانة صفية ، فهى بنت سيد بنى قريظة

---

(١) سورة الصف الآية ٨

(٢) الطبقات الكبرى : لابن سعد جـ ٨ ص ١٢٠ بتصرف

ولاتصلح إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم •فقالوا لرسول الله إنها بنت سيد

بنى قريظة فما تصلح إلا لك •فأعطى لدحية جارية من السبايا غيرها •وخيرها

رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الإسلام فيتزوجها وبين اليهودية فيعتقها

ثم تحلق بأهلها • فاختارت الإسلام •فأعتقها وبنى بها صلى الله عليه وسلم

وكان هذا الزواج فى السنة السابعة من الهجرة •وكان سببا فى إسلام الكثير

من أهلها فماذا يقول المفترون : فى زواج أراد المصطفى صلى الله عليه وسلم

به صلة من سبقه من الأنبياء •فصفية من بنى هارون وموسى عليهما السلام ومايقولون

فى زواج أذهب الأحقاد والضغينة •وصان الكرامة • والعزة سيبقى زواجك

ياسيدى يارسول الله سيرة عطرة تفيض بالمعانى الإنسانية الراقية إلى أن يرث الله

الأرض ومن عليها •

السيدة ريحانة " رضى الله عنها "

هى بنت زيد بن عمرو بن خنفافة بن سمعون بن زيد من بنى النضير عن

أبى سعيد بن وهب عن أبيه قال : كانت ريحانة من بنى النضير وكانت متزوجة

فى بنى قريظة رجلا يقال له حكيم فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم

وتزوجها •وكانت من نسائه يقسم لها كما يقسم لنسائه •وضرب رسول الله صلى الله

عليه وسلم عليها الحجاب •(١) هذا وكان زواجها به صلى الله عليه وسلم

فى المحرم سنة ست من الهجرة ولم تزل عنده حتى عاد من حجة الوداع فلحقت

بالرفيق الأعلى •ودفنت بالبقيع سلام عليها فى الطاهرين •

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٠

السيدة ميمونة بنت الحارث " رضى الله عنها "

تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث الهلالية زوجه إياها العباس بن عبد المطلب وكان يلى أمرها وهى أخت أم ولده الفضل بنت الحارس الهلالية ، وكان لميمونة رضى الله عنها من الأخوات الأشقاء وغير الاشقاء منهن أسماء بنت عميس الخثعمية زوج جعفر بن أبى طالب وأم أبنه عبد الله وتزوجت بعده أبا بكر ، ثم خلف عليها بعد على بن أبى طالب ، ومنهن أيضا سلمى بنت " عميس " زوج حمزة بن أبى طالب " ولبابة الصغرى " أم خالد بن الوليد إذا علمنا هذا تأكد لنا مالهذا الزواج من أثر فعال ، به تحققت الصلة بين هذه الأسر ، فقوى اتباع الاسلام ، وانتصرت دعوته فى كل مكان ولقد كانت السيدة ميمونة آخر امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك سنة سبع فى عمرة القضاء ..

الحكم الواضحة من زواج النبى " صلى الله عليه وسلم "

وبعد الحديث عن زواج خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم نستطيع أن نوجز أغراضه الظاهرة ، وحكمه السامية فى الآتى :

١ـ نصرة الدعوة وتأييدها .

٢ـ تأكيد الصلة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وكبار صحابته الكرام .

٣ـ ضرب المثل الأعلى لأصحابه بزواجه من نساء فقدن أزواجهن في الجهاد .

٤ـ كفالة الأيتام وتعويضهم عن حنان الأبوة .

٥ـ سل مافي قلوب الأعداء من كراهية وبغضاء للإسلام .

٦ـ نشر تعاليم الإسلام وأحكامه .

فليقف كل من يريد البحث عن زواج النبي محمد صلى الله عليه وسلم عند هذه الأمور الظاهرة ولا نكلفه بأكثر من ذلك مما لا ندركه من أسرار في هذا الهدى الرباني ، وعندئذ سيقتنع بأنه زواج نبيل وتعداد خاص ، لا شهوانية فيه ، ولا انحراف في مبانيه .

(الباب الثاني)

النبوة والمستشرقون

ويشتمل هذا الباب على فصلين :ـ

١ـ الفصل الأول :

مزاعم المستشرقين حول النبوة والوحي والرد عليهما •

٢ ـ الفصل الثاني :

افتراءات المستشرقين حول الوحي المدون (القرآن الكريم والسنة النبوية) وتفنيدها •

" الفصـــل الأول "

مزاعـم المستشرقين حـول النبـوة والوحي والرد عليها

شملت التربيـة الالهيـة سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلـم بالعنايـة وأحاطتـه بالرعاية ، واختاره اللـه عز وجـل رسولا للعالميـن ونزل عليه جبريـل الأمين يقول الله تعالى : " بسم الله الرحمـن الرحيم " (اقـرأ باسـم ربـك الذى خلـق ، خلـق الإنسان من علـق ، اقرأ وربـك الاكـرم الـذى علـم بالقلـم ، علـم الإنسـان مالـم يعلـم) (١)

فبلّغ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحى ربه تعالى إلى الناس كافـة فمنهـم من آمـن بـه ، ومنهـم من صـد عنـه ، ولقـد حاول الصادون ، المكذبـون اتهام القـرآن الكريـم بأنـه أساطيـر الأولين ، وأنه كـلام بشـر ، ورمـوا النـبى بالجنون والسحـر ، والكهانـة ، وتابعـهم الملحدون فى كـل عصر يترد يـد هذه المـزاعـم وفـات الجميع أن القرآن وحـى من عنـد اللـه ، أرسل به النبى الأمى حجـة ناطقة ، وحكمة بالغة ، ومعجـزة خالدة لهدايـة الخلـق كافـة وإنقاذهـم من الهـاوية . يقول اللـه عز وجل : " بسـم اللـه الرحمـن الرحـيم " (الر كتـاب أنزلنـاه إليـك لتخـرج النـاس مـن الظلـمات إلـى النـور بـإذن ربهـم إلـى صـراط العـزيـز الحميـد) (٢) ومن أجـل ذلـك خصصت هـذا الفصل للـرد علـى مزاعـم القـوم حـول نبـوة الإسـلام ووحـى الرحمن .

---

(١) سـورة العلـق الآيـات ١ ـ ٥

(٢) سـورة ابراهـيم الآيـة ١

" المبحث الأول "

" تعريف الوحي والنبوة والرابطة بينهما "

١ـ تعريف الوحي عند علماء المسلمين

بالنظر في أهم المعاجم العربية يتبين أن المراد بالوحي :
الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك (١)
قال أبو اسحاق : وأصل الوحي في اللغة كلها إعلام في خفاء ولذلك صار الإلهام يسمى وحيا وفي قول الله عز وجل وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون • (٢) وقوله تعالى : (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) (٣) يقول المفسرون المراد به الإلهام •وللشيخ : عبد الله الشرقاوى رأيا وجيها في معنى الآية السابقة حيث يقول في الإيحاء إلى النحل : أى سخرها لهذا الفعل وهو اتخاذها من الجبال بيوتا إلخ •• •وقد يعبر عن ذلك بالإلهام لكن المراد به هدايتها لذلك وإلا فالإلهام حقيقة إنما يكون لعاقل • (٤)

وقول الله عز وجل : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه مايشاء إنه على حكيم) (٥) يقول صاحب لسان العرب: معناه إلا أن يوحى إليه وحيا فيُعلِمه بما يَعلم البشر أنه أعلمه •إما الهاما أو رؤيا وإما أن ينزل عليه كتابا كما أنزل على موسى •أو قرآنا يتلى عليه كما أنزله على سيدنا محمد " صلى الله عليه وسلم " وكل هذا إعلام وإن اختلفت أسباب الإعلام فيهما (٦)
والوحي في الاصطلاح : الإعلام بالشرع • هذا وقد يطلق على الموحى كالقرآن ـ والسنة من إطلاق المصدر على اسم المفعول قال تعالى : إنْ هو إلا وحى يوحى (٧)

---

(١) لسان العرب المجلد الخامس ص٣٧٦ " فصل الواو ـ حرف الياء من المعتل) •
(٢) المائدة الآية ١١١ • (٣) النحل الآية ٦٨ •
(٤) فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى ـ تأليف الشيخ عبد الله الشرقاوى جـ١ ص٩ بدء الوحى مطبعة حجازى ١٣٥٥هـ =١٩٣٦م • (٥) سورة الشورى الآية ٥١
(٦) لسان العرب ـ المجلد الخامس ص٣٨١ (٧) سورة الشورى الآية ٥

أ ـ كيفيات الوحـــى :

ذكر علماء الإسلام كيفيات للوحى الشرعى منها أن يأتى الملك للنبـــىّ فى اليقظة فيسمع منه مثل صلصلة الجرس ، أو يلقى الكلام فى قلبه أو يأتيه فى النـــوم وإما أن يأتيه فى صورة رجل فيكلمه ، أو يكلمه الله عزوجل بلاواسطة ، وكل هـــذه الكيفيات مجملة فى صور ثلاث ومذكورة فى قول الله تعالى : (وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء إنه علـــى حكيم)

ب ـ وحى القرآن والسنة :

القرآن الكريم منزل بلفظه ومعناه من عند الله تعالى بواسطة جبريـــل عليه السلام ، والحديث القدسى هو الوحى إليه صلى الله عليه وسلم معناه ويشاركه الحديث النبوى فى إيحاء المعنى إلا أنه أحيانا ينطق به النبى صلى الله عليه وسلم باجتهاد منه ، ويشرح هذا المفهوم بالتفصيل (نوح بن مصطفى) بقوله :

واعلم أن الوحى نوعان ظاهر ، وباطن والظاهر ثلاثة أنواع :

الأول : ماثبت بلسان الملك فوقع فى سمع النبى صلى الله عليه وسلم ، بعد علمه بالمبلغ بالعلم الضرورى النافى للشك بأنه نازل بالوحى من الله تعالى ، والقرآن من هذا القبيل ، والمراد من الملك جبريل عليه السلام قال تعالى : قل نزلـــه روح القدس من ربك بالحق .

الثانى : ماثبت عنده صلى الله عليه وسلم بإشارة الملك من غير بيان بالكلام وإليـــه أشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : إن روح القدس نفث فى روعى (أى أوقـــع فى قلبى) أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها (١)

---

(١) والحديث بتمامه ذكره المناوى فى مختصر شرح الجامع الصغير جا ص ١٥٥ ، ١٥٦ ط ١ مطبعة عيسى العرب الحلبى ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م .
وقال فى تخريجه : رواه أبو أمامة ، والحديث ضعيف .

الثالث : ماظهر لقلبه الشريف بلاشبهة بإلهام من الله تعالى كما قال الله تعالى : لتحكم بين الناس بما أرك الله . والحديث القدسي والنبوى من هذين النوعين والفرق بين الحديث القدسي والنبوى أن الحديث القدسي ينسبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه عزوجل بأن يقول قال الله تعالى . والباطن من الوحى ماقاله صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد والتأمل فى الأحكام المنصوصة ووحى القرآن تم فى اليقظة التامة . ووحى السنة منه ماحدث فى الرؤيا (١) وهذه ملامح تحدد وحى القرآن والسنة . ومنها نعرف صورة كل منهما .

جـ ـ تلقى الرسول صلى الله عليه وسلم للوحى :

تحدثت عن صور الوحى بإيجاز . وحددت وحى القرآن والسنة والآن أذكر كيفية تلقى الرسول للوحى بنوعيه . لقد تلقى جبريل عليه السلام الوحى من لدن حكيم عليم ثم نزله على رسول الله يقول الدكتور محمد عبد الله دراز : فتلقفه محمد منه كما يتلقن التلميذ عن أستاذه نصا من النصوص (٢) ويعطى الجوينى (ه) صورة لإنزال الوحى وتلقيه ألخصها : فى الآتى :

كلام الله المنزل قسمان:

(١) قسم قال الله تعالى لجبريل : قل للنبى الذى أنت مرسل إليه إن الله تعالى يقول : افعل كذا وكذا . ففهم جبريل كلام ربه وبلغه بمفهومه لابنصه وهذا وحى السنة

(٢) وقسم قال الله تعالى لجبريل اقرأ على النبى هذا الكلام . فنزل جبريل به من الله تعالى وقرأه كما أمره حرفا . وكلمة بدون تغيير وهذا وحى القرآن (٣)

---

(١) رسالة فى الفرق بين الحديث القدسى والقرآن والحديث النبوى ـ لنوح بن مصطفى ص٢ ـ (مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رمز " مصطلح حديث تيمور رقم ١٠٥ ")

(٢) النبأ العظيم : الدكتور / محمد عبد الله دراز ص٢ ط "٢" / طبع دار القلم بالكويت . ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م .

(ه) الإمام الجوينى (٤١٩ ـ ٤٩٨ هـ) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد للإمام الجوينى تحقيق الدكتور/ محمد يوسف موسى . على عبد المنعم عبد الحميد المقدمة (ص ك ه ص ل) مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠م .

(٣) الإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (٨٤٩هـ ـ ٩١١هـ) جا ص١٦٠ ، ١٦١ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م . باختصار

ولذا أبيحت رواية السنة بالمعنى نظرا لأن جبريل أداها بالمعنى ، أما القرآن — فلايجوز إطلاقا قراءته بالمعنى ، لأن جبريل بلغه كما سمعه بلفظه ومعناه وبين السيوطي العلة في ذلك بقوله : والسر في ذلك أن المقصود منه التعبد بلفظه والإعجاز به ، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه ، وأن تحت كل حرف منه معاني لايحاط بها كثيرة ، فلا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه (١)

د — النبـوة في نظر علماء الإسلام

تفيد اللغة العربية أن النبئ وصف من النبأ وهو الخبر المفيد لما له شأن مهم والنبي بالتشديد أكثر استعمالا . قال بعض العلماء : هو من النبوة أي الرفعة ، وسمي نبيا لرفعة محله عن سائر الناس المدلول عليه بقوله ورفعناه مكانا عليّا ، فالنبي بغير الهمز أبلغ من النبئ بالهمزة لأنه ليس كل متنبئ رفيع القدر والمحل . (٢)

وتعرف النبوة : باختصاص العبد بسماع وحي من الله تعالى بحكم شرعي تكليفي سواء أمر بتبليغه أم لا ، وهكذا الرسالة لكن بشرط أن يؤمر بالتبليغ (٣) وهي في الإسلام هبة من الله تعالى لمن اختاره واصطفاه ولاتأتي نتيجة اجتهاد أوتعلم ، وإنما هي تكليف وتشريف من الله لرسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

---

(١) المرجـع السابق

(٢) المفردات في غريب القرآن تأليف / أبي القاسم الحسين بن محمد / المعروف بالراغب الأصفهاني تحقيق / محمد سيد كيلاني ص٤٨٢ "كتاب النون" الطبعة الأخيرة — مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٨١هـ = ١٩٦١م .

(٣) شرح البيجوري على الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد لشيخ الإسلام إبراهيم البيجوري القسم الثاني ص٣٩ بدون عدد للطبعة / دار مطابع الشعب ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦ م .

٢ـ الوحي عند علماء النصارى

أ ـ تعريف الوحي عند علماء النصارى :

عرف علماء النصارى الوحي بقولهم : الوحي هو ابلاغ الحق الالهي للبشر بواسطة بشر وهو عمل روح الله ، أو بعبارة أدق عمل الروح القدس فالروح القدس يعمل في أفكار أشخاص مختارين وفي قلوبهم ، ويجعلهم أداة للوحي الالهي (١)

وهذا الاصطلاح يدل على أن النبوة مصدرها وحي خارجي ومما يؤكد ذلك ما جاء في سفر التثنية من قول الرب للمسيح علیه السلام : (أقيم لهم نبيا من وسط أخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به) (٢) وما ذكرته رسالة بطرس الثانية قائلة (لانه لم تأت نبوة قط بمشيئة انسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس) فظهر أن الكتاب المقدس بعهديه يشير إلى أن الوحي منبعه قوة عليا وأنه يلقى من الله تعالى إما مباشرة الى الرسول أو بواسطة الروح القدس .

ب ـ مفهوم الروح عند علماء النصارى :

يتطور مفهوم الروح عند علماء النصارى من عهد الى عهد ، ومن زمن سابق الى زمن لاحق وهكذا حتى يشمل النبي المرسل من البشر كما يقولون ـ فالعهد القديم يذكر تحول الروح (من نسمة الله) أي من ذاته لتصير منفصلة ومتميزة . فقد ورد في بعض أسفارهم (بنسمة الله يبيدون وبريح أنفه يفنون) (٣)

ويعلق حبيب سعيد على هذا بقوله : هذه فكرة بدائية نسبت العاصفة أو الريح إلى عمل إلهي ولكن بعد الكشوف الحديثة هجرها العالم ، وظل معناها اللاهوتي الديني باق كما هو ، يعبر عنه الفكر العبراني الذي لم يعتبر الروح

---

(١) قاموس الكتاب المقدس : تأليف نخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ـ ص ١٠٢٠ ط (٢) طبعة بيروت ١٩٧١م .

(٢) الكتاب المقدس ـ ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ سفر التثنية " ١٨ : ١٨ "

(٣) الكتاب المقدس ص ٧٩٦ سفر أيوب " ٤ : ٩ "

مخلوقا سماويا ،أو صنفا من صنوف الملائكة [١] وتنفصل الروح وتحل على من أراد الله تعالى كما حدث مع الشيوخ [٢] الذين جمعهم موسى عليه السلام

أما في العهد الجديد فتلتحم الروح كما يدعون وتتناول النبي المرسل من البشر وهو في نظرهم المسيح عليه السلام وتشير الرسالة إلى العبرانيين لهذا المفهوم قائلة (الله بعد ماكلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثا لكل شيء الذي به أيضا عمل العالمين) [٣]

جـ ـ النبوة عند علماء النصارى :

أما النبوة عند النصارى فيعرفونها بأن النبي هو :

من يتكلم أو يكتب عما يجول في خاطره دون أن يكون ذلك الشيء من بنات أفكاره بل هو من قوة خارجة عنه [٤] والنبوة في مفهومهم تُكتسب في الغالب بالتعليم ولها مدارس خاصة ،لايخرج التلميذ منها إلاوقد حل عليه روح القدس وتنبأ هكذا يتقولون . ويذكر قاموس الكتاب المقدس [٥] أن الله يختار من بين تلاميذ المدارس الخاصة بأولاد الأنبياء عددا ويقبلهم أنبياء له ليعلموا الشعب بمايريده منهم ويختصهم بوحيه ،وتأخذ الكهانة دورها في الأمور الغيبية والنبوة وذلك بصورة شائنة لاتقبلها العقول السليمة ،وتحيط بالمرء الدهشة حين يسمع قولهم بقيام الكهنةبأمر النبوة وتصديق الناس لهم ،كما وأنهم يقولون بتحقق النبوة في الإناث وهذا ماتعارفوا عليه من أمر النبوة ذكرته على سبيل عرض أرائهم على أني لاأقر صحة الكثير من هذه الأقوال .

---

(١) الروح القدس في العصر الحديث ـ ص١ بدون عدد للطبعة ـ مطابع كوستا تسوماس وشركاه بالقاهرة بدون تاريخ (٢) كما [illegible] الكتاب المقدس ص ٢٣٠ سفر العدد " ١١ : ٢٥ "

(٣) المرجع السابق الرسالة إلى العبرانيين" ١:١، ٢ " انجيل يوحنا " ١ : ١٤ "

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٩٤٩ (٥) المرجع السابق . بتصرف

٣ ـ الخلاصة من تعريف الوحي

١ـ اتفاق النظرة الإسلامية والمسيحية في حدوث الوحي لأنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم ، وأن مصدره قوة عليا أيا كان نوعها .

٢ـ المقصود بالروح القدس في مفهوم الإسلام جبريل عليه السلام وهو المكلف بوحي الله تعالى إلى رسله صلوات الله وسلامه عليهم ، ويقصد علماء النصارى بالروح القدس المسيح عليه السلام .

٣ـ هناك اتفاق في وجود النبوة ، وهي في نظر علماء الإسلام اصطفاء من الله تعالى لمن يختاره ، وصاحبها مبلغ عن الله تعالى . أما عند علماء النصارى فهي وإن كانت تأتي من قبل الله تعالى إلا أنها تأتي في الغالب بطريق التعليم وأن صاحبها يعبر عما في خاطره بواسطة القوة العليا . وأن الكهنة ربما يتنبأون.

ولست بصدد ذكر الفروق كلها وأوجه الاتفاق والاختلاف في هذا البحث القصير ، أو نقد آراء القوم في الوحي والنبوة ، فان ذلك يطول ذكره، وتكفي الاشارة إلا أنهم خلطوا في الوحي بين الإلهام الحقيقي الناشيء عن طريق الوحي الرباني ، وبين الإلهام الآخر ، كالهام الخواطر للإنسان النقي الفطرة ، أو الإلهام الغريزي كما يحدث مع النحل وجمعوا بين وحي الرحمن ووسوسة الشيطان فأقروا نبوة الكهان ولا يخلط بين مثل هذه الأمور ووحي الله تعالى لمن اصطفاهم بالنبوة واختصهم بالرسالة إلا من اتخذ آلهة هواه وعبد المعبود من دون الله ولقد جاءت بنوة الإسلام لتصحح هذه الانحرافات ولتقضي على الضلالات يقول العقاد :

إن النبوة الإسلامية جاءت مصححة متممة لكل ماتقدمها من فكرة عن النبوة كما كانت عقيدة الإسلام الإلهية مصححة متممة لكل ماتقدمها من عقائد بني الانسان في الإله (١) والذي نركز عليه في هذا الموضوع ، إيمان النصارى بالوحي

---

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه . عباس محمود العقاد /ص٦ ط (٢) نشر دار القلم بالقاهرة ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢م.

عن طريق قوة عليا وتصديقهم بالنبوة ، وأنها هداية من الله للبشر ، فبمقتضى هذا الاعتقاد كان عليهم أن يسلطوا جهدهم فى محاربة الإلحاد والملحدين بدلا من محاربة هذا الدين ، وأن يبحثوا فى الإسلام وهم مجردون عن النزعات بغية طلب الحقيقة ، والإيمان بها بعد اكتشافها ، ولكنهم للأسف اشتطوا فى بحوثهم فعادَوْا الوحى بأقوالهم ، وهاجموا النبوة الخاتمة بألسنتهم وأقلامهم وما دَرَوْا أنهم بهذا قد طعنوا أولا فى دينهم .

٤ـ الرابطة بين النبوة والوحى متلازمة

تحدثت فى تعريف الوحى والنبوة عند علماء المسلمين والنصارى . ولما كانت النبوة الخاتمة هدفا أساسيا استهدفه المستشرقون بشبههم خصصت الباب الثانى من الرسالة للرد على شبهاتهم فى الوحى والنبوة إيمانا منى بالصلة العميقة بينهما واعتقادا بأن النبوة لاتنفصل عن دائرة الوحى وذلك للترابط بينهما وهو ماعبر عنه الإمام الألوسى بقوله : وأنت تعلم أن النبوة وكون القرآن وحيا من عند الله تعالى متلازمان متى ثبت أحدهما ثبت الآخر (١) . والطعن فى أحدهما طعن فى الآخر لذا قصدت الرد بتوفيق الله تعالى على شبهاتهم فى الوحى والنبوة . كما سيأتى

---

(١) روح المعانى جـ ٢٣ ص ٢٢١

المبحث الثاني

الرد على شبهات المستشرقين حول النبوة والوحي

١- شبهة الاخذ عن بحير الراهب

سعى دائب من المستشرقين وافتراء مستمر لهم حول نبوة الإسلام ، فيدعى المستشرق " واشنجتون أرفنج " أن النبى صلى الله عليه وسلم " تلقى كثيرا من المعلومات عن بحيرا الراهب أثناء وصول قافلة قريش إلى " بصرى " فيقول استقبل الرهبان أبا طالب وابن أخيه بترحيب عظيم تحدث أحد الرهبان ويسميه البعض سرجيوس ويسميه البعض الأخر بحيرا مع محمد ، وأعجب كثيرا بعقليته ورغبته في الاستزادة من العلم وخاصة فى المسائل الدينية ، وتبادل الراهب مع محمد الحديث فى عدة مواضيع ، ولا شك أن الرهب قد وضع همه فى القضاء على تعاليم الكفر التى تلقنها الشاب ... ينسب الكثيرون معلومات محمد عن الدين المسيحى إلى محادثاته مع ذلك الراهب ، ولقد لعبت هذه المعلومات دورا كبيرا فى حياة محمد فيما بعد (١) .

ويحاول كثير من مفكرى الغرب أن يشيع هذه الفرية ليؤكد أن النبى صلى الله عليه وسلم تعلم فى هذا اللقاء يقول "أسيديو" : (وكان أول سفره الى الشام مع عمه أبى طالب سنة ٥٨٣م ، فبلغ بصرى فاجتمع فيها ببحيرا الذى كان اسمه لدى النصارى ، جرجيس ، أو سرجيس ، فنال حظوة عنده (٢)) .

الرد عليهما : سافر النبى صلى الله عليه وسلم إلى الشام مرتين الأولى مع عمه أبى طالب ضمن وفد مكة المشتغل بالتجارة وكان صلى الله عليه وسلم ابن ثنتى عشرة سنة والثانية عندما ذهب الى الشام فى تجارة خديجة مع غلامها ميسرة وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ولم يقابل فيها بحيرا وكان مشتغلا بمال خديجة .

---

(١) حياة محمد " صلى الله عليه وسلم " ـ ترجمة وتعليق الدكتور/ على حسنى الخربوطلى ص٤٧ ، ٤٨ ـ ط ٢ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٦م .

(٢) تاريخ العرب العام : " امبراطورية العرب ، حضارتهم ، مدارسهم الفلسفية والعلمية ، والأدبية ترجمة عادل زعيتر ص ٦٦ ط ١ دار احياء الكتب العربية

مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م

وتنميته • أما فى المرة الأولى فكان مع وفد مكة الذى تقابل مع الراهب المذكور • ومن علامات محددة عند الراهب وإشارات معينة علم أن فى الوفد النبى المنتظر فدعا الوفد وظل يتفحص فيه حتى عثر محمد على من تأكد فيه الصفات المطلوبة يقول ابن اسحاق : فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا • وينظر إلى أشياء من جسده • قد كان يجدها عنده • من صفته • حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا • قام إليه بحيرا • فقال ياغلام • أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه وإنما قال له بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتسألنى باللات والعزى شيئا فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما • فقال له بحيرا بالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه • فقال له • سلنى عما بدا لك • فجعل رسول الله " صلى الله عليه وسلم " يخبره • فيوافق ذلك ماعند بحيرا من صفته • ثم نظر إلى ظهره • فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده • [(١)] ولكن (واشنجتون) أخذ يدور فى حلقة مفرغة ليقلب الحقائق رأسا على عقب • فذكر أن الراهب أثناء محادثته مع النبى صلى الله عليه وسلم كان معجبا به لما لمح فيه الاستزادة من العلم والرغبة فى معرفة المسائل الدينية • ولذا أراد أن يقضى على تعاليم الكفر التى تلقنها الشاب • أىّ تعاليم تخرج عن التوحيد تلقنها ؟ وهو منذ صغره مخالف لما عليه قومه وهذا واضح حتى من حوارك • ومانم فى هذا اللقاء محادثة واحدة لاثانية لها والنبى فى حال الصبا لاكما تزعم وكان خلالها مسئولا لاسائلا فما هى المسائل الدينية التى طلب معرفتها ؟ فكنا نود ذكرها • فربما سجل الراهب حوار هذا اللقاء وأنتم تكتمونه ولقد خشى زميلك التورط مثلك فاكتفى بأنه صلى الله عليه وسلم نال حظوة عند راهبكم • وكل مانفهم أنه لقى تكريما

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام / جـ ١ ص ١٦٦ .

وترحيها فى فترة الضيافة القصيرة ، وهى مدة وجيزة لاتكفى لتعليم ديانة كاملة ثبت صلاحها ونجاحها على مدى القرون وإلى أن تقوم الساعة .

والخلاصة :

١ ـ دعوى أنه تعلم عن طريق بحيرا الراهب مجردة من الدليل .

٢ ـ من غير المعقول أن يكون هذا الراهب مصدر هذا الفيض المعجز ، وإذا كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن هذا اللقاء صغيرا ولا يعرف القرآءة والكتابة وتعلم من لقاء واحد من هذا الراهب ماهدى به العالم لاتباعه ، وأفاض على الإنسانية ماستظل مدينة به إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فلماذا لم يستطع هذا المعلم الوهمى بعلمه الغزير أن يهدى الناس وأن يغرس فى نفوسهم عقيدة التوحيد ليكون هو صاحب الهداية بدلا من رجل من العرب ، ولماذا لم يتنبأ وهو على هذا الحال . إن هداء القوم للإسلام أفقدهم وعيهم فشهدوا على أنفسهم أن المسيحية كانت ديانة توحيد لاتثليث وهو المعروف عنها قبل التغيير ولايهمهم أن هذا فيه خطورة على ثالوثهم مادام الأمر سيشكك فى وحى النبوة فنطق (واشنجتون) مدللا على التعاليم التى تلقنها النبى من معلمهم قائلا : وكان النساطرة المسيحيون ينهون عن الصور والتماثيل : بل إن الصليب ، وهو شعار المسيحية ، كان يدخل ضمن ماينهى النساطرة عنه (١) ولايسعنا إلا أن نقول لهم عودوا إلى ماكان عليه راهبكم النسطورى بحيرا من توحيد ، وعندئذ تكونون على الحق والحق أحق أن يتبع .

٢ ـ شبهة الأخذ عن ورقة بن نوفل

يدعى بعض المستشرقين أن ورقة بن نوفل (٢) ابن عم خديجة تنصر وتبحر فى النصرانية وقد اتصل به النبى صلى الله عليه وسلم وقصدهم إيهام

---

(١) حياة محمد " صلى الله عليه وسلم " ترجمة الدكتور / على حسنى الخربوطلى ص٤٨

(٢) فى حديث بدء الوحى كان ورقة نصرانيا ، وفى السيرة الحلبية جـ١ / ١٣٣ كان يهوديا ثم تنصر ثم تحنف وهذا مانختاره لأنه كان من الحنفاء والحنفاء هم الذين تركوا ماعليه جميع هؤلاء ـ وعبدوا الواحد الأحد بفطرتهم .

القارئ أن النبي صلى الله عليه وسلم تعلم على يديه .

الرد عليهما :

وأقرر أنه لا دليل لديهم على هذا الإيهام فزعمهم ساقط بالبرهان لأن ورقة بن نوفل كان من القرشيين الذين تشككوا في الوثنية فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين أبيهم إبراهيم عليه السلام . ولكن ورقة بعد رحلته الدينية عاد فاستحكم في النصرانية . وما حدث بالنسبة لهذا الرجل مدون في السيرة النبوية وكتب السنة الإسلامية قال ابن اسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ـ وكان ابن عمها . وكان نصرانيا قد تتبع الكتب . وعلم من علم الناس ـ ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب . وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلانه فقال ورقة : لئن كان هذا حقا ياخديجة . إن محمدا لنبي هذه الأمة . وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر . هذا زمانه أو كما قال (١) : فكل مانطق به ورقة تأكيد بأن سيدنا " محمدا صلى الله عليه وسلم " هو النبي المنتظر وذلك بعد ما أخبرته السيدة خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها بما شاهده غلامها من إظلال الغمام له صلى الله عليه وسلم ومن كلام الراهب بحطورة . ولعلم ورقة بالكتب السابقة تأكد من اجتماع صفات ودلائل النبوة في سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين الدليل على مايوهمونه ؟ إن الدليل الحقيقي قائم على تكذيبهم ورواية الإمام البخارى تخبر بأن السيدة خديجة رضى الله عنها حين نزول الوحي لأول مرة ذهبت بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن هدأت من روعه وطمأنته ـ إلى ابن عمها ورقة بن نوفل يخفيهما وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة ياابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة ياابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى نزّل الله على موسى . ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم قال نعم

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ ص ١٧٥

(*) ورد في بعض الروايات يا ليتني .

لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى [1] فهذه رواية الإمام البخارى ومثلها رواية الإمام مسلم تؤكد أن السيدة خديجة رضى الله عنها ذهبت برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابن عمها ورقة حين نزول الوحى لأول مرة وفى هذا اللقاء قص الرسول ما رأى — فأخبره ورقة أن هذا جبريل عليه السلام ، وكان هذا أول وآخر لقاء وتمنى ورقة أن يطول به العمر حتى يرى المصطفى نبيا ورسولا ، ورغب أن يكون شابا قويا يقف بجوار النبى مناضلا ومؤازرا فى لحظة المواجهة لقومه . لكن القوم ألغوا عقولهم فحادوا عن الصواب ، فأى منصف يسمع كلمة ورقة هذه يفهم منها أنه كان يتمنى أن يعيش ليكون تلميذا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وجنديا مخلصا فى صف اتباعه ينصره ويدافع عنه وقت المحنة ، لا استاذا ومعلما كما يقولون .

٣ ـ شبهة الأخذ عن سلمان الفارسى

ذكر المستشرق الفرنسى اميل "درمنغم" ما نصه : ومن هؤلاء أى من الباحثين عن الحقائق " سلمان الفارسى الذى جد فى طلب الحقيقة ، وكان الشاب التقى سلمان يسبح بحمد الآلهة ويقدس لها وكان يطهر نفسه ببول البقر ويتعلم أحكام زرادشت [2] ومن خلال قرآتى للفصل الأول من كتاب حياة محمد المذكور استخلصت منه أن المؤلف يحاول اثبات أن سلمان تعلم من اليهودية والمسيحية وأنه كان ذا صلة قوية بالرسول صلى الله عليه وسلم وهذا الكلام ربما يوحى بأن سلمان أثر بنفوذه فى تعاليم الإسلام .

دفع هذا الإيهام :

وأرد على هذه الشبهة بتوضيح أمر هذا الصحابى الجليل بما ثبت لدينا من التاريخ الصادق ، فعن سلمان قال كنت رجلا من أهل

---

(١) صحيح البخارى ص٣ ، ٤ باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما انظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ٢ ص١٩٧ كتاب الإيمان ـ باب بدء الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، نقله إلى العربية عادل زعيتر ص٦ باختصار

جَيّ [(١)] مدينة أصبهان وعن أبي عثمان قال سمعت سلمان رضي الله عنه يقول أنا من رام هرمز [(٢)] وقصة إسلام سلمان لها أدوار ومراحل ذكرها ابن هشام خلاصتها أنه كان مجوسيا وأعجبته النصرانية فدخل فيها ، وانتقل من بلدته إلى الشام وعاش مع أساقفتها متعلما وخادما يعيش مع الواحد منهم بعد الآخر إلى أن لقي أسقف (نصيبين) وظل معه حتى أوشك على الوفاة ، فأوصاه بالذهاب إلى أسقف عورية فلما حضر : أخبر سلمان أنه قد أظل زمان نبي وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام يخرج بأرض العرب مهاجره إلى أرض بين حرتين ، بينهما نخل به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، وبين كتفيه خاتم النبوة فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ، فلما مات أسقف عوريه انتظر سلمان فرصة للذهاب إلى مكة ، وإذا بنفر من بني كلب في تجارة لهم متجهين إلى وادي القرى فطلب سلمان أن يحملوه إلى أرض العرب فأخذوه ثم باعوه لرجل يهودي بمكة ، فباعه بعد ذلك لابن عم له بالمدينة وعندئذ عرفها سلمان . فلما سمع بهجرة النبي بذل جهده حتى قابل المصطفى صلى الله عليه وسلم فاستوثق منه ورأى خاتم النبوة . فدخل الإيمان قلبه فنطق بالشهادة وشغل بالرق حتى طلب منه الرسول أن يكاتب وساعده صلى الله عليه وسلم حتى نال شرف العتق . وصار من جند الإسلام فشهد غزوة الخندق حرا ولم يترك بعدها مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا الملخص السريع يظهر لنا :ـ

١ ـ أن سلمان لم يتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بعد الهجرة بعد ثلاثة عشر عاما قضاها النبي بمكة ينزل عليه القرآن الكريم وهو يجاهد المشركين فأي

---

(١) جي بفتح أوله وتشديد ثانيه : مدينة أصبهان وفي القاموس المحيط جي لقب أصبهان قديما أو بلدة بها ـ كما في تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام جـ١ ص ٤٧٢ لشمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي المتوفى ٨٤٨هـ ط(١) ١٣٦٧هـ ، وتسمى الآن عند العجم شهرستان . معجم البلدان للحموي المجلد ٢ ص٢٠٢

(٢) صحيح البخاري ، بهامشه بقية حاشية السندي بتمامها وتقريرات من شرحي القسطلاني وشيخ الإسلام جـ٢ ص٢٢٤ " كتاب بدء الخلق ـ باب إسلام سلمان رضي الله عنه " ط١ المطبعة العامرة المليجية بمصر ١٣٣٢هـ " ورام هرمز " مدينة مشهورة بأرض فارس وهو مركب من رام وهرمز تركيب مزج كبعلبك أ . هـ

تأثير من سلمان ، وأى معلومات أخذها منه صاحب الدعوة ؟

٢ـ إن قصة إسلام سلمان دليل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فتوجيه أسقف عمورية لسلمان كان قائما على الصفات التى قرأها من الإنجيل وعلى علمه من كتب النصارى بقرب بعثه صلى الله عليه وسلم وحين تثبت سلمان من هذه العلامات بعد مقابلته للنبى بأرض المهجر أسلم بلاتردد .

٤ ـ إدعاءات فيليب حتى

أفراد وجماعات ظهر تأثيرهم فى رسالة الإسلام . هكذا يدعى فيليب حتى فيقول : ولقد كان لقاء رسول الله للنصارى مقصورا على صلات شخصيه عارضة بعدد من الأفراد أو الوفود (١) وسنكتفى بذكر من قصدهم باختصار خشية الإطالة :

١ ـ مارية القبطية زوجه صلى الله عليه وسلم ٢ ـ بلال الحبشى ٣ ـ زيد بن حارثه وبحيرا وهؤلاء من النصارى فى الأصل أما الجماعات النصرانية التى أتصلت بالرسول صلى الله عليه وسلم والتى كانت تؤمن بالجانب الإنسانى فى المسيح والجانب الإلهى والتابعه للكنيسه السورية على زعمه : فهى جماعة النجرانيين فى الجنوب بالقرب من اليمن . والغساسنه فى الجانب الشمالى الشرقى من الشام واللخميين "المناذرة" على الحدود الشماليه الغربيه بالقرب من فارس (٢) وهذا ماقاله بإيجاز .

تكذيب هذه الإدعاءات :

والله تعالى يشهد أنه يعلم فى قرارة نفسه أنه مكذب لقوله . ولكنه الهوى يدفعه وأمثاله إلى هذا الاتجاه . فيتكلمون بمالا يؤمنون ويقنعون بما لا يقتنعون . ونبدأ بالترتيب التصاعدى لما ذكر فإذا كان نصارى نجران فى الجنوب ونصارى الغساسنة والمناذرة فى الشمال بقسميه آمنوا بالجانب الإنسانى فى عيسى عليه السلام"

---

(١) الإسلام منهج حياة ص ٤٤ .

(٢) المرجع السابق .

على الجانب الإلهى ، وقد خرجوا بذلك فى نظركم عن دائرة المسيحية المعترفة للمسيح بالالوهية ، فكيف تزعمون أن محمدا أخذ من النصرانية ؟

أما بحيرا فقد علمنا منكم كما سبق أنه غرس مبادىء التوحيد فى عقل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا نود أن تظل مذاهب التوحيد مغروسة فى عقول النصارى إلى قيام الساعه ولكن سبق القول : فريق فى الجنة وفريق فى السعير .

وأما زيد بن حارثه فأخذه بنو القين بن جسر غصبا وباعوه بأحد أسواق العرب المسمى (بسوق حباشه) وكان حينئذ ابن ثمانية أعوام ، وآل أمره إلى حكيم بن حزام ابن خويلد، فقدم به من الشام فاختارته خديجة غلاما لها ، ثم وهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد نزول الوحى كان زيد رضى الله عنه ثانى اثنين ممن أسلموا من الصبيان فى بدء الرساله .

وأما بلال بن رباح فكان عبدا حبشيا عند سيده أمية بن خلف وآمن بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحمل من صنوف العذاب ماتنوء به الجبال من أجل قول لااله الا الله محمد رسول الله ، وقد اشتراه أبو بكر وأعتقه لوجه الله .

فأين كان يوم نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

وأما ماريه فهى هدية المقوقس إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث بعث حاطب بن أبى بلتعه بها وأختها سيرين ، وخصى يسمى مابور — مع مجموعة من الهدايا فى السنة السابعة من الهجره النبويه ، ولادور لها فى دين الاسلام ولاتأثير لها فى رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، غير أنها نالت تكريما وتشريفا ، ونعمت بالإسلام دينا ، وظلت فى كنف النبى صلى الله عليه وسلم ترتشف من هدايته وتنعم بمحبته .

٥ـ فرية تسرب اليهودية والنصرانية فى بلاد العرب

تتكرر فرية أخذ التعاليم اليهوديه والنصرانيه ونقلها إلى الأمة الإسلاميه بواسطة اليهود والنصارى الذين انتشروا فى جزيرة العرب ، وكثيرا مايتردد على ألسنة المستشرقين هذا الكلام فيقول أحدهم : وقد رأينا من قبل أن بلاد العرب كلها كانت مليئة بمعتنقى ديانتى التوحيد اليهودية والنصرانية ، ولا يعقل أن رجلا ضاق بدين قومه وأخذ يجد فى البحث عن هداية الهية ، لم يحاول أن يتعرف على دين أولئك الذين يدعون إلى عبادة الواحد الحق (١) ويكشف عن هدفه بوضوح قائلا : لقد أعلن محمد أنه أتى برسالة من عند الله يؤيد فيها ما أنزل على اليهود والنصارى ، ومن الطبيعى أن يتجه تفكيرنا إلى الظن بوجود اتصال بينه وبينهم (٢) .

الرد على هذه الفرية :

هذه الشبهة ذائعة على لسان المستشرقين والمرجفين ومدونة فى جل كتبهم وللرد عليها يلزم الآتى :

١ـ كشف النقاب عما ينشر من وجود لليهودية والنصرانية فى بلاد العرب .

٢ـ الصله بين "الديانتين" ، والإسلام .

أما عن وجود اليهودية والنصرانية فى بلاد العرب فان الذى يطالع كتب التاريخ يلاحظ أن أرض الجزيرة العربية تنقسم فى ذلك الوقت إلى أقسام ثلاثة :

أ ـ القسم الجنوبى ، وهو اليمن .

ب ـ القسم الشمالى ، ويشمل صحراء الشام والبلاد الشمالية حتى فلسطين .

جـ ـ القسم الوسط وهو نجد وهو الجزء الواقع بين الطرفين السابقين ويتبين بعد التقسيم أن اليهودية تسللت إلى الجزيرة من جهة فلسطين من الشمال

---

(١) الإسلام ـ الفريد جيوم / ترجمة مصطفى هداره ، الدكتور / شوقى اليمانى السكرى ص ٣ ط ١ مطبعة لجنة البيان العربى بالقاهره ١٩٥٨م .

(٢) المرجع السابق ص: ٦١

والشمال الغربى ، وأن المسيحية تسربت إليها من الشمال والجنوب وكلا الديانتين لم تصل إلى نجد فظلت منطقة شبه الجزيرة العربية الوسطى خالية من أى أثر للديانتين . وبالرغم من حدوث تعامل تجارى بين اليهود والمسيحين وبين أهل مكة إلا أن العرب حالوا دون دخول أى دين جديد اعتقادا منهم أن ذلك يحط من منزلتهم ، ومكانتهم الاجتماعية بين الأمم ، وتصميما منهم على حماية البيت الحرام . وظل الصراع بين الأطراف قائما ولم تتمكن الديانتان من النفوذ إلى داخل الجزيرة ، وإلا لظهر أثر ذلك فى وجود معابد للطرفين فيها ، وهذا ماتنبه إليه (اسرائيل ولفنسون) [١] ، وزاد الأمر تأكيدا بالنسبة للنصرانية حيث قال : مع أن من المؤكد الثابت أن أفرادا من أحرار النصارى وعبيدهم قد كانوا فى مكة ساكنين ومختلطين بأهلها ، ولكن لم يثبت أن أهل مكة قد عرفوا النصرانية وتعاليمها ومبادئها [٢] ، ولم يعرفوا أيضا اليهودية وتعاليمها لما ذكرنا من أسباب ، ولأن اليهود يعتبرون الوحى خاصا بأمتهم فلايعطوا تعاليمه إلا من دخل فى دينهم ، ويشير إلى هذا الدكتور / عبد الجليل شلبى فيقول : على أن اليهود الذين سكنوا بعض الواحات القريبة من المدينة لم يكونوا أسخياء بمعلوماتهم بل انفردوا العرب ومنوا عليهم بالتعليم [٣] . وبذا لم تكن الديانتان منتشرتين فى مكة حيث نشأ محمد صلى الله عليه وسلم وأعلن نبوته .

أما عن الصلة بين الديانتين (اليهودية والنصرانية) بالإسلام فيوضحها القرآن الكريم فى قول الله تعالى : (إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب) [٤] وقوله تعالى : (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب) [٥]

---

(١) تاريخ اليهود فى بلاد العرب " فى الجاهلية وصدر الإسلام ، تأليف الدكتور / إسرائيل ولفنسون ص ٩٤ مطبعة الاعتماد ـ بمصر ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٧ م .

(٢) المرجع السابق ص: ٩٦ (٣) صور استشراقيه . الكتاب الأول ص: ٣٧

(٤) سورة آل عمران آية ١٩ (٥) سورة الشورى آية ١٣

فحقا أتى صلى الله عليه وسلم برسالة التوحيد من الله تعالى وهي تأييد لرسالة موسى وعيسى بل لجميع رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويقول الدكتور / أحمد عروة وذلك أن الإسلام ماجاء ليكون دينا يستبعد غيره من الأديان [١] وإنما جاء داعيا لتوحيد الله ومصدقا لوحي الله الى رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) [٢] ولهذا فإيهام " جيوم " بأن ماتحدث به محمد صلى الله عليه وسلم من الوحي مرجعه اتصاله باليهود والنصارى لا أساس له من الصحة ،فإن ماأنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أثار أعجاب علماء أهل الكتاب وتأثروا به (قل آمنوا به أو لاتؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) [٣] ومع كل هذا تتعالى صيحات الناقمين على الاسلام من قائل أنه تأثر بتعاليم اليهود كما زعم " ولفنسون " [٤] ومن قائل بأنه مقلد وأن أحسن مافيه مأخوذ من النصرانية [٥] كما زعم المبشر " نلسن " وحقيقة الأمر أن الاسلام جاء مقرا برسالة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ،ومصححا لما وقع من أخطاء وتحريف للديانتين ،وما حدث من تفسيرات خاطئة من أهل الملتين ،وجعلوه عقيدة بارزة يؤمن بها جلهم ففي العهد القديم من الروايات مايجعل القارئ — ولو كان محدود الثقافة يحكم بالبون الشاسع بينه وبين القرآن الكريم ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ،ومن أراد المزيد فليرجع إلى الفصل لابن حزم [٦] فقد قال العهد القديم عن ابراهيم عليه السلام : " وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه فلما

---

(١) الاسلام في مفترق الطرق الدكتور / أحمد عروة نقله عن الفرنسية الدكتور / عثمان أمين ص٤٧ بدون عدد للطبعة مطابع دار الشروق ببيروت ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م.

(٢) سورة البقرة الآية ١٣٦ (٣) سورة الاسراء الآيات من ١٠٧ الى ١٠٩

(٤) تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ص٩٦

(٥) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٤٠

(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني جـ١ ص ١٠٣

نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الارض (١) . وتكملة القصة بإيجاز أن الخليل أعطاهم ماء فغسلوا أرجلهم وجلسوا تحت الشجرة وأخذوا منه كسرة من الخبز سدوا بها جوعتهم حتى هيأ لهم طعاما شهيا وعجلا مشويا وبعد أن أكلوا . بشروه بأن ساره ستلد ابنا سويا . فما موقع هذا الكلام من قول الله عزوجل في القرآن الكريم (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف انا ارسلنا الى قوم لوط . وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب) (٢) وأخبر العهد القديم عن لوط عليه السلام (فجاء الملاكان إلى سدوم مساء وكان لوط جالسا في باب سدوم . فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الارض) (٣) وبعد ذلك بات الملكان عنده وأكلا خبزا وفطيرا وما حدث من ملائكة الرحمن مع لوط عليه السلام مسجل في أكثر من سورة في القرآن الكريم نكتفي بقول الله عزوجل (فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون . قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وأتيناك بالحق وإنا لصادقون) (٤) وبذا ظهر كذبهم وافتراؤهم . فالملائكة عليهم السلام لا يأكلون ولا يشربون . ورسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يسجدون لغير الله ولا يعبدون سواه . ولم يسلم سليمان وهو النبي الحكيم من طعنهم الذميم فذكروا عنه في كتبهم أنه أيد عبادة الآلهه بل مال إليها وعمل الشر (فذهب سليمان وراء عشتورث إلاهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه) (٥) والقرآن الكريم ينزه سليمان عليه السلام من أمثال هذه التلفيقات . فيقول الله عزوجل : (واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان وماكفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ..) (٦)

---

(١) الكتاب المقدس ص٢٥ سفر التكوين ١٨ : ١ ، ٢

(٢) سورة هود الآيات من ٦٩ : ٧١ (٣) الكتاب المقدس ص٢٧ سفر التكوين ١٩ : ١
(٤) سورة الحجر الآيات ٦١ و ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ (٥) الكتاب المقدس ص٥٤٥ سفر الملوك ١١ : ٥

(٦) سورة البقرة من الآية (١٠٢)

وقال الله تعالى : (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب) [١]

ويخبرنا الله عزوجل . أن ابراهيم ولوط واسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام من يقتدى بهم فى أمور الدين ، وأنهم وفوا بعهد العبوديه والربوبية وزهد بقوله تعالى :

(وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) [٢]

ولقد ذكر أحد أسفارهم أن هارون جمع أقراط الذهب من بنى اسرائيل وكل حليّهم وفى غياب موسى صنع لهم تمثالا منه فاتخذوه إلها وها هى بعض عباراتهم (فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا . فقالوا هذه ألهتك يااسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر) [٣] وقد أخبر القرآن الكريم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أن السامرى هو الذى أضلهم ، ونحت عجلهم المذكور فعبدوه من دون الله ولما نهاهم هارون عن عبادته خالفوه كما أخبرنا الحق تبارك وتعالى.(ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) [٤] وما قصدت بهذا المقارنة ، وإنما إيضاح الأمر حتى لايزيغ من لم يقرأ القرآن ويصدقهم فى افترائهم والذى منه ماذكروه عن إبراهيم عليه السلام وزوجه ساره بالنسبة لملك مصر وماذكروه عن لوط وأبنتيه . على أنه لايفوتنى مااستحدثوه من تأويلات وتعليقات على الكتاب المقدس وخاصة العهد الجديد فى قضية التثليث ، والصلب ، وماقالوه بأن ذات الإله مركبة من الأقانيم الثلاثة وهى متحدة بحيث يصير أحدها نفس الآخر ولقد صحح القرآن هذا الانحراف (ياَ أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولاتقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد

---

(١) سورة ص الآية ٣٠ (٢) سورة الأنبياء الآية ٧٢

(٣) الكتاب المقدس ص ١٤٠ سفر الخروج " ٣٢ / ٤ "

(٤) سورة طه الآيتان ٩٠ ، ٩١

له مافى السموات ومافى الأرض وكفى بالله وكيلا) (١) وأبطل اعتقادهم بصلب المسيح فى قوله تعالى ردا على بنى إسرائيل : (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما) (٢) وبعد هذا التوضيح فلست بصدد عرض مخازى القوم المسدونة فى كتبهم ، وادعاءاتهم على رسل الله ماهم منه براء ، فإن ذلك يطول ، ولكنى قصدت أن أقول للقوم إن القرآن لوأخذ منكم لطابقكم على الأقل فى مجرد الفكرة ، وإنما نقد أسفاركم وكشف تحريفكم ، وأرشدكم لتصححوا اعوجاجكم .

ونتيجة هذا الموضوع :

١ـ أنه لم يكن لأهل الكتاب من وجود يذكر بمكة حين بعثته صلى الله عليه وسلم

٢ـ الإسلام دين توحيد الله وقد جاء بذلك كل رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

٣ـ القرآن الكريم صحح ووضح ماحرف وأول فى الكتب السابقة .

٤ـ أن القرآن الكريم وحى الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ولامدخل لأحد فيه .

٦ ـ شبهة الوحى النفسى

دأب جل كتاب الغرب الماديين على فكرة الوحى النفسى لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول واحد منهم فى حق النبى صلى الله عليه وسلم : (وجعل يقضى طويل الساعات جاثيا فى ظلام النار أو مستلقيا تحت وهج الشمس أو سائرا بخطى واسعة فى الشعاب ، وكان كلما سار خيل إليه أن أصواتا تخرج من الحجارة(٣) ويقول قبل ذلك بعد ذكره أن النبى صلى الله عليه وسلم تأمل فى السماء وما فيها من نجوم سابحة وكواكب مضيئة مانصه : وهذه الكواكب تكون فى ليالى صيف الصحراء من الكثرة وشدة النور مايخيل معه إلى الإنسان أنه يسمع صوتا للمعانها كما يسمع صوت نار موقد كبير (٤) .

---

(١) سورة النساء : ١٧١ (٢) سورة النساء : ١٥٧ ، ١٥٨

(٣) حياة محمد " صلى الله عليه وسلم " إميل درمنغم ترجمة عادل زعيتر ص: ٥٦ .

(٤) المرجع السابق، ص ٥١

الـــرد عليهـــا :ــ

وبعد لول حديثه أن النبى تخيل وتصور ثم نطق بما جال فى فكره ، وهكذا يئس القوم ، وحاروا أمام الوحى الإلهى ، وشعروا بانكشاف أمرهم وكذب كلامهم كما أحسوا من أنفسهم أن الناس بعقولهم لاتنطلى عليهم فكرة تعلم القرآن من الأحبار والرهبان وغير ذلك من الادعاءات التى دحضتها فيما تقدم فلجأوا إلى الايحاء النفســـى ظنا منهم أنهم جاءوا بما لم يعلمه الأوائل ، وهم فى الواقع مقلدون بغيرهــــم من كفار مكة الذين سبقوهم إلى هذا الرأى يقول الدكتور / دراز : ومن تتبـــع أنواع المجادلات التى حكاها القرآن عن الطاعنين فيه رأى أن نسبتهم القرآن الى تعليم البشر كانت هى أقل الكلمات دورانا على ألسنتهم ، وأن أكثرها ورودا فـــى جدلهم هى نسبته إلى نفس صاحبه على اضطرابهم فى تحديد تلك الحال النفسية التى صدر عنها القرآن : أشعر هى ، أم جنون ، أم أضغاث أحلام ؟ (١)

وصور القرآن الكريم هذه الادعاءات ورد عليها بالقول الفصل (بل قالوا أضغاث ــ أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) (٢) وكشف القرآن كذبهم بقول الله تعالى (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولامجنون أم يقولون شاعـــــر نتربص به ريب المنون ، قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين) (٣)

وبقوله تعالى : (وماهو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون) (٤) وبقوله تعالى : (وماعلمناه الشعر وماينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) (٥) ففكرة الوحى النفسى مرفوضـة أساسا بالنسبة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد بذلك الآتى :

١ ــ حالة نزول الوحى : فكل من عاصر الرسول صلى الله عليه و سلم وجلس بجواره لحظات لقاء جبريل معه يسمع دويا كدوى النحل أو صوتا مثل صلصلة الجرس فهذا الصوت الحادث والمسموع من أين جاء؟ والمتلقى له صامت لايحرك بنت شفاه كمـا أمره مولاه (لاتحرك به لسانك لتعجل به إنّ علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه) (٦)

---

(١) النبأ العظيم ص: ٦٧ ، ٦٨ (٢) سورة الأنبياء الاية ٥

(٣) سورة الطور الآيات ٢٩، ٣٠ ، ٣١ (٤) سورة الحاقة الآية ٤١

(٥) سورة يس الآيه ٦٩ (٦) سورة القيامة الآيات من ١٦ : ١٩

فلقد كان صلى الله عليه وسلم يحرك بالقرآن لسانه قبل انقضاء وأثناء إلقائه عليه مخافة أن ينفلت منه ، وحرصا على أداء الرسالة يقول الألوسى : وكان صلى الله عليه وسلم إذا ألقى عليه جبريل عليه السلام القرآن يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة خوفا أن يصعد عليه السلام ولم يحفظه صلى الله عليه وسلم فنهى عليه الصلاة والسلام عن ذلك إذ ربما يشغل التلفظ بكلمه عن سماع مابعدها (١) وصدق الله العظيم (فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدنى علما (٢) فبدء الأمر كان النبى صلى الله عليه وسلم ينطق بالحرف أو الكلمة بعد سماعها من جبريل فأمر صلى الله عليه وسلم أن يظل صامتا حتى يفرغ جبريل ويصعد ، ويفهم من هذا أن هناك كان صوت الوحى المغاير لصوت النبى وهذا محسوس لمن عاصروا اتصال السماء بالأرض فى حياة النبى وفترة الوحى .

٢ـ حالة النبى فى لحظات الوحى :

فلقاء ملك الوحى ليس بالأمر الهين فحين الاتصال به وقت نزول القرآن تبدو علامات واضحات على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيتغير وجهه الشريف ، وتسيل قطرات الماء من جبينه كما ورد فى الحديث الشريف : عن عبادة بن الصامت قال : كان نبى الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحى كرب لذلك وتربد وجهه (٠) (٣) وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن الحارث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي فيفصم عنى وقد وعيت عنه ماقال وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى مايقول" قالت عائشة رضى الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا (٤)

---

(١) روح المعانى جـ ١٦ ص: ٢٦٨ (٢) سورة طه الآية ١١٤

(٠) تربد وجهه : أى تغير وصار كلون الرماد ، ولاتما رض بين وهو محمر الوجه وبين تربد وجهه لانها حمرة كدرة أو أنه يتربد فى أول الأمر ثم يحمر بعد ذلك

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل/باب طيب عرقه صلى الله عليه وسلم جـ ١٥ ص: ٨٩

(٤) صحيح البخارى كتاب الوحى جـ ١ ص ٢٢ (باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله [illegible]

وأيضا ما أحسه زيد بن ثابت وهو يكتب الوحى لحظة نزول جبريل عليه السلام بآية "غير أولي الضرر"(١) وقوله : غشى النبى صلى الله عليه وسلم الوحى ووقع فخذه على فخذى حتى كادت تدق من ثقل الوحى . وهذه حالات شاهدة بوجود اتصال غير منظور إلا لمن نزل عليه الوحى لكن أثره ظاهر لكل من حضر وشاهد الحالة من ملامح وجه النبى أو احساس من بجواره كما حدث مع زيد .

٣ـ الفرق الواضح بين النص القرآنى والنص النبوى فمع أن النبى أوتى جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارا الا أن العبارة من القرآن فيها من الإعجاز والبلاغة ما يقصر عن إدراكه البشر وكل مخلوقات الله أيا كانوا لأنه تنزيل من حكيم حميد فلا يبقى لشبهة الوحى النفسى أثر . وسيظل تحدى القرآن دليل على وحى الرحمن .

---

(١) روح المعانى جـ ٥ ص ١٢١

٧ ـ شبهتان حول النبوة

أ ـ شبهة الصرع والرد عليها

تعرض المستشرقون للنبي صلى الله عليه وسلم بالطعن فاتهموه بمرض الصرع

يقول المستشرق الفريد جيوم : ونحن نعلم من كتب التفسير أن الرسول كان عرضة لنوبات الصرع فتذكر أنه كان يشعر بمثل وقع صوت الناقوس حينما كان يأتيه الوحي (١) وقال " نولدكه " : إن سبب الوحي النازل على محمد والدعوة التي قام بها هو ما كان ينتابه من داء الصرع (٢)

وللرد على هذه الشبهة أقول :

لعدم فهم الفريد جيوم لحالات الوحي كما فصلتها كتب التفسير والسنة ذكر أن مبلغ علمه واطلاعه أنها نوبات صرع وزاد الطين بلة " نولدكه " حين أكد أن سبب الوحي حالة الصرع التي تنتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والواقع أن ما كان يحدث لرسول الله وقت نزول الوحي من تغير الوجه وتقطر العرق ليس من قبيل المرض العقلي وانما هو شدة الوحي وعظمة القرآن (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) (٣) فاتصال الملك بالبشر ليس بالامر الهين كما أن نزول القرآن غضا له

---

(١) الإسلام ص ٥٦

(٢) حاضر العالم الإسلامي تأليف لوثوروب ستودارد الأمريكي ترجمة عجاج نويهض تعليقات الأمير شكيب أرسلان ـ جـ ١ ص ٣٤ ط ٣ مطبعة دار الفكر ١٣٩١هـ = ١٩٧١م .

(٣) سورة الحشر الآية ٢١

أثره وكل هذا لم يخرج الرسول عن وعيه فبمجرد انتهاء الاتصال بروح القدس يتلو النبي صلى الله عليه وسلم ما سمعه كما أنزل ٠ ومن المحال أن يأتي مريض بالصرع ما يعجز الفصحاء والعلماء عن الإتيان بمثله في حالة الصحة التامة ٠ وكذب " جيوم " بادعائه أن كتب التفسير تذكر ذلك فهي لم تشر من قريب أو من بعيد بمثل هذا الخبل ، كما وأنه وقع في تناقض صريح فذكر أن إخوانه التبس عليهم الأمر فظنوا أعراض الوحي وما يتبع ذلك من الجهد نوع من الصرع [1] ومريض الصرع يختل توازنه ويفقد قواه العقليه ٠ ومن كانت حالته هذه لا ينطق بالآيات البينات وبالحكم والعظات وقد استاء المستشرق (غويه) لتورط إخوانه فقال إن هذا الافتراض ليس بصحيح لأن الذاكرة عند المصابين بالصرع تكون معطله والحال هي بالعكس عند محمد الذي كان يتذكر كل ما يسمعه في أثناء هذه النوبات [2] ولقد شرح أساتذة الأمراض العصبية وبينوا أن النوبات الصرعية ليست نوبات نفسية كما يتبادر إلى أذهان المتقولين ولكنها ناتجة عن تغيرات فسيولوجية عضوية في المخ [3] والغريب أن يصل الأمر بالبعض من المستشرقين باتهام النبي بأنه كان عصبيا حاد المزاج ويرد عليهم فضيلة الشيخ / محمد عبد العظيم الزرقاني بما ملخصه : إن هذه فرية شهد التاريخ بما يدحضها ٠ فمحمد صلى الله عليه وسلم كان وديعا وصبورا فسيح الصدر واسع الحلم ٠ مع سلامة الجسم وصحة البدن وكان شجاعا عاقلا قويا غير عنيف ٠ وسع الناس بحلمه وردع الطغاة بعدله [4] ٠ فلا أثر من الصحة لما يتقوله المغرضون بالنسبة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

---

(١) الإسلام الفريد جيوم ص : ٢٦ (٢) حاضر العالم الإسلامي ــ المجلد الأول ص: ٣٤

(٣) المستشرقون والإسلام / زكريا هاشم زكريا ص ٢١٣ سلسلة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الكتاب المشرون ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٥ م ٠

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن الشيخ / محمد عبد العظيم الزرقاني ج ١ ص ٨١ ط ٣ مطبعة عيسى الحلبي بالقاهره ١٣٦٢ هـ = ١٩٤٣ م ٠ بتصرف

ب ـ شبهة الكهانة والرد عليها

ردد ها بعض المستشرقين ومنهم " كارل بروكلمان " الذى كررها فقال : واستخدم محمد فى دعوته أساليب الكاهن ، كما عزا على غراره أحوال غيبوبته وما يصدر عن هذه الأحوال من تصريحاته إلى رفيق ذكر فيما بعد أنه الملك جبريل ، واعتقد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه (١) وقال فى موضوع آخر (كان النبى " صلى الله عليه وسلم " فى أقدم مراحل دعوته الدينية يطلق ما يدور بخلده وهو صادق الاستغراق والغيبوبة فى جمل مؤثرة يغلب عليها التقطع والإيجاز ، وتأخذ طابع سجع الكهان) (٢)

وللرد على هذه الشبهة يجد ربى تعريف الكهانة : كهن له يكهَن ، ويكهُن ، وكهُن كهانة ، وتكهّن تكهّنا وتكهينا ، الأخير نادر قضى له بالغيب (٣) (كهن ، كهانة) صار كاهنا وصارت الكهانة له طبيعة وغريزة (والكهانة) حرفة الكاهن (والكهنوت) وظيفة الكاهن ، رتبته " وسر الكهنوت " هو أحد أسرار الكنيسة المقدسة السبعة يتولى به الكاهن أن يقدس جسد المسيح ودمه فى تلاوة القداس وأن يحل من الخطايا (٤) قال صاحب لسان العرب : الكاهن الذى يتعاطى الخبر عن الكائنات فى مستقبل الزمان ويدعى معرفة الأسرار (٥) وعند اليهود وعبد الأوثان : الذى يقدم الذبائح أو القرابين وعند النصارى من ارتقى إلى درجة الكهنوت ، (٦) وتطلق لفظة (بابا) على الكاهن ، ففى دائرة المعارف الآباء جمع أب وهى تطلق عند النصارى على أباء العهد القديم ، وعلى آباء الكنيسة وعلى الكهنة عموما (٧) وقد كان فى العرب كهنة كشق وسطيح وغيرهما فمنهم من كان يزعم أن له تابعا من الجن ورئيا يلقى إليه الأخبار ، ومنهم من كان

---

(١) تاريخ الأدب العربى ـ ترجمة الدكتور / عبد الحليم النجار ح ١٠ ص ١٣٤ الطبعة الرابعة ـ طبع دار المعارف بالقاهره ١٩٥٩م .

(٢) المرجع السابق ح ١ ص ١٣٧ (٣) لسان العرب المجلد ١٣ حرف النون ص ٣٦٢

(٤) المنجد : فى اللغة والأدب والعلوم الأب لويس معلوف اليسوعى ص ٧٤٧ ط ١٥ المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٥٦م . (٥) لسان العرب المجلد الثالث عشر ص ٣٦٣

(٦) المنجد : ص: ٧٤٧ (٧) دائرة المعارف فؤاد أفرام البستانى ـ المجلد الأول (من الهمزه إلى آيين نامه) ص: ٣٢ بدون عدد للطبعة، طبعة بيروت ١٩٥٦م .

يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات،أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله ، وهذا يخصونه باسم العرّاف كالذى يدعى معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما .[1]

والضرب الأول من الكهانةنفاه الحق عن نبيه صلى الله عليه وسلم،بقوله تعالى : (وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغى لهم ومايستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون)[2] وذلك فى معرض الرد لقول مشركى قريش إن لمحمد صلى الله عليه وسلم تابعا من الجن يخبره كما تخبر الكهنة وأن القرآن مما ألقاه إليه . ثم بين الله عز وجل أن الشياطين منعوا بالشهب بعد أن كانوا مكنين من تأدية هذا الدور (وأنّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا)[3] المراد تعليل ماتقدم على أبلغ وجه لأنهم إذا كانوا ممنوعين من سماع ماتتكلم به الملائكة فى السماء كانوا ممنوعين من أخذ القرآن الكريم من اللوح المحفوظ أو من بيت العزة أو من سماعه إذ يظهره الله عز وجل لمن شاء فى سمائه من باب أولى[4] وذلك من قبل أن ينزل على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخبرنا الحق سبحانه وتعالى : بأنه لايطلع على غيبة إلا من اصطفاه واختاره ، وأنه يحفظ وحيه من تخطف الشياطين إياه ليس بالحراس والشهب وملء المقاعد العلوية بهما بل بحفظ الرسول من كل النواحى حتى يصل إليه وحى السماء صافيا :(عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا)[5] وبذا لم تتمكن الشياطين من اختطاف الوحى أو تخليطه بأى صورة من الصور والشياطين والذين يتصلون بهم كاذبون : وفى الحديث الشريف عن عائشة قالت : قلت : يارسول الله إن الكهان كانوا يحدثوننا بالشيء فنجده حقا قال:(تلك الكلمة الحق يخطفها الجنّ فيقذفها فى أذن وليه ويزيد فيها مائةَ كذبة)[6]

---

(١) لسان العرب المجلد الثالث عشر ص: ٣٦٣ (٢) سورة الشعراء الايات من ٢١٠ : ٢١٢

(٣) سورة الجن الآية ٨ (٤) روح المعانى : ج ١٩ ص: ١٣٣

(٥) سورة الجن الايتان ٢٦،٢٧ (٦) صحيح مسلم بشرح النووى (كتاب السلام ــ باب تحريم الكهانة) ج ١٤ ص : ٢٢٤

وكما أن الجن يكذب فكذلك الكاهن والله عز وجل يقول فى القرآن الكريم : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم • يلقون السمع وأكثرهم كاذبون)(١)

وقد علمنا أن الشياطين كاذبون والذى ينزلون عليه أفاك أثيم ، والفرق بين الصادق البار والذى يأتيه الشيطان الرجيم ، فرق مبين يعرف بأدنى معرفة بحال الإثنين (٢)

أما الضرب الثانى من الكهانة وهو مايستدل فيه على الأمور بمقدمات وأسباب :

فقد أكذبهم النبى صلى الله عليه وسلم ونهى عن أتيانهم فعن معاوية بن الحكم السلمى قال : (قلت يارسول الله أمورا كنا نصنعها فى الجاهلية كنا نأتى الكهان قال فلاتأتوا الكهان قال قلت كنا نتطير قال ذاك شىء يجده أحدكم فى نفسه فلايصدنكم) (٣) وفى رواية سئل عن الكهان فقال ليسوا بشىء :

ومعناه بطلان قولهم وأنه لا حقيقة له وعن صفيه عن بعض أزواج النبى صلى الله عنه وسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من أتى عرافا فسأله عن شىء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة) (٤) والعراف من جملة الكهان وكلام الكهان سجع متكلف ذمه النبى صلى ا الله عليه وسلم فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فى إمرأتين من هزيل أقتتلتا فرمت أحداهما الأخرى بحجر فأصاب بطنها وهى حامل فقتلت ولدها الذى فى بطنها فاختصموا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقضى أن دية مافى بطنها غرة عبد أو أمه فقال ولى المرأة التى

---

(١) سورة الشعراء الآيات من ١٢١ : ١٢٣

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام بن تيميه جـ ٤ ص ٤١ بدون عدد للطبعة مطبعة المدنى بالقاهره بدون تاريخ

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٤ ص: ٢٢٣ (٤) المرجع السابق ص: ٢٢٧

غرمت كيف أغرم يا رسول الله من لا شرب ، ولا أكل ، ولا نطق ، ولا أستهل فمثل ذلك بطل (*) فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما هذا من أخوان الكهان (١) فالنبي صلى الله عليه وسلم أبطل الكهانة وذم سجعها المتكلف وما علينا بعد هذا المرض إلا أن نذكر " بروكلمان " ومن يسير على دربه بالبون الشاسع بين وحي الرحمن وحديث الكهان ، فالأول قرآن كريم ، بشير ونذير وعظة وتذكير ، هداية ، ونور آياته ثابت صدقها واضح أثرها ، والثاني خلط وتشويش تمجه الأذواق الصحيحة وتنفر من سماعه الأذان السليمة وقد أخبرنا الحق بأن القرآن كلام رسول كريم (إنه لقول رسول كريم ، وماهو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون) (٢)

ونفى عنه تدخل الشياطين بقوله تعالى : (وماهو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين) (٣)

(*) بطل من البطلان أو يطل أى يهدر

(١) التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح "كتاب الطب" جـ ٢ ص: ١٣٧ ، ١٣٨ ، البخارى بحاشية السندى جـ ٤ ص: ١٩

(٢) سورة الحاقة الآيات من ٤٠ : ٤٢

(٣) سورة التكوير الآيات من ٢٥ : ٢٧

الموقف الاستشراقي العام من الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم

سبق أن تحدثنا عن طوائف المستشرقين وأنماطهم المتعددة،

والآن نتحدث عن موقفهم من القرآن في صورة مجملة مع الرد على معتقدات الطوائف الشاردة .

فالقرآن هداية السماء ونور الكون كله نزل من عند الله الى خاتم رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين)(١) ومنذ نزوله وأهل الجحود من كل جنس وملة ودين في حيرة واضطراب نظرا لما فيه من تأثير جذاب ، وما يحتويه من نظم خلاب هدفع العقلاء للإيمان به والتصديق بمن نزل عليه ولهذا قابل مشركوا مكة ومن جاراهم من اليهود والنصارى في القديم الفيض الرباني والهدى الالهي بالصد والتشكيك ومازالت حملة العناد مستمرة للآن يحمل لواءها المستشرقون ، وللانصاف منذ ترجمة القرآن الى اللغة اللاتينية ووضح انقسام المستشرقين إلى قسمين :

١ــ قلة تسلم لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وتؤمن بوحي القرآن وهؤلاء أسلم منهم الكثير ومن لم يعلن منهم إسلامه فهو في نظري متظاهر بهذا الاعتراف

---

(١) سورة الشعراء الآيات من ١٩٣ ــ ١٩٥

أرغمه على التظاهر به ثبات دعوة الإسلام وإيمان الشعوب العديدة به فى كل زمان ومكان ، ثم مايتضمنه من حقائق تاريخية ، وعلمية ، لاتحتمل الشك ولا يمكن التغاضى عنها .

٢ـ كثرة تعارض القرآن وتشكك فيه ، زاعمة أنه من تأليف " محمد صلى الله عليه وسلم " وليس وحيا سماويا وهديا ربانيا وحاشا لله أن يكون القرآن على هذه الصورة "كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا" وما ادعاه هذا الفريق سبقهم به مشركو مكة وسجل القرآن الكريم عليهم هذه السرية ونزل الوحى بتفنيدها كما حدث فى شبهة الوحى النفسى وعلمناه ـ قالوا علمه بشر (١) ورد القرآن عليهم (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) (٢) وبالرغم من بلاغتهم وفصاحتهم وعلمهم بما فى القرآن من إعجاز إلا أنهم لجأوا إلى هذا الادعاء ونسبوا القرآن إلى أعجمى لكن يقول ـ الألوسى : وبالجملة التشبث فى أثناء الطعن بمثل هذه الخرافات الركيكة دليل قوى على كمال عجزهم فقد راموا اجتماع اليوم والأمس واستواء السها والشمس (٣)

(وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما) (٤) فلشدة ارتباكهم اتهموا الرسول باختراع القرآن مع إعانة أخرين وقالوا إن النبى طلب كتابة أساطير الأولين لأنه أمى لايكتب ولا يقرأ من كتاب فهى تملى عليه ، والذى أعانه أوعلمه ليس عربيا بالطبع ، ولو كان لايخلو الحال من إيمانه بمحمد رسولا أو عدم إيمانه فان كان مؤمنا فكيف يتبعه وهو المعلم له بينما هم يتنافسون على النبوة فيما بينهم وإن كان مشركا فكيف يعلمه ويعينه على الشىء الذى يحاربه من أجله وقد علمنا

---

(١) من هو البشر ؟ قيل : حبرا الروى غلام عامر بن الحضرمى وكان قد قرأ التوراة والانجيل وكان يجلس الرسول إليه فى بعض الأوقات وقيل أبا فكيهه مولى لامرأة بمكة وقيل إسمه يسار

(٢) سورة النحل الاية ١٠٣ (٣) روح المعانى جـ ١٤ ص ٢٣٤

(٤) سورة الفرقان الآيات من ٤ إلى ٦

أن نسبة تعليم القرآن إلى عجمى دليل المجز التام . ولكن الكفار استمروا فى تدعيم افترائهم فحددوا الزمان بدون المكان حتى لا ينكشف كذبهم . وذكروا أن التعلم يكون فى الصباح قبل انتشار الناس وفى المساء حتى يأوون إلى مساكنهم . فهم بهذا لم يروا بأعينهم معلما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسقطوا من حيث لا يشعرون واعترفوا بالأمر الذى منه يفرون ولذا يقول الألوسى : وإذا أراد وابكرة وأصيلا خفية من الناس ازداد موقع السر حسنا[1] .

القرآن الكريم يرد مطلب الكافرين :

فحين قال الجاحدون من أهل مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ائت بقرآن غير هذا أو بدله : فقد اجتمع خمسة نفر منهم وقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم إن كنت تريد أن نؤمن لك فائت بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة . وليس فيه عيبها وإن لم ينزل الله تعالى عليك فقل أنت من نفسك أو بدله فاجعل مكان آية عذاب رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حلال حراما[2] وصور القرآن الكريم الدعوى ورد عليها فى قول الله عز وجل : (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل مايكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا مايوحى إلىّ إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم)[3] ورد عليهم القرآن حين قالوا ما أخبرنا الله عز وجل به : إن هذا إلا قول البشر بقوله تعالى : (قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى إلىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإننى برىء مما تشركون)[4] وبقوله تعالى : (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا مايوحى إلىّ قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون)[5]

---

(١) روح المعانى : جـ ١٨ ص ٢٣٦ (٢) روح المعانى ج ١١ ص ٨٥

(٣) سورة يونس آية ١٥ (٤) سورة الأنعام آية ١٩

(٥) سورة الأنعام آية ٥٠

شهادة صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم بأنه لايعلم إلا ماعلمه الله إياه :

(عن خارجة بن زيد بن ثابت أن أم العلاء إمرأة من نسائهم بايعت النبى صلى الله عليه وسلم أخبرته أن عثمان بن مظعون طار لهم فى السكنى حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين قالت أم العلاء فاشتكى عثمان عندنافمرضته حتى توفى وجعلناه فى أثوابه فدخل علينا النبى صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك أبا السائب شهادتى عليك لقد أكرمك اللهفقال النبى صلى الله عليه وسلم ومايدريك أن الله أكرمه قالت قلت : لاأدرى بأبى أنت وأمى يا رسول الله فمن قال أما هو فقد جاءه والله اليقين والله إنى لارجو له الخير وما أدرى والله وأنا رسول الله مايفعل بى قالت فوالله لاأزكى أحدا بعده قالت فأحزننى ذلك فنمت فأريت لعثمان بن مظعون عينا تجرى فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال ذلك عمله) (١) ومصداقه فى كتاب الله تعالى: قل ماكنتبدعا من الرسل وما أدرى مايفعل بى ولابكم إن أتبع الا مايوحى إلىّ وما أنا إلانذير مبين) (٢)

اعتراف الرسول صلى الله عليه وسلم بأن القرآن وحى من عند الله تعالى : وهذا ماقرره القرآن الكريم من اتجاهين :

١ـ طريق النص على أنه من عند الله تعالى : (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ماكنت تعلمها أنت ولاقومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) (٣)

وقوله عز وجل (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) (٤)

٢ـ طريق التحدى : قال الله تعالى : (أم يقولون أفتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) (٥) (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من أستطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) (٦)

وتحقق ضعفهم وثبت عجزهم وكشف القرآن الكريم أمرهم بقول الله تعالى :

---

(١) البخارى بهامشه حاشية السندى بتمامها وتقريرات منشرحى القسطلانى وشيخ الإسلام جـ ٢ ص : ٢٢٢(كتاب (بدء الخلق ـ باب مقدم النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة)

(٢) سورة الأحقاف الاية ٩ (٣) سورة هود الآية ٤٩

(٤) سورة النمل الآية ٦ (٥) سورة السجده الآية ٣

(٦) سورة يونس الآية ٣٨

(بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) (١) فليعلم الطاعنون فى وحى السماء ما أصابهم من ضلة وماعمّهم من جاهلية عمياء ؛فاقوا بها مشركى مكة فى زمنهم ؛وإن أرادوا الهداية والصواب فليشهدوا بصدق القرآن ويفهموا شهادة الرسول بأنه وحى الرحمن وإلا نالهم العقاب الشديد عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (والذى نفس محمد بيده لايسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولانصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) (٢)

وعن أبى هريرة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم : (مامن الأنبياء نبى إلاأعطى مامثله آمن عليه البشر وإنما كان الذى أوتيت وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) (٣)

---

(١) سورة يونس الآية : ٣٩

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ٢ ص ١٨٦ " كتاب الإيمان ـ باب وجوب الإيمان برسالة النبى صلى الله عليه وسلم

(٣) البخارى بحاشية السندى جـ٣ ص ٢٢٤ (كتاب فضائل القرآن)

" الفصل الثاني "

افتراءات المستشرقين حول الوحي المدون

" القرآن الكريم والسنة النبويه " وتفنيدها

نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع أهل مكة آيات القرآن ، فشهدوا ببلاغتها ، وأعجبوا بفصاحتها ، فهم أهل الفصاحة ، وأرباب البلاغة ، والقرآن في أعلى درجات البيان ، فلم يستطع المشركون الطعن في تراكيبه أو ادعاء تناقض آياته ومعانيه كما يحدث الآن من أعداء الإسلام الذين اتهموا آياته بالتضارب والتعارض ، وشككوا في تواتره وتدوينه وقصصه ، ولم يكتفوا بذلك بل وجهوا سهامهم نحو السنة النبوية الشريفة بادعاءات مغرضة زاعمين أنها منقولة عن الأمم الأخرى وأنها متناقضة أيضا واتهموا رواتها بما هم منه براء وغير ذلك مما سيتضح أثناء الرد عليهم بتوفيق الله .

المبحث الاول

شبهات المستشرقين حول القرآن الكريم وتفنيدها

عمد الطاعنون فى الإسلام إلى تشويه صورته وفى سبيل ذلك سلكوا كل الدروب فهاجموه وحيا ربانيا ألقى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وضحت ذلك فى الفصل الأول من الباب الثانى . ولم يكتفوا بهذه المفتريات ولجأوا إلى الطعن فى الوحى بمعنى الموحى أى - الوحى المدون - فاختلقوا ادعاءات كاذبة حول هذا الأس المتين والصرح القويم وكلما صوبوا إليه سهما رده الله إلى نحورهم . فتزداد النار اشتعالا فى قلوبهم ويظهر التخبط واضحا فى سيرهم وأقوالهم . فينتقلون بادعائهم من تناقض القرآن الكريم والعياذ بالله الى التقول بعدم تواتره الى التشكيك فى جمعه وتدوينه . وما الى ذلك مما سندفعه بالدليل .

مايدعيه القوم من تناقض القرآن الكريم والعياذ بالله

ذكرت فى التمهيد تحت عنوان : هل تغير أسلوب المستشرقين ؟ نبذة عما ذكره ابن حزم عن ابن النغريلة اليهودى . والآن أسرد افتراءات هذا اليهودى على القرآن الكريم والتى فندها ابن حزم لأرد عليها بأسلوب مبسط ولأزيد الأمر وضوحا . خصوصا وأن منهج اليهودى الخبيث فى طعن كتاب الله اتخذه أعداء الإسلام تكأة وركيزة للنيل من دعوة الإسلام . والتشكيك فى القرآن . وقد يرددون مطاعنه بنصها . وربما بتحوير بعضها . ولذا سنورد ادعاءاته كما ذكرها ابن حزم ثم ندحضها بالحجة ليعلم من يسير على دربه أن رجال الدعوة الإسلامية فى كل زمان ومكان لهم بالمرصاد . ولتظهر الحقيقة جلية حتى لايلتبس الأمر على من يقرأ مثل هذه الدعاوى أو يسمعها سواء كان من المسلمين أو من غيرهم . فقد ادعى ابن النغريلة أن القرآن يناقض بعضه بعضا وذكر لذلك آيات فسرها برأيه وطوع معناها لهدفه فى غير خجل أو وجل .

الزعم الأول فى مصدر الحسنات والسيئات :

يقول ابن حزم : (١) فكان أول ما اعترض به هذا الزنديق المستمر باليهود بسبة على القرآن بزعمه أن ذكر (قول) الله عز وجل (وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ﴾ (النساء : ٧٨) قال هذا المائق الجاهل فأنكر فى هذه الآية تقسيم القائلين بأن ما أصابهم من حسنة فمن الله وما أصابهم من سيئة فمن عند محمد ، وأخبر أن كل ذلك من عند الله ، قال : ثم قال فى آخر هذه الآية : (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) (النساء ٧٩) قال هذا الزنديق الجاهل : فعاد مصوبا لقولهم ومضادا لما قدم فى أول الآية)

كشف بطلان هذا الزعم :

إن صاحب العقل السليم يدرك تمام الإدراك أن أفعال العباد خلقا وإيجادا من رب العالمين ، وما محمد صلى الله عليه وسلم إلا رسول ، وليس له من الأمر شىء كما أخبرنا الله عز وجل : (قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) (٢) فالذى لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا بإرادة الله كيف يتأتى منه الضر ، وكان الأولى بالمفترى أن يرجع إلى كتاب الله قبل إلقاء تهمة إن كان باحثا ملتزما بأدب البحث أو يستفسر عن علماء الاسلام ما استشكل عليه وحار فى فهمه ، ولكنه آثر الضلال واستحب العمى على الهدى فوقع فى الهلاك ، وحشاه أن يعود إلى علماء الاسلام : والآية الكريمة نزلت فى بنى جنسه (اليهود وفى المنافقين جميعا لما تشاءموا من رسول الله " صلى الله عليه وسلم ") (٣) حين قدم المدينة وقحطوا فاسندوا الحسنة إلى الله والبلية إلى النبى صلى الله عليه وسلم فكذبهم الله تعالى وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالرد على زعمهم الباطل وتوهمهم الفاسد ببيان أن الكل من عند الله ، وأن محمدا رسول الله ليس له من الأمر شىء .

---

(١) الرد على ابن النغريلة اليهودى ورسائل أخرى لابن حزم الأندلسى ص : ٤٧
(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٨
(٣) روح المعانى جـ ٥ ص : ٨٨ تفسير النسفى ص : ٢٣٥

يقول الله عز وجل : (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا) [(١)] ومعناه ما أصابك من نعمة فمن الله تفضلا وإحسانا من غير استيجاب لها منقبمك وما أصابك من بلية من البلايا فهى بسبب اقتراف نفسك للمعاصى والهفوات المقتضية لها . والحق يقول فى كتابه الكريم : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) [(٢)] وعن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لايصيب عبدا نكبة فما فوقها أو ماد ونها إلا بذنب وما يعفو الله تعالى عنه أكثر) فاسندت السيئة إلى العبد على هذا الاعتبار . يقول الإمام النسفى : والخطاب فى الآية عام لكل من يقف عليه للنبى صلى الله عليه وسلم وحده . وقال الزجاج المخاطب به النبى صلى الله عليه وسلم والمراد غيره [(٣)] .

قال : وقرأ (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) *

ويبين الألوسى الحكمة فى هذا بقوله : ولعل العدول عن خطابهم لإظهار كمال السخط والغضب عليهم والإشعار بأنهم لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل عن استحقاق الخطاب لاسيما بمثل هذه الحكمة الأنيقة [(٤)] فأين التصويب لقولهم فى هذا الشطر المذكور وأين التضاد فيما تقدم ؛ والخلاصة أحد الوجهين وهو الحسنات فضل من الله تعالى مجرد لم يستحقه أحد على الله تعالى إلا حتى يفضل الله به عز وجل من أحسن إليه من عباده . والوجه الثانى وهو السيئات تأديب من الله تعالى أوجبه على المصاب بها تقصيره عما يلزمه من واجبات ربه تعالى [(٥)] ويقول الشيخ سيد قطب : ولا يغير هذا من الحقيقة الأولى شيئا . وهى أن تحقق الحسنة وتحقق السيئة ووقوعها لايتم إلا بقدرة الله وقدره . [(٦)] ويشير الألوسى إلى لفتة حسنة فيقول : ثم نقل عن الراغب أنه فرق بين قولك هذا من عند الله تعالى وقولك : هذا من الله تعالى . بأن من عند الله أعم من حيث أنه يقال فيما كان برضاه سبحانه وسخطه . وفيما يحصل . وقد أمر به ونهى عنه . ولا يقال من الله إلا فيما كان برضاه وبأمره وبهذا النظر قال عمر رضى الله

---

(١) سورة النساء الاية ٧٩ (٢) سورة الشورى الآية ٣٠
(٣) تفسير النسفى : ص ٢٣٥ (٤) روح المعانى ج ٥ ص : ٨٩

(٥) الرد على ابن النغريلة ص: ٤٨ (٦) فى ظلال القرآن الشيخ سيد قطب المجلد الثانى ج ٥ ص ٧١٩ ط ٨ طبع دار الشروق بالقاهرة . بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

* الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩-٢٧٩) تحقيق ابراهيم عطوة عوض ج ٥ ص ٣٧٨ ط ١ مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

تعالى عنه " إن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن الشيطان "[١] وما يصيب الانسان في دنياه هو الخير في حقيقة الأمر ولوكان ظاهره الشر والمؤمن يستوى عنده الخير والشر لعلمه أن هذا من اختيار العليم الحكيم .

الـزعم الثاني : في خلق الأرض والسماء :

يقول ابن حزم : وكان مما اعترض به أيضا أن ذكر الله تعالى : (أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها) (النازعات من الآية ٢٧ : ٣٢) قال : فذكر في هذه الآية (أن) دحو الأرض وإخراج الماء والمرعى منها كان بعد رفع سمك السماء وبعد بنائها وتسويتها وإحكام ليلها ونهارها . ثم قال في آية أخرى هو الذى خلق لكم مافي الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم .(البقرة : ٢٩) قال : فذكر : (في) هذه الآية ضد مافي الأولى .وذلك أن هذه التسوية للسماء كانت بعد خلق مافي الأرض)[٢]

الرد علـى هذا الزعـم :

حينما نتتبع آيات القرآن الكريم في خلق الكون سمائه وأرضه نجد من الآيات القرآنية ماقدم فيه ذكر الأرض أولا : كما في قوله تعالى : (هو الذى خلق لكم مافي الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم)[٣] وكما في قوله تعالى (تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلا)[٤] وغيرها من الآيات ومنها ماقدم فيه ذكر السماء أولا كما في قوله تعالى : (ءأ نتم أشد خلقا أم السماء بناها .رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها)[٥] وقوله تعالى : (الله الذى خلق السماوات والارض ومابينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون)[٦]

---

(١) روح المعاني جـ ٥ ص : ٩٠ (٢) الرد على ابن النغريلة ص : ٥١

(٣) سورة البقرة الآية ٢٩ (٤) سورة طه الآية ٢

(٥) سورة النازعات الآيات ٢٧ : ٣٢ (٦) سورة السجدة الآية ٤

وغير ذلك آيات كثيرة ، وحين يضع القرآن الكريم السماء والأرض فى مثل هذا الترتيب الذكرى مرة مقدما الأولى على الثانية ، وأخرى مقدما الثانية على الأولى لا يصح لأحد أن يحكم بأن أحدهما تم خلقه أولا إلا بدليل ، وكل ما أخبرنا القرآن الكريم به ، أن السماء والأرض كانتا شيئا واحدا ملتحما ، خلقة كان أم صنعة : (أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون) (١)

وجاء عن ابن عباس فى رواية عكرمة والحسن وقتادة وابن جبير أن السماوات والأرض كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء إلى حيث هى وأقر الأرض (٢)

وقول الله تبارك وتعالى : (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات) مراد به أن الحق تبارك فى علاه سوى السبع سماوات بعد خلق الأرض وخلقهن ، ولا اعتراض بأن السماء كانت دخانا قبل التسوية سبع فكيف كانت سبعا ؟؟ لأنهن كن سبعا غير مستويات ، فلذلك قال جل ذكره : فسواهن سبع سماوات) (٣) ويلاحظ أن ثم حرف عطف كما تكون للترتيب والتراخى تأتى نائبة عن الواو كما فى قوله تعالى :

﴿ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) (٤)

وكقول الشاعر : كهز الردينى تحت العجاج ... جرى فى الأنابيب ثم اضطرب (٥)

وتأتى ثم أيضا للترتيب الذكرى بدون اعتبار للتراخى ، نحو قول الشاعر :

ان من ساد ثم ساد أبوه — ثم قد ساد قبل ذلك جده

فالمقصود ترتيب درجات معالى الممدوح وإلا فسيادة جده سابقة فى الزمان على سيادة أبيه وسيادته وأما قوله تعالى فى سورة النازعات (والأرض بعد ذلك دحاها) فقال مجاهد : "بعد ذلك" فى هذا الموضع بمعنى "مع ذلك" "ومع" و "بعد" فى كلام العرب سواء (٦) وبناء على ما تقدم لا نجد أى دلالة خاصة فى إشارة النص القرآنى إلى خلق الأرض قبل السماوات أو خلق السماوات قبل الأرض فمواضع الكلمات لا تبين وجود ترتيب تحقق الخلق فى إطاره، وكل ما تدل عليه آيات سورة النازعات أن الأرض

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٣٠ (٢) روح المعانى ج ١٧ ص: ٣٥

(٣) جامع البيان عن تأويل آى القرآن : تأليف أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى جـ ١ ص ١٩٣

(٤) سورة الزمر الآية ٦

(٥) الردينى رمح منسوب الى ردينة كانت وزوجها سمهر يقومان القنا بخط هجر : والعجاج الغبار والانابيب جمع أنبوبة وهى ما بين كل عقدتين من القصب (والشاهد فى قوله ثم اضطرب حيث عطف بثم والحال انه لا تراخى لان السهم اذا جرى فى أنابيب الرمح اضطرب بغير تراخ) بالغزالى حاشية العطار على شرح الأزهرية ص ٩٣ ، كشف الدجى من شواهد ابى النجا ص ٥٢

(٦) تأويل مشكل القرآن : لابن قتيبه تحقيق السيد أحمد صقر الكتاب الأول ص: ٤٨ بمروره ذكرالهيم طبع : دار إحياء الكتب العربية بمزوع

كانت موجودة حين بنى الله السماء وأن الحق دحاها بعد أن خلقها سواء كان الدحو بجعلها كالكرة صالحة للسير فوقها أو بمعنى إخراج الماء منها أو بمعنى أزالها عن مقرها . يقول الألوسى : وبقى هنا بيان النكتة فى تغيير الأسلوب حيث قدم فى الظاهر ههنا وفى (حم) فصلت خلق الأرض ومافيها على خلق السماوات وعكس (فى النازعات) ولعل ذلك لأن المقام فى الأولين مقام الامتنان فمقتضاه تقديم ماهو نعمة نظرا إلى المخاطبين فكأنه قال سبحانه وتعالى : هو الذى دبر أمركم قبل خلق السماء ثم خلق السماء ، والمقام فى الثالثة مقام بيان كمال القدرة فمقتضاه تقديم ماهو أدل على كمالها)[1] فلا ينبغى للناظر فى آيات القرآن أن يلقى الحكم جزافا ويحكم بالتعارض والتناقض قبل النظرة الشمولية ـ فما يبدو له من تعارض بين الآيات مرجعه سوء الفهم أو التقصير فى البحث ، أو النقص فى العلم ، وما حدث من ابن النغريلة ومن يسير على دربه قد يكون هذا مع خبث النية وسوء الطوية .

الزعم الثالث : فى أيام خلق الكون :

يقول ابن حزم : وكان مما اعترض به أيضا أن ذكر قوله عز وجل :

قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين إلى منتهى قوله فى الآية نفسها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين " فصلت : ١٠ " قال : فذكر فى هذه الآية خلق الأرض فى يومين وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام ، فهذه ستة أيام ، ثم ذكر قوله تعالى (فقضاهن سبع سماوات فى يومين) (فصلت : ١٢) ثم ذكر قوله تعالى : (ولقد خلقنا السماوات والارض ومابينهما فى ستة أيام) (ق : ٣٨)[2]

نقض هذا الزعم :

يقول الله عز وجل : (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سماوات فى يومين وأوحى

---

(١) روح المعانى جـ ١ ص : ٢١٦ ، ٢١٧

(٢) الرد على ابن النغريلة ص : ٥٢ ، ٥٣

فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم * (١)
زعم هذا الخبيث أن هذه الآيات تدل على أن خلق الأرض والسماوات تم فى ثمانية أيام
لا فى ستة أيام كما أشار القرآن ، وحقيقة الأمر أن الله عز وجل ذكر أن خلق الأرض فى يومين
وجعل فيها الرواسى والخير وقدر الأقوات وأهلها للسير فى يومين بالإضافة إلى ماسبق
من خلق الأرض (فى يومين) فيكون المجموع أربعة أيام ثم سوى السماوات (٥) السبع
فى يومين فيكون المجموع ستة أيام على أن المقصود باليوم الحقبة الزمنية كيوم بدر وحنين
فهو مراد به حقبة أو طور من الأطوار ، وأطوار خلق الكون متداخلة يقول الألوسى : وقال
بعض الأجلة إن فى النظم الجليل دلالة مع الاختصار على أن اليومين الآخرين متصلان
باليومين الأولين لتبادره من جعلهما جملة واحدة واتصالهما فى الذكر (٢) وما كان
أسلوب القرآن وهو الغاية فى الفصاحة والبلاغة ليكرر ذكر اليومين ثلاث مرات فى هذه
الآيات ، علما بأن الآية الكريمة أشارت إلى هذا الاندماج والتداخل بين الأيام (الأطوار)
الأربعة فى قوله تعالى : (فى أربعة أيام سواء للسائلين) فالآية الكريمة صححت النظرة
الخاطئة عند أهل الكتاب من أحبارهم أن يوم الخلق للكون كأيامنا العادية ـ بالإضافة
إلا أنها أثبتت أن خلق الكون سمائه وأرضه وما بينهما تم فى ستة أيام كما أخبرت آيات
القرآن وخاصة آية سورة (ق) التى ردت على زعم اليهود المذكور فى التوراة حيث
زعموا أنه تعالى شأنه بدأ خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت
واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا (٣) وصدق الله العظيم
حيث قال فى كتابه الكريم (ولقد خلقنا السماوات والأرض ومابينهما فى ستة أيام وما
مسنا من لغوب) وهذا سقط الاعتراض ، وخاب الكذاب ، وبين القرآن الصواب .

الزعم الرابع : فى نطق المرء وعدم نطقه يوم القيامة :

يقول ابن حزم : ثم ذكر الخسيس الجاهل قول الله تعالى : (هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون (المراسلات : ٣٥)ثم قال فى آية أخرى : يوم تأتى كل نفس تجادل
النحل : ١١١)

---

(١) سورة فصلت : ٩ ـ ١٢ (٥) بعد فصلها عن الأرض فى اليومين الأولين لخلق الأرض
والسماوات وتمت تسوية السماوات فى اليومين الأخريين (٢) روح المعانى ح٢٤ ص ١٠٢
(٣) روح المعانى ج ٢٦ ص ١٩٢ باختصار

قال : وهذا تناقض عظيم .[١]

تفنيــد هذا الزعــم :

يوم القيامة طويل كما قال الله عز وجل: (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدّون)[٢] ويقول الله تعالى : (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)[٣] وللناس في هذا اليوم المهول مواقف تختلف من حين لآخر ففي بعضها ينطقون وعنه أنفسهم يدافعون وتارة لا يتكلمون وذلك بعد الحساب النهائي وحين يساق المجرمون إلى النار لا يسمح لهم بالنطق أو تقديم العذر أما قبل ذلك أثناء الحساب فيؤذن لهم ويسمح (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون)[٤]

يقول الألوسي : تدافع وتسعى في خلاصها بالاعتذار ولا يهمها شأن غيرها من ولد ووالد وقريب[٥] قال الله عز وجل : (يبصرونهم يودّ المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤيه ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه)[٦] وقال تعالى : (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه)[٧] ففي هذا اليوم من الشدائد ما يجعل الولدان شيبا ومن شدة هول الموقف يفدى المرء نفسه بأعز الناس لديه ، ويحاول أثناء الحساب كتم معاصيه فيختم الله عز وجل على فيه فتنطق جوارحه بما يخفيه (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون)[٨] ومن عظيم قدرة الله تعالى أن يجعل جوارح الإنسان تشهد عليه بما كان ، ثم يسمح للسان بالكلام ، فعن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم أضحك قال قلنا الله ورسوله أعلم

---

(١) الرد على ابن النغريلة ص: ٥٤ (٢) سورة الحج الآية ٤٧

(٣) سورة المعارج الآية ٤ (٤) سورة النحل الآية ١١١

(٥) روح المعاني جـ ١٤ ص : ٢٤٠ (٦) سورة المعارج الآيات ١١ ـ ١٤

(٧) سورة عبس الآيات من ٣٤ ـ ٣٧ (٨) سورة يس الآية ٦٥

قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب ألم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لأركانه أنطقي قال فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل) (١) والقادر على تعطيل جارحة نطق الإنسان لتتحدث الأركان بدون اللسان قادر بمنع العبد من الكلام في بعض المواقف والمواطن فسبحان القوي المنان وكفى بهذا بيانا يدل على أنه لا تناقض بين آيات القرآن .

الزعم الخامس في سؤال الإنسان وعدم سؤاله يوم القيامة :

يقول ابن حزم : ثم ذكر هذا الزنديق الجاهل قول الله تعالى :(فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان (الرحمن : ٣٩) قال : ثم قال في آية أخرى : (فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين (الاعراف : ٦)) قال : وهذا تناقض (٢) .

تفنيد هذا الزعم :

علمنا مما سبق أن يوم القيامة مواقف ، فموقف للحساب والمساءلة يسأل الله عز وجل المرسلين ومن أرسلوا إليهم ، والله تعالى يقول : (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) (٣) وموقف لإصدار الحكم فبعد السؤال والجواب (يوم يقوم الناس لرب العالمين) يصدر الحكم من أحكم الحاكمين فيؤخذ بأهل اليمين إلى النعيم ويدفع بأهل الشمال للجحيم ، وفي تلك الحين لا يناقشون ولا يؤذن لهم فيتراجعون أو يتلاومون ويقول ابن قتيبة : عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان) قال هذا موطن لا يسألون فيه ومثله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) (٤) وبعد أن دفعت هذا الزعم وبينت

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٨ ص ١٠٤ ، ١٠٥ " كتاب الزهد "

(٢) الرد على ابن النغريلة ص : ٥٩ (٣) سورة الحجر الآية ٩٢ ، ٩٣

(٤) تأويل مشكل القرآن . الكتاب الأول ص : ٤٦

وجه الصواب حتى لا يرتاب مرتاب . أذكّر بأن فى القرآن الكريم آيات من هـــذا القبيل كقوله تعالى : (قال لاتختصموا لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد) (١) وكقوله تعالى : (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) (٢) وكقوله تعالى فــى سورة الواقعة فى شأن السابقين : (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) (٣) — وفى شأن أصحاب اليمين (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) (٤)

الزعم السادس اتهام ابن النغريلة للنبى بالشك فى القرآن :

وبعد أن طعن ابن النغريلة فى القرآن الكريم بالتناقض بين آياته أورد ثلاثا من الطعون ليس فيها مايوهم التعارض بين الآيات كما سبق ، ولكنه حاول أن ينفذ إلى هذا الصرح الربانى من أى طريق فى محاولة منه للتشكيك فذكر ثلاث آيـــات من القرآن ثم فسرها برأيه، وفى إحداها إتهام موجه للنبى صلى الله عليه وسلـــم يقول ابن حزم : ثم ذكر هذا الزنديق قول الله تعالى مخاطبا لنبيه عليه الســلام (فان كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقـــد جاءك الحق من ربك (يونس : ٩٤) قال هذا المجنون : فهذا محمد كان فــى شك مما ادعاه :

الرد على هذا الاتهام :

هذه الشبهة كثير مايرددها أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وكل يسلـــك بها مسلكا يتناسب مع الظروف المواتية له ويحور فى معناها على حسب مايستطيـــع للتقليل من شأن القرآن الكريم وأتباعه المسلمين ، وإذا كان هذا اليهودى قـــد جاهر فى الماضى بهذا الفسوق ، فإن غيره اليوم ممن على شاكلته يقـــرأ — الآية هامزا لامزا ليعلن فى النهاية قوله: القرآن يأمركم بسؤال أهل الكتـــاب

---

(١) سورة ق الآية ٢٨ (٢) سورة الزمر الآية ٣١

(٣) الآيات : ١٣ ، ١٤ (٤) الآيات ٣٦ ، ٤٠

ويحضكم على التعلم منهم وكأنهم صاروا فى مكانة الأستاذية ولذا سلُرد على هذا من ناحيتين :

١ ـ الرسول صلى الله عليه وسلم مستحيل عليه الشك شرعا : بلغ رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم درجة اليقين فهم قمة فى الإيمان برب العالمين وأولهم خاتم الأنبياء والمرسلين فلاينبغى أن يخطر ببال أحد أن يشك نبى فى صلته بربه أوفيما يوحيه الله عز وجل إليه ، وماورد فى قوله تعالى (فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جآءك الحق من ربك فلاتكونن من الممترين ولاتكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) (١) فالخطاب فى الآية الكريمة : قيل له صلى الله عليه وسلم والمراد إن كنت فى ذلك على سبيل الفرض والتقدير لأن الشك لايتصور منه عليه الصلاة والسلام لانكشاف الغطاء له ولذا عبر بإن التى تستعمل غالبا فيما لاتحقق له حتى تستعمل فى المستحيل عقلا وعادة (٢) ومثله قوله سبحانه : (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) (٣) وقوله تعالى (وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ولوشاء الله لجمعهم على الهدى فلاتكونن من الجاهلين) (٤) وحين قرأ جبريل الآية قال صلى الله عليه وسلم (لاأشك ولاأسأل) والأمر لايمنع أن يكون المراد من الشك أمته صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن كان فى شك مما أنزلنا إليك فليسأل أهل الكتاب فعندهم مايشهد بصدق المنزل عليك ، وفى نفس السورة مايشهد بذلك (قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين) (٥) ولذا يقال المراد بالخطاب العرب وغير النبى ومثله فى القرآن الكريم كثير : يقول الله عزوجل : (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) (٦)

---

(١) سورة يونس الآية ٩٤ ، ٩٥ — (٢) روح المعانى جـ١١ ص١٨٩ ، ١٩٠

(٣) سورة الزخرف الآية ٨١ — (٤) سورة الأنعام للآية ٣٥

(٥) سورة يونس الآية ١٠٤ — (٦) سورة الزمر الآية ٦٥

وقال تعالى : (فلاتك فى مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص) [١] وقوله تعالى : (الذى خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به خبيرا) [٢]

فالكلام فى الآية الأولى كما يذكر الألوسى : على سبيل الفرض لتهييج المخاطب المعصوم وإقناط الكفرة والايذان بغاية شناعة الإشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يباشره فكيف بمن عداه [٣] والخطاب فى فلاتك متوجه إلى من داخله الشك لا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى والله أعلم قل يامحمد لمن شك لاتك فى مرية مما يعبد هؤلاء فإن الله لم يأمرهم بذلك وإنما اتبعوا فى ذلك آباءهم تقليدا لهم وإعراضا عن حجج العقول [٤] وفى الآية الثالثة على قول من يقول المراد بالخبير النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله تعالى الرحمن فسئل به خبيرا يكون صلى الله عليه وسلم مسئولا لا سائلا ، مستخبرا لا مستخبرا ونعلم من هذا أن ماورد فى القرآن الكريم من هذا القبيل :

١ـ إما أن يكون معناه على سبيل الفرض والتقدير .

٢ـ وإما أن يكون من باب إياك أعنى واسمعى ياجاره .

٣ـ محال شرعا أن يشك النبى فيما يوحى إليه .

٢ـ يجوز سؤال أهل الكتاب :

وفى هذا دليل على عدم تعصب الإسلام وعلى أنه يلائم الفطرة ويساير العقول السليمة ، والآيات الواردة فى هذا الباب والتى تسمح بسؤال أهل الكتاب كثيرة منها (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون) [٥] اسألوهم أبشرا كانوا الرسل أم ملائكة أذكورا أم أناثا وقوله (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) [٦]

---

(١) سورة يونس الآية ١٠٩ (٢) سورة الفرقان الآية ٥٩

(٣) روح المعانى جـ ٢٤ ص: ٢٤ (٤) التفسير المسمى بالبحر المحيط لأبى حيان الهامش (النهر الماد من البحر لأبى حيان أيضا جـ ٥ص. ٢٦٥، ٢٦٦ ط (١) مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨ هـ .

(٥) سورة الأنبياء الآيه ٧

(٦) الزخرف الآية ٤٥

والمعنى سل أمم وعلماء الأمم الماضية ،أجعل الحق آلهة تعبد من دونه ؟ فكل ماتقدم من أمر الله لنبيه عليه الصلاة والسلام بسؤال أهل الكتاب يدل على جواز الرجوع إليهم ،ولكن لافى كل شئ،بل فيما لم تصل له يد التحريف والتبديل من الحقائق التى تصدق من القرآن وتلزم المعاندين منهم ومن غيرهم الحجة ،فإن هم أبرزوا ماعندهم على نحو ماجاء عن الله تعالى قامت الحجة ،وإن هم حاولوا إخفاءه وكتمانه نبه الله نبيه عليه الصلاة والسلام إلى صنيعهم فحال بينهم وبين مايقصدون ونستنتج من هذا أن القرآن الكريم مقربما فى التوراة والإنجيل الحقيقين من الوقائع ومصدق لهما ، أما وقد فقدت التوراة ولم يبق منها إلا بقية وضاع الإنجيل وألف القوم بدله عدة أناجيل وتاهت حقائق الإثنين بين الإخفاء والضياع وصار الكتاب المقدس بعهديه كلام بشرى فى الغالب ،ودخلته الأهواء والرغبات الإنسانية التى لاتقف عند حد فجاء القرآن ليظهر ما أخفوه وليزيل الغشاوة عن الحق الذى موهوه قال الله تعالى : (بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون) (١)

شبهتان باقيتان لابن النغريلة : وبعد الرد على هذا الطعن نكتفى بالرد الموجز على الشبهتين الباقيتين :

الشبهة الأولى والرد عليها :

يقول ابن حزم : ثم ذكر هذا المائق الجاهل قوله تعالى فى وصف العسل : إن فيه شفاء للناس فقال : وكيف هذا وهو يؤذى المحمومين وأصحاب الصفراء والمحترقين) (٢) وللرد على هذه الشبهة أقول : إن الله تبارك وتعالى أخبرنا أن فى العسل شفاء للناس ،ولم يخبرنا بأن العسل شفاء للناس كما لم يقل العسل شفاء لكل مرض،وإنما قال تبارك وتعالى : (فيه شفاء للناس) فقد نستخلص من العسل مابه يشفى المحموم

---

(١) سورة النحل الآية ٤٤

(٢) الرد على ابن النغريلة ص٦٢

وصاحب الصفراء ،فضلا عما فى العسل من منافع للمبرودين ،والمصابين بالبلغم ، وضعفاء البنية ،وقد يكون المراد من الآية البعض أى بعض الناس ،أو بعض الشفاء وأشار الالوسى إلى ذلك بقوله : وإنما المراد بالناس الذين ينجع العسل فى أمراضهم والتنوين فى (شفاء) إما للتعظيم أى شفاء أى شفاء ،وإما للتبعيض أى فيه بعض الشفاء — فلا يقتضى أن كل شفاء به ،ولا أن كل أحد يستشفى به (١) .

الشبهة الثانية والرد عليهما :

يقول ابن حزم : ثم ذكر هذا الزنديق الجاهل قول الله تعالى : ونزلنا من السماء ماء مباركا (ق : ٩) وقال : كيف يكون مباركا وهو يهدم البناء ،ويهلك كثيرا من الحيوان ؟ (٢)

وللرد على هذه الشبهة أقول :

كل شىء فى الحياة قد يكون نعمة وقد يكون نقمة وقدرة الله تجعل مابه تتحقق الرحمة يتحقق العذاب وكان على الإنسان أن يعتبر وأن يعلم قدرة مغير السنن وأن يعرفه حق المعرفة ،فالنار مثلا تستخدم فى الإضاءة ،والطهى ،وصنع المعادن ،وغير ذلك من المنافع وحين يريد الله تعالى بها غير ذلك تأكل الأخضر واليابس وتصير عذابا للإنسان والحيوان ،والماء أيضا على نفس الشاكلة حين ينزل من السماء بقدر معلوم لإنبات الزروع والجنات ،وسقى الإنسان والحيوان ،وترطيب الكون فهو النعمة العظمى ،وفرق واضح بين إنزال الماء المبارك ،ماء الشرب وبين مطر العقاب فالأول رحمة للطائعين والثانى عذاب للجاحدين ينزله الله تعالى على المخالفين المكذبين بيوم الدين كما حدث مع قوم نوح حين لم يستجيبوا لدعوته عليه السلام — وكذبوا برسالته (فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) (٣) — فانصب الماء عليهم انصبابا ، فاغرقوا وصارت بيوتهم خرابا ،وكان هذا من الله لهم عقابا ، كما أمطر الله على المخالفين حجارة من طين ،فهو القادر على كل شىء .

---

(١) روح المعانى ج ١٤ ص ١٨٥

(٢) الرد على ابن النغريلة ص ٦٣

(٣) سورة القمر الآيات ١٠ ، ١١

وحين يقول تعالى : ﴿ ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ﴾ (١)
تكون الرحمة الشاملة من الرحيم المنعم على كل العالمين ، ويفهم هذا المعنى صاحب
الذوق السليم .

اتهام آيات الأحكام التدريجية بالتعارض :

وتستمر الحملة ضد الإسلام قائمة فيأتي المستشرقون المعاصرون بنوع جديد
من التعارض ، فيدعون أن الآيات التي نزلت بالأحكام تدريجيا على مقتضى حال
المكلفين كما شاء رب العالمين متناقضة وأن هذا أوقع المفسرين في مأزق ثمرة وفّقوا
بين الآيات وأخرى قالوا بنسخ الآيات المتأخرة لما قبلها وهذا نص الترجمة لكلامهم :
وكان هم المفسرين المتأخرين التخلص من المتناقضات العديدة الواردة في القرآن
والتي تصور لنا تدرج محمد في نهجه إما بما عدوا إليه من التوفيق فيما بينهما
وإما بالاعتراف بأن الآيات المتأخرة تنسخ ماقبلها ، وذلك في الحالات التي يشتد
فيها التناقض بين تلك الآيات) (٢)

ونرد على هذا الكلام :

أولا : بأن النسخ في القرآن جائز سواء كان للتلاوة أو للحكم ، وليس ذلك
لان الله تعالى كان خافيا عليه مافيه المصلحة من أول الأمر ، فمعاذ الله أن يخفى
عليه شيء ، وإنما كان هذا النسخ منه تعالى لمنفعة عباده ، ولامدخل للعباد في
هذا الأمر أيا كانوا . يقول القرطبي : وليس هذا من باب البداء بل هو نقل
العباد من عبادة إلى عبادة ، وحكم إلى حكم لضرب من المصلحة ، إظهارا لحكمته
وكمال مملكته ولاخلاف بين العقلاء أن شرائع الأنبياء قصد بها مصالح الخلق الدينية
والدنيوية ، وإنما كان يلزم البداء لو لم يكن عالما بمآل الأمور ، وأما العالم بذلك
فانما تتبدل خطاباته بحسب تبدل المصالح ، المراعى أحوال العليل فراعى ذلك

---

(١) سورة ق الآية ٩
(٢) دائرة المعارف الاسلامية ـ نقلها إلى العربية : إبراهيم زكي خورشيد وآخرون
المجلد الثاني ص: ٢٧٣ ، ٢٧٤ / ١٣٥٤هـ = ١٩٣٥م .

فى خليقته بمشيئته وإرادته [١] لا إله إلا هو ، فخطابه يتبدل ، وعلمه وإرادته لا تتغير فإن ذلك محال فى جهة الله تعالى فعلمنا أن النسخ من الله تعالى لمصلحة عباده ، ولا دخل لأحد فى ذلك ، ثانيا آيات الأحكام التى نزلت بالتدرج ليس بينها تناقض والدليل على ذلك آيات الربا مثلا : فقد نزل فى شأن أكل الربا قول الله تعالى (وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) [٢] والمعنى أن المال الذى يأخذه المرابى زيادة على ما أعطاه للمدين لا يزيد ماله لأن الله عز وجل لا يبارك له فيه بنص الآية الكريمة (يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم) [٣] يقول الألوسى : الظاهر أنه أريد به الزيادة المعروفة فى المعاملة التى حرمها الشارع [٤] وثانيا : قول الله تعالى : (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) [٥] فالله تعالى يخبرنا بأن اليهود بسبب ظلمهم الذى استحقوا بسببه تحريم الطيبات المباحة لهم ، ومن أنواع هذا الظلم الصد عن دين الله ، وأكل الربا مع أن الله تعالى نهاهم عنه ، ولذا يقول الألوسى : وفى الآية دلالة على أن الربا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا ، وأن النهى يدل على حرمة المنهى عنه ، وإلا لما توعد سبحانه على مخالفته . [٦] وثالثا : قول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون) [٧] يقول النسفى : هذا نهى عن الربا مع التوبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم إذا بلغ

---

(١) تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن — لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى جـ ٢ ص: ٦٣ ، ٦٤ ط ٢ مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م .

(٢) سورة الروم الآية ٣٩ (٣) سورة البقرة الآية ٢٧٦

(٤) روح المعانى جـ ٢١ ص: ٤٥ (٥) سورة النساء الآيات ١٦٠ ، ١٦١

(٦) روح المعانى جـ ٦ ص : ١٤ (٧) سورة آل عمران الآية ١٣٠

الدين محله يقول إما أن تقضي حتى أو تربي وتزيد في الأجل وهكذا حتى — يستغرق مال المدين كله [(١)] وقوله تعالى: "أضعافا مضاعفة" ليست قيدا في المنهي عنه وهذا ما أشار إليه الألوسي بقوله: وليس هذه الحال لتقييد المنهي عنه ليكون أصل الربا غير منهي بل لمراعاة الواقع) [(٢)]

ورابعا: نزل من آيات القرآن الكريم مايدل على التحريم القاطع للربا ويصور أكلته بأبشع صورة (الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) [(٣)]

فظهر مما ذكرناه بالتدريج أن الربا لايبارك الله فيه ، وأنه محرم على اليهود قبلنا ، وأن الربا الفاحش منهي عنه ، ثم كان التحريم الأبدي وأحل الله البيع وحرم الربا ، فأين التناقض؟ وماذكرناه عن آية الربا مثال يقاس عليه آيات الخمر .

---

(١) تفسير النسفي — للإمام الجليل أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ص: ١٧٨ بدون عدد للطبعة مطبعة المدني بالقاهرة ١٣٨٥هـ = ١٩٦٦م .

(٢) روح المعاني ج ٤ ص: ٥٥

(٣) سورة البقرة الآية ٢٧٥

افـــتراءات لابن كمونة حـول القرآن الكريم
والـــرد عليهـــا

إذا كان ابن النغريلة طعن فى القرآن الكريم ، واتهمه بالتناقض فإن ابـن كمونه آثار العديد من الشبهات حول القرآن ، فى كتابه " تنقيح الأبحاث للملـل الثلاث ، فقد نهج أساليب ملتوية لنفث سومه ، حيث تحدث عن اليهود يـــد افع عن الاعتراضات الموجهة اليها بكل وسعه ، وفعل مثل هذا مع المسيحيـــه ، أما مع الإسلام فقد خصص الباب الرابع من الكتاب المذكور ، وأورد مجموعة من الأدلة فيه ، زعم أن المسلمين استدلوا بها على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلـــم ومن خلال عرضه لهذه الادلة ، والإجابة عليها من وجهة نظره ، مدعيا أنهـــا إجابة علماء الاسلام ، ناقش مارآه أسهل لافترائه ، زاعما أن أعداء الإسلام فـــى مقدورهم أن يعترضوا على الاجابة المذكورة ، وبهذه الطريقة يوجه طعونه للاسلام وسيتضح ذلك فى ردنا على افتراءاته

١ـ طعنة فى تواتر القرآن والرد عليه :

بعد أن عرض ابن كمونه سؤالا موجها للإسلام ، وهو : أنا ، وان سلّمنـــــا أن أصل القرآن متواتر ، لكنا لا نسلم أن تفصيل مافيه من الآيات متواتر ، فلم يثبت تواتر آيات التحدى : وذاك لأنه روى أنه لم يحفظ القرآن بكليته إلا ستة أنفـــس أو سبعة فى زمن رسول الله " صلى الله عليه وسلم " فلا يمتنع تواطؤهم علـــى التحريف ، وغير الحفّاظ لا يهتدون إلى موضع التغيير والتبديل .(١) وبعد هذا المرغ يقول : لوكانت تفاصيل القرآن متواترة كتواتر أصله وتواتر وجود محمد ودعواه النبوة(٭) لكنا نجد صحة ذلك لأنفسنا ، كما نجد صحة هذه الأشياء(٢)

---

(١) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ص : ٧٠

(٭) نبوة سيدنا محمد " صلى الله عليه وسلم " حق وصدق ولا ادعاء فيها .

(٢) المرجع السابق ص : ٧١

وأردّ على هذا الطعن قائلا : إن القرآن الكريم قد دون فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وحفظه جمع غفير يؤمن عدم تواطئهم على الكذب ، وحين كلف أبو بكر رضى الله عنه زيد بن ثابت رضى الله عنه بجمع القرآن ، كان يحضر الآية مكتوبة ثم يشهد اثنين أو أكثر على سماعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلا عن أن زيدا كان يحفظ القرآن عن ظهر قلب فتم تدوين القرآن كله بهذه الطريقة ، والقرآن الكريم وحى الله تعالى ليس فيه أصل وفرع ، فآياته المحكمة أحسن الاحكام هى المفصلة أتم التفصيل فلا داعى للقول بأن أصل القرآن متواتر ، وتفصيل ما فيه من الآيات غير متواتر ولا داعى للقول بأن آيات التحدى غير متواترة فما يصدق على آية من القرآن يصدق عليه كله ، وآيات التحدى لم تنزل فى سورة واحدة أو بكيفية واحدة وإنما نزلت فى عدة سور ، فى سورة البقرة ، ويونس ، وهود ، والاسراء والقصص ، والطور فلماذا آيات التحدى بالذات التى لم يسلم بتواترها ؟

إن كونهم لم يجدوا صحة تواتر آيات التحدى فى أنفسهم ، أو الآيات المفصلة ليس حجة لهم ، فما ضر الورود اذا المزكوم لم يطعم شذاها وأما عن ادعائه بأن القرآن لم يحفظه غير ستة أو سبعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا غير صحيح ولو سلمنا جدلا بصحته ، فإن هؤلاء الحفاظ يمتنع بتاتا تواطؤهم على الكذب ، لقد كان من بينهم الإمام على كرم الله وجهه ، وعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وغيرهم ، وهؤلاء لا يسكتون على قراءة شيء لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد ثبت فى الحديث أنهم كانوا يرجعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند اختلافهم فى مجرد القراءة ، فآيات التحدى شأنها شأن كل القرآن فى تواتره وشيوعه ولقد سجل القرآن الكريم معرفة المشركين بتحديه لهم : قال الله عز وجل (واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين)(١)

---

(١) سورة الأنفال الآية ٣١

وهذا دليل على أنهم عرفوا التحدى والتقريع ، وطمعوا فى اتيان مثل القرآن فلم يستطيعوا مجابهته ، ولقد روى أن جبير ابن مطعم أسلم حين سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ : "والطور" فى السورة المذكورة آية التحدى الظاهر ، حيث يقول الله تعالى : (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون • فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين) وروى أن سعد بن معاذ قرئ عليه القرآن وأسلم وكذلك : أسيد بن حضير • [1] وبذا ثبت أن المشركين سمعوا آيات التحدى ، فمنهم من آمن بها ومنهم من جحد ، وهذا دليل يدعم تواتر آيات التحدى •

ب- تقوله بأن القرآن الكريم لم يعول عليه فى الدعوة والرد عليه :

ظهر هذا الادعاء أيضا فى عرضه لأحد الأسئلة حيث قال : مااختصاره : أنه وان وافق على تواتر آيات التحدى لا يسلم بدلالتها عليه ، بل الغرض منها ماجرت عليه عادة الخطباء والشعراء بذكره من الدعاوى الكثيرة ، ولو كان الغرض منها الدلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم لاشتهر ، كما أنه لم يستدل بالقرآن على صحة نبوته " صلى الله عليه وسلم " ولم يؤمن أحد بسبب القرآن ، فلم يعوّل على القرآن فى اثبات نبوة نفسه • [2] وبعد هذا العرض السيء من ابن كمونه نراه يجيب على السؤال برأى علماء الاسلام كما يزعم ثم يضعف الجواب بما ملخصه :

١ــ دعوة النبى صلى الله عليه وسلم لمن لم يسمع شيئًا من القرآن قط

٢ــ دعوة أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لمن لم يؤمن •

٣ــ رسائله صلى الله عليه وسلم للملوك والرؤساء •

٤ــ المهاجرون للحبشة لم يحتجوا بالقرآن أمام النجاشى •

وكل هذه الأمور لم يحصل فيها احتجاج بمعجز لا بالقرآن ولا بغيره • [3] هكذا يدعى ابن كمونه •

---

(١) اثبات نبوة النبى صلى الله عليه وسلم ــ أبى الحسن أحمد بن الحسين بن هارون الهارونى الحسنى الزيدى تحقيق خليل أحمد ابراهيم الحاج ص: ٣١ مطبعة دار التراث العربى بمصر ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م • بتصرف

(٢) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ص: ٧٦ ، ٧٧

(٣) المرجع السابق ص: ٧٧ ، ٧٨

وأرد على هذا الادعاء بأن خطة الإسلام تقوم على دعوة الناس الى توحيد الله تعالى والإيمان برسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فمن أجاب أُمر ببقية الأركان ـ من صلاة ، وصيام ، وزكاة ، وحج لبيت الله الحرام ، ومن توقف وطلب الدليل كان على الداعى أن يشرح له الدليل من القرآن الكريم أو من سنة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ففيهما من المعجزات البيانية والعلمية مايجعل طالب الحقيقة أمام الأمر الواقع وهو الاعتراف بوحى القرآن وصدق النبى محمد عليه الصلاة والسلام ، وليس بلازم أن يتلو الداعى القرآن على المدعوين من أول الأمر ، ومعجزات النبى صلى الله عليه وسلم كثيرة أولها القرآن الكريم فمن آمن باحداها ليس معناه أن باقيها غير معجز أو لم يعوّل عليه فى إثبات للنبوة ، ولقد أسلم العباس حين أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدث من ايداعه المال زوجه وكثيرا أسلم بغير أن يسمع القرآن وكثيرا أسلم لما سمع القرآن فليس معنى هذا أن القرآن لم يستند إليه فى الدعوة إلى الله ، وقد تحدى القرآن الجاحدين له المكذبين بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالاتيان بمثله فعجزوا يقول الألوسى : والقرآن بالتحدى فاذا تحدوا وعجزوا علم رد ماقالوه وصحة المدعى ، أما ماذكره ابن كمونه بالنسبة لمن دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم أو أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين إلى الإسلام من غير ذكر آيات من القرآن فيه قلب للحقائق لأن دعوته صلى الله عليه وسلم قامت على القرآن ، ورسائله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والرؤساء فى الغالب كانت تتضمن آيات من القرآن ولقد سمع النجاشى من جعفر بن أبى طالب بعض آيات من سورة مريم وكل هذا مدون فى كتب السنة والسيرة النبوية وكفى به برهانا يلجم المتخرصين ويدل على أن الدعوة قامت وستظل بوحى القرآن الكريم .

جـ ـ طعنه فى الأمور الغيبيه التى أخبر بها النبى صلى الله عليه وسلم ، والرد عليه :

لقد تكلم ابن كمونه بما ايجازه : أن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر عن المغيبات وهى قسمان متقدمة وهى ما أخبر به من وقائع المتقدمين ، وغير متقدمة عليه وهى ماورد فى القرآن والسنة ، وأورد عشرا من كل (١) ، تحت عنوان : الدليل الثانى

ثم بعد هذا نجده يبث طعنه فيما أورده حول الدليل المذكور بطريق ماكر يعبر عنه بقوله : إنّا لانسلم تواتر الآيات المتضمنة لذلك وقد مضى تقرير ذلك فى آيات التحدى . ولانسلم صحة الاحاديث فى ذلك لكونها رواية أحاد . ولان سلمنا صحة ذلك ، فلا نسلم أن الاخبار عن الغيوب معجز . فإن المنجمين وأصحاب العزائم ومعبرى الرؤيا قد يخبرون بذلك (٢) . ثم يستمر فى افترائه بما ملخصه : وما أخبر به عليه السلام ، فغير خارق للعادة ، لأن بعضه مجمل مثل لتدخلن المسجد الحرام ، من غير بيان ، أى وقت وهل الداخل الكل أو البعض ، أو هو بالصلح أو بالقهر ، وبعضه من قبيل الواضحات ، مثل ـ ولن يتمنوا أبدا (٥) ـ فإن الظاهر من حال جمهور الناس أنهم لايتمنون الموت وبعضه على سبيل التفاؤل وتقوية القلب للاتباع ، على جارى عادة الرؤساء (٣) .

وأرد على هذه المفتريات بالقول الفصل :

أولا : إن القرآن كله متواتر سلّم أعداء الإسلام بهذا أو لم يسلموا وهذا ماأشرت إليه فى الرد على الشبهة السابقة .

ثانيا : كون أعداء الإسلام لايسلّمون بصحة الأحاديث الاحادية لايمنع حجيتها أو صدقها يقول النووى : (فالذى عليه جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع يلزم العمل بها ويفيد الظن ولايفيد العلم وأن وجوب العمل به عرفناه بالشرع لابالعقل (٤)

---

(١) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ص: ٨٦ ، ٨٧ (٢) المرجع السابق ص: ٨٨

(٥) الصحيح ماورد فى القرآن ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم " سورة البقرة الآيه ٩٥)

(٣) المرجع السابق ص: ٨٨ ، ٨٩ (٤) صحيح مسلم بشرح النووى حـ ١ ص ١٣١ .

ثالثا : وما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه من دخول المسجد الحرام وطعن فيه ابن كمونه بأنه مجمل ، ولم يبين فيه وقت الدخول فقد تحقق بالتفصيل في كل الجوانب ـ فالقبائل العربية تناصب المسلمين العداء ويهود خيبر ينتظرون الفرصة ليأخذوا بثأر اخوانهم الذين أجلوا من المدينة أو قتلوا ومشركو مكة تهيأت لهم الفرصة وأصبحت سانحة فسيأتيهم النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ويدخلون مكة معتمرين فهم في مرمى نبالهم وفي شباكهم وفي هذه الظروف المحيرة تتحقق الرؤيا بكل أبعادها وصورتها التفصيلية فبعد عام واحد من الرؤيا تحقق الدخول ، والأمن ، وقضاء الشعيرة، وتقول لابن كمونه دخل الكل كما ذكر القرآن بالحال والصورة المحددة " (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لاتخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) (١) ولم يحدد الزمن ولو حدده بعام لقال المكذب لم يحدد اليوم وهكذا فأين كلام أصحاب العزائم ، ومعبري الرؤيا ، والمنجمين ، من هذا الصدق المبين إنه الحق الواضح من لدن حكيم عليم ، يقول للمكذبين : (قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور) وما أخبر به الله عز وجل في شأن اليهود بعدم تمنيهم الموت وادعى ابن كمونه أنه من قبيل الواضحات . أقول له ولأمثاله إن اليهود في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا أن الجنة لهم وحدهم وكذبهم الله تعالى وبين أنهم يقولون بألسنتهم مايعلمون كذبه بقلوبهم (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) (٢)

ويقول الألوسي : (٣) وهذا خاص بالمعاصرين له صلى الله عليه وسلم بمعنى أن اليهودي في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تمنى الموت مات لفوره . فأخبر أنهم لايتمنون الموت أبدا بالرغم من شدة حرصهم على تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٧ (٢) سورة البقرة الايات ٩٤ ، ٩٥

(٣) روح المعاني جـ ١ ص: ٣٢٨ ، المرجع السابق جـ ٢٨ ص : ٩٦

وبقى الأمر على ماهو عليه فهم لايتمنون الموت إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لعلمهم بسوء مصيرهم ، ولو حدث من أحد هم أنه طلب الموت بلسانه الآن لم يجب طلبه لقوله لأن هذا من خصوصيات عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشأن المؤمنين أنهم يحبون لقاء الله لعلمهم بحسن مآلهم وشأن الكافرين أنهم يكرهون لقاء الله لعلمهم بسوء مصيرهم يقول الله عز وجل : (إن الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم) (١) وماقال عنه ابن كمونة : ومحضه على سبيل التفاؤل على عادة الرؤساء/وحيث أن هذا الرجل ذكر عدة من الأخبار الغيبية التى وردت فى القرآن وتحققت كما أخبر بها الرسول صلى الله عليه وسلم فسنكتفى بأخباره صلى الله عليه وسلم بانتصار الروم فى وقت يعانى فيه الروم من الهزيمة المنكرة التى لحقت بهم من الفرس أشد العناء ولم يتوقع أحد أن تستعيد الروم ... قوتها فى أقل من مائة عام .. فى هذا الوقت ينزل القرآن بقول الله عز وجل : (الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله من يشاء وهو العزيز الرحيم) (٢) وهذه الآيات قد أشارت إلى ثلاثة من الإخبار عن الغيوب . أحدها قوله عز وجل " وهم من بعد غلبهم سيغلبون " والثانى قوله عز وجل " فى بضع سنين " والبضع فوق الثلاثة ودون العشرة . والثالث : قوله عز وجل : (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء) وهذا من الغيب لأنه أخبر عن بقاء المؤمنين إلى أن يتحقق النصر ، وأنهم سيكونون فى حالة من القوة تجعلهم يظهرون الفرح (ه) مع العلم بأن الإخبار تم والمسلمون بمكة فى حالة ضعف . فتحقق المعجزة فى كل نواحيها المشار إليها (٣)

---

(١) سورة يونس الآيات من ٧ : ٩ (٢) سورة الروم الآيات من ١ : ٥

(ه) وقد كانوا وقتها فى قوة وفرح حيث انتصروا فى غزوة بدر ١٧ من رمضان ٢هـ = ٦٢٤ م وهذه معجزة حيث كان الروم وقتها فى أوج انتصارهم

(٣) إثبات نبوة النبى صلى الله عليه وسلم ص: ١٢٧، ١٢٨ بتصرف

دليل صادق على صدق من أخبر بها وأنه رسول الله تعالى . فما تحدث به من الغيب ليس من قبيل المجازفة ولا من قبيل تهور الزعماء وتفاؤلهم كما يقول ابن كمونه وإنما هو من لدن العليم الخبير علام الغيوب . ولقد تجرأ عدد من الزعماء والمفكرين وتوقع الكثير منهم بأمور مستقبلة ستحدث وما إن أذاعوا ماتنبأوه ونشروا ماتوقعوه حتى جاء الزمن بالواقع يكذب أقوالهم ويعكس تنبآتهم . والتاريخ يشهد بما حدث من نابليون الذى أدعى أنه لم يكتب فى قدرة غير الغلبة الكاملة على من فى الأرض والذى سار بجيشه ليقضى على أعدائه من جيوش الحلفاء وهم فى الطريق بالقرب من باريس مكان تحركه . لكن لم تمض غير ستة أيام ومنى بهزيمة ساحقة وغرها بها ويشهد التاريخ أيضا بما حدث من توقعات للشيوعيين بأن ثورتهم ستبدأ من ألمانيا أو باريس وخابت آمالهم وبدأت الثورة الحمراء من روسيا ومن أراد أن يعلم المزيد عن التنبؤات الكاذبة والأوهام البشرية الساقطة فليمد إلى كتاب الإسلام يتحدى . (١) ومهما تقول المبطلون . فستظل آيات القرآن الكريم شاهدة بنبوة خاتم الأنبياء والمرسلين .

د ـ اتهامه للقرآن الكريم بأنه لم يذكر فيه الاتيان بمعجز والرد عليه :

يفترى ابن كمونه على القرآن بقوله : قد ورد فى القرآن المجيد مواضع كثيرة تدل على أنه لم يأت بمعجز مثل قوله وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ومثل لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين) (٢)

وأقول ردا على هذا الاتهام: لقد أيد الله تعالى كل نبى داع إلى الحق بآيات تليق به وبزمانه ولعظم خاتم النبيين ورفعة منزلته صلى الله عليه وسلم . ولتمام رشد الإنسانية أيده الله بأرقى المعجزات العقلية والحسية بالقرآن الكريم الخالد . وبمعجزات حسية لايجد من يشاهدها مجالا للطعن فيها أو اتهامها بأنها من قبيل السحر أو التنجيم وما إلى ذلك، ولما كانت رسالة الإسلام باقية إلى أن يرث الله الأرض

---

(١) وحيد الدين خان ص: ١١١ : ١١٣ ط " ٦ " مطبعة أطلس بالقاهرة ١٩٧٦م .

(٢) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ص: ٩٣

ومن عليها :خلت معجزاتها من الأمور القهرية لأنها تريد تسليم الإنسان نفسه لله تعالى قلبا وقالبا لاقالبا فقط ،وقد بين الله تعالى العلة فى عدم اتيانه لنبيه صلى الله عليه وسلم بمعجزات تحقق مطالب المعاندين من جعل الصفا ذهبا واسقاط السماء كسفا وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا) (١) ولقد طلب أجداد ابن كمونه من موسى عليه الصلاة والسلام رؤية الله عز وجل جهرة فكان جزاؤهم ماحل بهم من الطاعقة : (وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى جهرة فأخذتكم الصاعقه وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) (٢) وحين طلب كفار قريش من المعجزات مثل معجزات صالح وموسى عليهما السلام سجل القرآن مطلبهم ورد عليهم بالقول الفصل :(وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) (٣) فيكفى المعاندين معجزة نزول القرآن الكريم ،وسماعهم لتلاوته ممن علمه ربه فكان بمعزل عن التعاليم البشرية ،وتلا عليهم ماعجزوا عن الإتيان بمثله وهم فى قمة الفصاحة ولكن أعداء الإسلام ديدنهم اختلاق المطاعن فى القرآن بأى صورة فهم حين يرد المولى عز وجل على المطالب المقترحه من الكفار يحورون ذلك بقولهم إن فى القرآن آيات تذكر أنه لم يأت بمعجزة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

وبعد فهذا قليل من كثير مما حواه كتاب ابن كمونه من تخرصات حول الاسلام قصدت بذكرها والرد عليها أن أبين حلقة الاتصال المستمرة ،والتى تحمل الكيد للإسلام فى صورة فرديه من يوحنا الدمشقى إلى ابن النغريله إلى ابن كمونه حتى تمت فى حركة جماعية وظهرت فى صورة جديدة سميت (بالحركة الاستشراقية) .

---

(١) سورة الإسراء الآية ٥٨ (٢) سورة البقرة الآيات ٥٥، ٥٦

(٣) سورة العنكبوت الآيتان ٥٠، ٥١

شبهـــات حول القرآن الكريم " لجفرى "
والـــرد عليها

لقد ظفر المستشرق " آرثر جفرى " بمخطوطه أطلق عليها إسم " كتاب المصاحف " لابن أبي داود فباد ربتحقيقها ثم نشرها بعد أن ابتدأها بمقدمة من فكره المريض حوت جل المفتريات الموجهة للقرآن الكريم ، فى صورتقدوينه وجمعه ، وشكله ، وقراءاتـــه وترتيب سوره وآياتـــه ، وكان يكفيه إن أراد خدمة العلم أن يحقق المخطوطـــة بنصها ولكنه كبقية أقرانه لايهمهم خدمة العلم بقدر خدمة هدفهم حتى ولو كان مايفعلونه مخالفا للحقيقة وغير مطابق للواقع ولذا آثرت الرد على جل الشبـــه الواردة فى هذه المقدمه .

شبهته حول جمع القرآن والرد عليها : وأبدأها بما ذكره من قوله وهذا الرأى " أى الرأى القائل بجمع القرآن كله فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فـــى صحف وأوراق وكان مرتبا كما هو الآن فى سوره وآياته " لايقبله المستشرقون لأنـــه يخالف ماجاء فى أحاديث أخرى أنه قبض صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن فـــى شئ . وهذا يطابق ماروى من خوف عمر بن الخطاب وأبى بكر الصديق لما استحر القتل بالقراء يوم اليمامة وقالا إن القتل استحر فى قراء القرآن ونخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن كلها فيذهب قرآن كثير ، ويتبين من هذا أن سبب الخوف هو قتل القراء الذين كانوا قد حفظوا القرآن ، ولو كان القرآن قد جمع وكتـــب لما كانت هناك علة لخوفهما ، وفضلا عن ذلك فإن علماء الغرب لايوافقون علـــى أن ترتيب نص القرآن كما هو اليوم فى أيدينا من عمل النبى صلى الله عليه وسلم .(١)

وأقول ردا على هذه التلفيقات :

أولا : قبول المستشرقين للرأى القائل بجمع القرآن كله فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فى صحف وأوراق أو عدم قبولهم له لايزيد فى الأمر بالنسبـــة لنا ولاينقص ، وهم ليسوا حجة وثقة فى علوم الإسلام لنأخذ منهم الدليل ونعمـــل

---

(١) كتاب المصاحف لابن أبى داود " المتوفى سنة ٣١٦هـ " (المقدمه) نقله من نسخة خطية ، للدكتور آرثر جفرى ص : ٥ ط ١ المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦م .

برأيهم ، ونرجع إليهم فى كتاباتهم ، ولو اعترفوا بالحقيقة لكان أجدى وأنفع لهم لكى يثق البعض ببحوثهم فى الإسلام ولو ببعض الوثوق ،

ثانيا : لاتوجد مخالفة بين الرأى القائل بجمع القرآن كله فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وبين ماذكر فى الحديث الشريف من أنه صلى الله عليه وسلم قبض ولم يكن القرآن جمع فى شئ [1] فهذا مراد به أن القرآن لم يكن مدونا فى مصحف له دفتين وان كان مكتوبا كله فى صحف ،

ثالثا : توثيق النص القرآنى الكريم : فالثابت علميا أن القرآن الكريم تم تدوينه كاملا فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم بواسطة كتاب الوحى الذين اختارهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، فسجلوا ما كان ينزل عليه من الوحى أولا بأول : عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى للشام فقلنا لأى شئ ذاك فقال لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم [2] قال البيهقى : يشبه أن يكون أن المراد به تأليف مانزل من الآيات المتفرقة فى سورها وجمعها فيها بإشارة النبى صلى الله عليه وسلم [3] ولقد جمع القرآن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم عدد لابأس به كما حفظه عن ظهر قلب كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عدا الجم الغفير الذى حفظ أجزاء له " فعن قتادة قال سألت أنس بن مالك رضى الله عنه من جمع القرآن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قال أربعة كلهم من الانصار : أبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد [5] " [4] ويشرح النووى مفهوم الحديث قائلا : وهذا الحديث ليس فيه تصريح بأن غير الأربعة لم يجمعه وإنما قد يكون مراد أنس الذين علمهم من الأنصار أما غيرهم من المهاجرين والأنصار الذين لايعلمهم فكثير

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص: ٢٠٢ (٢) المستدرك على الصحيحين فى الحديث للإمام أبى عبد الله النيسابورى المعروف بالحاكم جـ ٢ ص ٢٢٩ بدون عدد للطبعة مكتبة ومطابع النصر الحديثة وبدون تاريخ " حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " (٣) الاتقان جـ ١ ص: ٢٠٣ (٥) " وأبوزيد اسمه قيس بن السكن مات ولم يدع عقبا " (٤) البخارى بحاشية السندى جـ ٣ ص ٢٢٨ " كتاب المغازى باب القراء من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وفى صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٦ ص١٩ ، ٢٠ " كتاب فضائل الصحابه " ـ باب فضائل أبى بن كعب "

ولو ثبت أنه لم يجمع القرآن إلا الأربعة المذكورون لم يقدح هذا فى تواتره فـــإن أجزاءه حفظ كل جزء منها وجمعه خلائق كثيرون يحصل بهم التواتر وليس من شـرط التواتر أن ينقل جميعهم جمع القرآن بل اذا نقل كل جزء عدد التواتر صار متواترا بلا شك ولم يخالف فى هذا مسلم ولا ملحد . (١) ولقد كان للنبى صلى اللـــه عليه وسلم كتّاب كثيرون مع زيد بن ثابت " كالخلفاء الأربعة ، وأبى بن كعب ، والزبير بن العوام ، وخالد وأبان ابنى سعيد بن العاص بن أمية ، وحنظلة بن الربيـــع الاسيدىّ ومعيقيب ابن أبى فاطمة " (٢) ومع كثرة الكتاب للوحى من الأمناء نجـــد كثرة ممن يحفظون القرآن سموا بالقراء استشهد منهم سبعون رجلا فى موقعـــة واحدة عند بئر معونه (٣) فى عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلم وقد ذكـــر أبو عبيدة الكثير من قراء القرآن فعد من المهاجرين " الخلفاء الأربعة ، وطلحة وسعدا ، وابن مسعود وحذيفة ، وسالما وأبا هريرة ، وعبد الله بن السائـــب والعبادلة وعائشة وحفصة وأم سلمة) " (٤) فالقرآن الكريم قد دون وحفظ فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن خير شاهد بهذا :

يقول الله عز وجل : (إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لايمسه إلا المطهرون) (٥)

ويقول عز وجل : (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حـــتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة) (٦) ووصفـــه عليه الصلاة والسلام بتلاوة الصحف من باب التجوز فانه لما قرأ مافيها مما دونوه عنه صلى الله عليه وسلم فكأنه قرأها وفى قصة إسلام عمر مايدل على أن أخته (فاطمة) أعطته صحيفة فيها سورة (طه) فلما قرأ منها صدرا قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه (٧) وكل ماتقدم يدل على أن القرآن تم حفظه فى الصدور وتدوينـــه

---

(١) المرجع المذكور سابقا بالهامش بتصرف واختصار

(٢) البخارى بهامشه حاشية السندى بتمامها وتقريرات من شرحى القسطلانى وشيخ الإسلام جـ ٣ ص ١٤٩ بالهامش (٣) البخارى بحاشية السندى جـ ٣ ص ٢٨ كتاب المغازى " ـ باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونه) (٤) الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٢٤٩

(٥) سورة الواقعة الآيات ٧٧ : ٧٩ (٦) سورة البينه الآيات ١ : ٣

(٧) السيره النبويه لابن هشام جـ ١ ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ بتصرف

فى السطور قبل أن يلحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، ولقد كان من شدة عنايته صلى الله عليه وسلم بالقرآن أن حذر أصحابه من كتابة شيء عنه غيره فعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لاتكتبوا عنى ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه وحدثوا عنى ولا حرج ومن كذب على قال همام أحسبه قال متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)[1] بيد أن القرآن لم يجمع فى مصحف له دفتين لأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يسارعون لكتابته كل يدون فى صحفه ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم معهم يتلو عليهم من آياته وهم يرجعون إليه فيما لم يتيقنوه ، ويبين الخطابى العلة فى ذلك فيقول : انما لم يجمع صلى الله عليه وسلم القرآن فى الصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته ، فلما انقضى نزوله بوفاته الهم الله الخلفاء الراشدين ذلك ، وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمه[2] وبذا نقول :

١ــ إن القرآن الكريم تم حفظه بواسطة جمع من الصحابة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم .

٢ــ إن القرآن جميعه كتب فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحف لافى مصحف وعلى يد كثير من الصحابة تمت هذه الكتابة .

وقد جمع القرآن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا وثالثا

الجمع الثانى بحضرة أبى بكر رضى الله عنه : عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضى الله عنه إن عمر أتانى فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال عمر هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٨ ص ١٢٩ " كتاب الزهد ــ باب التثبت وحكم كتابة العلم "

(٢) الاتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٢٠٢

لذلك ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر ، قال زيد قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لانتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ماكان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُبِ واللِّخاف (٥) وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنه . (١) لقد وصف أبو بكر زيد بن ثابت بصفات أربع أهلته للقيام بهذا العمل يضاف اليها أنه شهد العرضة الأخيرة وكتبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الصفات وإن وجدت فى غيره من أصحاب رسول الله لكنها لم تجتمع وإن اجتمعت فهى غير كاملة كما هى عند زيد ، ويكفى شهادة على ذلك أنه بالرغم من حفظه التام للقرآن لم يكتب آخر سورة التوبة إلا حين وجدها مع أبى خزيمة الأنصارى الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين وهذا عمل فى غاية الدقة والأمانة ولذا يقول أبو شامه : وكان غرضهم ألا يكتب إلا من عين ماكتب بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم لا من مجرد الحفظ (٢) وتم جمع القرآن بهذه الكيفية مرتبا فى آياته وسوره كما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودون فى العرضة الأخيرة فى عهد أبى بكر فى مصحف له دفتين وإن كانت صحائفه مختلفه الاحجام والاشكال ، وبوفاة أبى بكر نقل عند عمر ومن بعده عند أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها .

الجمع الثالث للقرآن بحضرة عثمان : عن ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح ارمينيه

(٥) العسب جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشطون الخوص ويكتبون فى الطرف العريضة واللخاف جمع لخفة وهى الحجارة الدقاق

(١) البخارى بحاشية السندى جـ ٣ ص ٢٢٥ " كتاب فضائل القرآن ـ باب جمع القرآن "

(٢) الاتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص: ٢٠٦

وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق)[1] فإذا كان أبو بكر رضى الله عنه صان القرآن فجمعه فى مصحف خوفا من ضياع بعضه بدون النظر إلى قراءة مخصوصة ، فإن عثمان ابن عفان جمع القرآن بالقراءات الثابتة وبلسان قريش عند التنازع ليوحد الصف ويزيل الشقاق ، ويمحو أسباب اختلاف القراء ، قال القاضى أبو بكر فى الانتصار لم يقصد عثمان قصد أبى بكر فى جمع نفس القرآن بين لوحين ، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبى صلى الله عليه وسلم وإلغاء ما ليس كذلك ، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبت مع تنزيل ، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه ، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتى بعد[2] ، وأختص الله تعالى خلفاء رسوله صلى الله عليه وسلم بفضيلة جمع القرآن فقاموا بذلك خير قيام ويذكر ابن حزم طبقة وجوه النقل عند المسلمين وبعد تقسيمها يقول : أولها شىء ينقله أهل المشرق والمغرب عن أمثالهم جيلا جيلا لا يختلف فيه مؤمن ولا كافر منصف غير معاند للمشاهدة وهو القرآن المكتوب فى المصاحف فى شرق الأرض وغربها لا يشكون ولا يختلفون فى أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أتى به

---

(١) البخارى بحاشية السندى جـ ٣ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦

(٢) الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٢١٠ ، ٢١١ .

وأخبر أن الله عز وجل أوحى به إليه وأن من أتبعه أخذه عنه كذلك ثم أخذ من أولئك حتى بلغ إلينا "[١] ولم تعرف الدنيا كتابا بذل أتباعه من الجهد في حفظه والعناية به كما حدث بالمصحف ، فقد دونه رجاله بدقة تامة حرفا حرفا وكلمة كلمة وآية آية وسخروا عقولهم وكل مواهبهم لخدمته ، وبذلوا حياتهم وأموالهم رخيصة لدراسته ، ولم يعهد لأى كتاب أن يظفر بمثل ذلك على مدى التاريخ .

ترتيب السور والآيات :

أما من ناحية ترتيب سور القرآن وآياته : فيقول بن الحصّار " ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحى ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ضعوا آية كذا فى موضع كذا " وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا فى المصحف .[٢] وقد حقق " جفرى " كتاب مقدمتان فى علوم القرآن : وفى أحدى صفحاته وإنه مانزلت آية إلا وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يكتب له أن يضعها فى موضع كذا من سورة كذا .[٣] وإنها إرادة الله ليهلك من هلك عن بينة ويحى من حى عن بينة " ، وأما خوف عمر ابن الخطاب ، وأبى بكر الصديق لمّا استحر القتل بالقراء يوم اليمامة فالاستدلال به على أن القرآن لم يكن مكتوبا فى غير موضعه لان خوفهما زيادة تحرف فى صيانة القرآن وحفظه ليلتقى المحفوظ بالمكتوب وذلك لأن طريقة أداء هذا المكتوب لايتأتى إلا عن طريق التلقين والرواية ، ومن ثم نشأ خوف الخليفتين من أن يموت القراء ، فتتعثر طريقة الأداء ، وبعد هذا البيان فما على علماء الغرب الذين زعم " جفرى " أنهم لايوافقونا فى أن ترتيب القرآن كما كان فى عهد محمد صلى الله عليه وسلم — إلا أن ينصاعوا للحقيقة إن كانوا أوفياء للعلم أو نقول لهم قول الله عز وجل : (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون)[٤]

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم جـ ٢ صفحة ٨٢

(٢) الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص: ٢١٦   (٣) مقدمتان فى علوم القرآن (مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية) من المخطوطات المحفوظة في دار الكتب ببرلين ودار الكتب المصرية . ص ٢٧ نشر مكتبة الخانجي بمصر ١٩٥٤م

(٤) سورة الأنعام من الآية ١٤٨ .

شبهته حول مصحف زيد بن ثابت والرد عليها :

وملخصها أن غير واحد من الصحابة جمع القرآن فى مصحف خاص به مخالف لغيره ويقول بالنص : ويلزم على هذا أن ما جمعوه كان مخطوطا فى مصاحف وكان كل مصحف من هذه المصاحف خاصا بصاحبه جمع فيه ما عثر عليه من السور والآيات ، أما المصحف الذى كتبه زيد بن ثابت لأبى بكر الصديق فكان أيضا فى رأى المستشرقين مصحفا خاصا لا رسميا كما زعم بعضهم (١) .

وأرد على هذه الشبهة بالآتى :

أولا سبب اختلاف المصاحف : كتب كثير من الصحابة رضوان الله عليهم ما سمعوه من القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن الذين كتبوا ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحف أولا بأول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وكل ما فاته أنه لم يحضر العرضة الأخيرة ، فلم يعلم ما نسخ وما لم ينسخ وما تم نزوله فيها ، ومن الصحابة من دون ما حفظه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كعلى بن أبى طالب ، وصارت لهم بذلك مصاحف ، وبالرغم من صدق أصحابها وأمانتهم لم تنل إجماع الأمة لانها كانت مصاحف فردية خاصه كتبها بعض الصحابة لنفسه ، ولم يقتصر فى كتابتها على ما تواترت قراءته ، وثبت فى العرضة الأخيرة بل كتب فيها ما كانت روايته آحادا ، وما نسخت تلاوته وما لم يكن فى العرضة الأخيرة وخلط فيها بين ألفاظ القرآن ، وما كان شرحا لها وبيانا لمغزاها .

ثانيا جفرى يناقض نفسه : فبعد نفيه لكتابة القرآن فى صحف فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر فى الشبهة الأولى عاد فقال : وكان كل مصحف من هذه المصاحف خاصا بصاحبه جمع فيه ما عثر عليه من السور والآيات فى أى وقت كتبت السور والآيات ، وأصحاب المصاحف من أوائل الصحابة بلاشك كتبت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واعترافه بكتاباتهم لما عثروا عليه مكتوبا يعتبر تضاربا وتناقضا وهذا يكون مقبولا وربما صحيحا فى نظره لأنه يؤدى إلى طعن الإسلام .

---

(١) كتاب المصاحف لابن أبى داود ـ المقدمة ص: ٥ ، ٦

ثالثا : مصحف زيد بن ثابت المدون بإذن أبي بكر نال اجماع الأمة :

ولا ندرى لأى سبب رأى المستشرقون أن المصحف الذى كتبه زيد فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه غير رسمى . وكنا نود أن يذكروا العلة خصوصا وأنهم يدعون أن بحوثهم تتسم بالدقة والواقع فليس فيها من الكلام ما ألقى جزافا كهذا ، ويحق لنا أن نرد عليهم بقول الله عز وجل (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون)[1] والحق يقال : إن مصحف زيد بن ثابت : المجموع بأمر أبى بكر وبرأى عمر بن الخطاب رضى الله عنهم أجمعت عليه الأمة وأقرت صحته ولقد نال الرضى من على كرم الله وجهه فعن عبد خير قال : سمعت عليا يقول : أعظم الناس فى المصاحف أجرا أبو بكر رحمة الله على أبى بكر . هو أول من جمع كتاب الله[2] وحين أراد عثمان جمع القرآن فى عهده كلف بذلك أربعا من خيار كتاب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وأولهم زيد بن ثابت ولم يكتف بهذا بل أحضر المصحف المكتوب فى عهد أبى بكر للنسخ منه والرجوع إليه ولو كان غير معتمد من كل الصحابة لأحضر غيره من النسخ أو أكتفى على الأقل بحضور كاتبه زيد ونستطيع القول بأن مصحف عثمان إنما نال القبول والموافقة لأنه امتداد من المصحف الأصل فعن سويد بن غفلة قال : قال على فى المصاحف لو لم يصنعه عثمان لصنعته .[3] ولما وضحت لابن مسعود مزايا مصحف عثمان عاد إلى رأى الجماعة فنال المصحف المذكور اجماع الأمة وتأييدها ، ونزع الخلاف من بينها ، فتوحدت الكلمة ، وأنتظمت الصفوف ، وفى رأيى أن المستشرقين عز عليهم هذا فأرادوا أن يعيدوا الخلاف بالطعن فى المصحف الأصل وباتهامه بأنه غير رسمى وبالتالى يتسلل الشك إلى مصحف عثمان ، الذى نحن نقرأه الآن ونسمع تلاوته كما كانت فى عهد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون .

---

(١) سورة الجاثيه الآية ٢٣

(٢) الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٢٠٤

(٣) كتاب المصاحف ص ١٢

شبهته حول المصاحف العثمانيه والرد عليها :

حيث يقول وجد القرآء في المصاحف التي بعثها عثمان للأمصار اختلافا في بعض الحروف فكان في مصحف الكوفة عملت ، وفي غيره " عملته " ، وكذلك في مصحف الشام " وبالزبر " وفي غيره " والزبر " وفي مصحف المدينة ومصحف الشام " فلا " وفي غيرها " ولا " ومثل ذلك وكانت هذه المصاحف كلها خالية من النقط والشكل فكان على القارئ نفسه أن ينقط ويشكل هذا النص على مقتضى معاني الآيات ، ـ ومثال ذلك " يعلّمه " كان يقرأها الواحد ، " يُعلِّمُه " والآخر " نُعلِّمُه " أو " تُعلِمُه " أو " بِعِلمِهِ " الخ على حسب تأويله للآية ، فكان حينئذ لكل قارئ اختيار في الحروف وكذلك اختيار في الشكل أيضا ، وفضلا عن ذلك فقد وقع اختيار بعض القراء ، كما يتبين من كتب القراءات على كثير مما كان في المصاحف التي منع عثمان استعمالها ، (١)

وأقول مفندا كلام جفري : احتوت هذه القطعة على ثلاث شبهات :

أولا : ماذكره من اختلاف المصاحف العثمانية في بعض الحروف ، ليس من قبيل الاختلاف المردود . لأنه جاء عن طريق الوحي ونزل به الأمين جبريل على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يراد بعض الآيات التي ذكرها كما هي في المصاحف العثمانية :

١ـ وفي يس " س ٣٦ أية ٣٥ " في مصاحف أهل الكوفة " وما عملت أيديهم " بغير هاء بعد التاء وفي سائر المصاحف " وما عملته " بالهاء . (٢)

٢ـ وفيها " أي سورة آل عمران " أيه ١٨٤ في مصاحف أهل الشام " وبالزبر ـ وبالكتاب " بزيادة باء في الكلمتين .. وهما في سائر المصاحف بغير باء " (٣)

٣ـ وفي الشمس " س ٩١ أيه ١٥ " في مصاحف أهل المدينة " فلا يخاف عقباها " بالفاء وفي سائر المصاحف " ولا يخاف " بالواو . (٤)

---

(١) كتاب المصاحف لابن أبي داود ـ ص ٨٧،

(٢) المقنع في رسم مصاحف الأنصار مع كتاب النقط للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ص ١١١ جمعية المستشرقين الألمانية استانبول مطبعة الدولة ١٩٣٢م .

(٣) المرجع السابق ص ١٠٩ (٤) المرجع السابق ص ١١٦

فى هذه الحروف ونظائرها قال : أبو عبيد : هذه الحروف التى اختلفت فى مصاحف الأمصار مثبته بين اللوحين وهى كلها منسوخة من الإمام الذى كتبه عثمان ثم بعث إلى كل أفق مما نسخ بمصحف وهى كلها كلام الله عز وجل .(١)

وحين أمر عثمان رضى الله عنه بكتابة المصاحف كان من توفيق الله له أن أثبت الحروف الواردة فى بعض المصاحف ، واكتفى فى البعض الآخر بدونها علما بأن هذا وذاك من القراءات الثابتة عن طريق الوحى ، ولو كتب قراءتين مما اختلفت فيهما بعض الحروف فى مصحف واحد لكان المجال فسيحا لطعن الطاعنين وتشكيك المبطلين ، وربما يصل الأمر إلى اللبس بالنسبة للقارئين المبتدئين ولذا قال أبو عمرو فإن سأل سائل عن السبب الموجب لاختلاف مرسوم هذه الحروف الزوائد فى المصاحف قلت السبب فى ذلك عندنا أن أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه لما جمع القرآن فى المصاحف ونسخها على صورة واحدة وآثر فى رسمها لغة قريش دون غيرها مما لا يصح ولا يثبت نظرا للأمة واحتياطا على أهل الملة وثبت عنده أن هذه الحروف من عند الله عز وجل لذلك منزله ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعه وعلم أن جمعها فى مصحف واحد على تلك الحال غير متمكن إلا بإعادة الكلمة مرتين وفى ذلك كذلك من التخليط والتغيير المرسوم والاخفاء به ففرقها فى المصاحف لذلك فجاءت مثبته فى بعضها ومحذوفة فى بعضها لكى تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله عز وجل وعلى ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا سبب اختلاف مرسومها فى مصاحف أهل الأمصار .(٢)

ثانيا : اتهامه بأن خلو المصاحف من النقط والشكل سبب فى اختلاف القراءات وللرد على هذا الاتهام يلزمنى اعطاء صورة موجزة عن كيفية ما حدث للمصحف بعد جمع عثمان فكانت المصاحف خالية من النقط والشكل حيث لم تستدع الضرورة فى تلك الوقت هذا الأمر ، فكل مصحف فى مصر من الأمصار معه معلم يتلو على الناس

---

(١) المرجع السابق ص ١١٦ (٢) المرجع السابق ص ١٢٣، ١٢٤

القراءة الصحيحة المسموعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحين اتسعت رقعة الإسلام ودخل الناس فى دين الله أفواجا وخيف من اللحن والخطأ فى القراءة ، فلما جاء عهد معاوية وضع " أبو الأسود الدؤلى " بأمر زياد بن أبى زياد والى البصرة " النقط " فقد اختار رجلا من قبيلة عبد القيس وقيل من قريش وقال له خذ المصحف ومدادا يخالف لونه لون المصحف فإذا فتحت شفتى فانقط فوق الحرف نقطة وإذا ضممتهما فانقط أمامه نقطة وإذا كسرت فانقط تحته نقطة وإذا أتبعته غنه أى تنوينا فانقط نقطتين حتى أتى على آخر المصحف . (١)

والنوع الثانى نقط الإعجام :

وبه نعرف ذات الحرف ، وتم فى عهد الملك بن مروان حيث أمر الحجاج بن يوسف الثقفى أن يعمل جهده على أن لا يصل التحريف إلى حمى القرآن فاختار الحجاج للقيام بهذا الأمر " نصر بن عاصم " ويحيى بن يعمر " وكانا من أبرز العلماء وقتئذ فى فنون القراءات وتوجيهها وعلوم اللغة وأسرارها فوضعا ذلك النقط لتمييز بعض الحروف من بعضها وقد جعلا هذا النقط بلون مداد المصحف لتتميز عن نقط أبى الأسود . (٢) وفى عهد الدولة العباسية أدخل " الخليل بن أحمد " تحسينا على " النقط " أى الشكل الذى صنعه " أبو الأسود " فوضع علامة الفتح ، والضم ، والكسر ، والسكون وجعل الهمز ، والتشديد ، والروم ، والاشمام ، كما هو موجود بالمصاحف الآن ، وهذه نبذة عن النقط بنوعيه نقط الشكل ، ونقط الحروف ، وإن نظرة واعية لما فعله أبو بكر وعمر يوم أن خافا ذهاب الحفاظ ، وما حدث من عثمان يوم أن اختلف الناس فى القراءة ، وما فعل التابعون حين وقع اللحن والخطأ فى قراءة القرآن ـ تريننا صدق القرآن بأنه مصون من أن يمسه سوء على مدى الأعوام وتعاقب الاجيال (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (٣) وبعد هذا الايجاز نرد على قول المستشرق فكان على القارئ نفسه أن ينقط ويشكل هذا النص على مقتضى معانى الآيات فنقول له إن مصدر القراءة النقل والرواية والإسناد لا الرأى والتفكير والاجتهاد ، وليس

---

(١) مع القرآن الكريم الدكتور / شعبان محمد إسماعيل ص٤٠٧ مطبعة دار الاتحاد العربى ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م . (٢) المرجع السابق ص٤٠٧ ، ٤٠٨ بتصرف

(٣) سورة الحجر الآية ٩

خلو المصحف من النقط بنوعيه فى عهده الأول السبب الحتمى لاختلاف القراءات وإلا ترتب على هذا أن كل قراءة يحتملها رسم المصحف تكون صحيحة ومعتمدة وتحسب من القرآن وليس الأمر كذلك ، فكم من قراءات يحتملها رسم المصحف ومع هذا فهى شاذة وتمنع القراءة بها . وذلك كقراءة البعض قول الله تعالى (وماكان استغفار ابراهيم لابيه إلا عن موعدة وعدها إياه) [1] (أباه) بهمزه مفتوحة وباء موحده تحتيه بدلا من أياه وبرغم احتمال رسم المصحف إلا أنه تحرم القراءة بها .

كما أنه أيضا ليس رسم المصحف سببا لهذا الاختلاف فقد يوجد فى القرآن مالو تلى على حال رسمه لانقلب بذلك معنى التلاوة وتغيرت ألفاظها ألاترى قوله (أولأذبحنه) " و " (لاأوضعوا) (ومن نباىء المرسلين) " و " (سأوريكم) " و " (الربوا) وشبهه مما زيدت الألف والياء والواو فى رسمه لو تلاه تال لامعرفة له بحقيقة الرسم على حال صورته فى الخط : لصير الايجاب نفيا ولزاد فى اللفظ ماليس فيه ولامن أصله) [2] فمصدر القراءة السماع لاالرسم وكل مافيه احتمال بالقراءة على مالم يرد ، وما لو قصرى كما رسم لتغير معنى اللفظ مما ذكرناه يقرأ ما المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها الخلف عن السلف على حسب الورود والنقل ولو قرأ أحدهم بخلاف ذلك لعد مخطئا .

أما عن قوله باختيار بعض القراء قراءات وجدت فى المصاحف التى منع عثمان استعمالها فنقول له القراءات موجودة قبل القراء ، فلم يخترع أحدهم شيئا من عنده وإنما هم يقرءون بما سمعوا ، وما رووا متخذين مصحف عثمان مصدرا يرجعون إليه عند الاختلاف ، ولابد أن تكون قراءتهم متفقة مع رسم المصحف ونعنى بهذا أن رسم المصحف العثمانى شرط فى صحة هذه القراءات وبهذا الشرط أسقطت القراءات التى تخالف الرسم العثمانى . [3] فأى قراءة ترد عن أحد أئمة القراء على غير مرسوم المصاحف العثمانية لاتجوز القراءة بها ، هذا مع العلم بأن المصاحف التى منع عثمان استعمالها ليس كل مافيها من قراءات مخالف

---

(١) سورة التوبة من الآية ١١٤ (٢) المقنع ص : ١٢٥ بتصرف

(٣) أثر القراءات فى الدراسات النحوية الدكتور / عبد العال سالم ص: ٥٥ اصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية السنه التاسعة العدد التاسع والتسعون ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م . بتصرف يسير

لرسم المصحف العثماني وإنما فيها من القراءات الصحيحة المأخوذ بها ماهو موجود في مصاحف عثمان - وكل مافات أصحاب المصاحف الممنوع استعمالها أنهم لم يحضروا المرضة الأخيرة التي عرضها النبي على جبريل ، وأملاها النبي بعد ذلك لزيد بن ثابت وفيها تم نسخ ماتم نسخه وحذف ماتم حذفه من الآيات والقراءات . فهل بعد سماع هذا الكلام يحق لاى إنسان أن يتفوه بهذه المغالطات ؟

" شبهة جولد تسيهر حول القراءات "

ومن المستشرقين الذين طعنوا في تدوين المصحف (جولد تسيهر) ففي كتابه "المذاهب الإسلامية" تحت عنوان : " القراءات وإهمال الكتّاب قال مانصه في الترجمة : وأحيانا ماترد الروايات في القراءات بغير أن تعتمد على أسباب - وثيقة ، بأن تكون القراءة جاءت بسبب اهمال من الكاتب ، والقراءات التي ذكرناها وردت فوقد قصد فيها اصلاح ماجاء في قراءة أخرى والمواضع التي تحتوى على أشياء مخالفة للعربية زعموا فيها أن الكاتب لم يلاحظ وجه الصواب في كتابته " (١)

وكان من بين ما استدل به ماذكره الطبري عن هشام بن عروة عن أبيه أنه سأل عائشة عن قوله تعالى : " والمقيمين الصلاة " وعن قوله تعالى " إنّ هذان لساحران) " فقالت : يا ابن أختى ، هذا من عمل الكتاب أخطئوا في الكتاب (٢) يشير بهذا إلى أن عروة سأل عن لحن وقع في القرآن - وإن عائشة أجابت بأن هذا من الكتّاب .

الرد على هذه الشبهة : أولا : اللحن مقصود به القراءة ويوضح هذا ما ورد " عن ابن عباس قال قال : عمر أُبَيٌّ أقرأنا وإنا لندع من لحن أُبَيّ وأُبَيٌّ يقول : أخذته من في رسول الله " صلى الله عليه وسلم " فلا أتركه لشيء قال الله تعالى : " ماننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها أو مثلها " (٣) وقوله من لحن أبيّ

---

(١) ترجمة الدكتور / على حسن عبد القادر ص٣٠ ، ٣٩ ط١ مطبعة العلوم ١٣٦٣هـ = ١٩٤٤م .

(٢) المرجع السابق ص : ٣٠

(٣) البخاري بحاشية السندى جـ ٣ ص : ٢٢٨

أى من قراءته مانسخت تلاوته (قوله قال الله تعالى ما ننسخ ٠٠ إلخ) استدل به عمر على أبى [١] ولم يهمل الكتّاب ولم يلحنوا فى الكلام وعلى فرض هذا فكيف يجتمع الصحابة على الخطأ وكتابته والاستمرار فيه ؟ وهم الذين لم يألوا جهدا ولم يدخروا وسعا فى حفظ القرآن وإتقانه ورسمه، ولذا يقول أبو عمرو الدانى : ماملخصه أن عروة لم يسأل عائشة فى الحديث عن حروف الرسم التى تزداد وتنقص لمعنى وإنما سألها عن حروف من القراءة المختلفة الألفاظ المحتملة الوجوه على اختلاف اللغات التى أذن الله عز وجل لنبيه عليه السلام ولأمته فى القراءة بها تيسيرا وتوسعة عليها . وكلها قراءات فاشية فى اللغة واضحة فى قياس العربية وسمى عروة ذلك لحنا وأطلقت عائشة على مرسومه كذلك الخطأ على جهة الاتساع فى الأخبار وطريق المجاز فى العبارة إذ كان ذلك مخالفا لمذهبها وخارجا على اختيارهما [٢] .

ثانيا : الآيات التى ذكرها وماشابهها ليس فيها مخالفة للعربية مع العلم بأننا لانطبق آيات القرآن على العربية وانما نأخذ كلام العرب لنجد مايؤيد صحته لغة فى كلام الله تعالى فالقرآن مقياس لما نستدل على صحته من كلام العرب وحين نعرض ما استدل به من الآيات على خطأ الكتّاب لانجد خطأ .

أ ــ يقول الله تعالى : (لكن الرّاسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بمآ أنزل إليك ومآ أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما) [٣] (والمقيمين) فى هذه الآية بالنصب على المدح على القول بالعطف السابق ذكره، ولميزة المؤدين للصلاة ــ ولمكانتها غير إعرابها عما هى معطوفة عليه لتتضح هذه الميزة وهذا من بلاغة الأسلوب القرآنى والمعنى أخص أو أمدح ويجوز (المقيمين) بالجر عطفا على المجرور قبله (بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) والمعنى على هؤلاء أن الراسخين

---

(١) المرجع السابق بالهامش ص ٢٢٨

(٢) المقنع ص : ١٢٧ بتصرف

(٣) سورة النساء الآية ١٦٢

فى العلم يؤمنون بما أنزل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما أنزل على الرسل قبله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، والمقيمين الصلاة وهم الأنبياء أنفسهم فإن الله تعالى قال فى سورة الأنبياء "وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة "

ويقول الألوسى ماملخصه :

وبالجملة لايلتفت إلى من زعم أن هذا من لحن القرآن ، وأن الصواب والمقيمون بالواو كما فى مصحف عبد الله ، وهى قراءة مالك بن دينار والجحدرى وعيسى الثقفى وماورد من قول عثمان رضى الله عنه لما فرغ من المصحف وأتى به إليه قد أحسنتم وأجملتم أرى شيئا من لحن ستقيمه العرب بألسنتها ، ولو كان الملى من هزيل والكاتب من قريش لم يوجد فيه هذا ، فقد قال السخاوى إنه ضعيف ، والاسناد فيه اضطراب وانقطاع فان عثمان رضى الله عنه جعل للناس إماما يقتدون به ، فكيف يرى فيه لحنا ويتركه لتقيمه العرب بألسنتها ، وقد كتب عدة مصاحف وليس فيها اختلاف أصلا إلا فيما هو من وجوه القراءات وإذا لم يقمه هو ومن باشر الجمع وهم هم كيف يقيمه غيرهم ؟ (١)

ب - ومن هذا القبيل أيضا قول الله تعالى : (إن الذين أمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٢) وعن ابن محيصن (٣) والصابئين بكسر الهمزة وياء بعدها بدل الواو عطفا على لفظ إسم إن وإن كان فيها مخالفة لسواد المصحف فهى مخالفة يسيرة ولها نظائر (٤) يقول الإمام القسطلانى :

ومن قرأ بالرفع كانت بالرفع على الإبتداء وخبر " الصابئون " محذوف لدلالة خبر إن - عليه ، والنية فيه التأخير عما فى خبر " إن " والتقدير (إن الذين أمنوا والذين هادوا والنصارى) حكمهم كيت وكيت (والصابئون) كذلك بناء على

---

(١) روح المعانى جـ ٦ ص ١٥ (٢) سورة المائدة الآية ٦٩

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن السهمى المكى ، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير المتوفى سنة ١٢٣ وهو من القراء الأربعة الزائدين على القراء العشرة

(٤) كتاب لطائف الإشارات فى علم القراءات للعلامة القسطلانى مخطوطة بدار الكتب المصرية رمز (قراءات رقم ٤٩) جـ ١ سورة المائدة

أن المحذوف فى إن زيدا ، وعمرو قائم خبر الثانى لا الأول كما هو مذهب بعض النحاة .[١]

جـ - وقول الله تعالى : قالوا ان هذان لساحران . يقول الشيخ عبد الغنى الدمياطى واختلف فى إن هذين لساحران فنافع وأبو عامر وأبو بكر وحمزة والكسائى وأبو جعفر ويعقوب وخلف بتشديد إنّ هذان بالألف وتخفيف النون واتفقهم الشنبوذى والحسن وفيها أوجه أحدها: أن إن بمعنى نعم والهذان مبتدأ ولساحران خبره . الثانى أن إسمها ضمير الشأن محذوف وجملة هذان لساحران خبرها الثالث إن هذان إسمها على لغة من أجرى المثنى بالألف دائما واختاره أبو حيان رضى الله عنه وهو مذهب سيبوية وقرأ ابن كثير وحده بتخفيف إن وهذان - بالألف مع التشديد للنون . وقرأ حفص رضى الله عنه كذلك إلا أنه خفف نون هذان وافقه ابن محيض رضى الله عنه وهاتان القراءتان أوضح القراءات فى هذه الآية معنى ولفظا وخطا وذلك أن إن المخففه من الثقيلة أهملت وهذان مبتدأ ولساحران الخبر واللام للفرق بين النافية وبين المخففة على رأى البصريين وقرأ أبو عمرو رضى الله عنه إنّ بتشديد النون وهذين بالياء مع تخفيف النون وهذه القراءة واضحة من حيث الإعراب والمعنى لأن هذين إسم إن نصب بالياء ولساحران خبرها ودخلت اللام للتأكيد لكن استشكلت من حيث المصحف وذلك إن هذين رسم بغير ألف ولا ياء ولا يرد بهذا على أبى عمرو رضى الله عنه وكم جاء فى الرسم مما هو خارج عن القياس مع صحة القراءة به وتواترها وحيث ثبت تواتر القراءة فلا يلتفت لطعن الطاعن فيها [٢] وشكل الآية انْ هذٰنْ من غير ألف ولا ياء وكونهما

---

(١) روح المعانى جـ ١ ص: ٢٠١

(٢) اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر عبد الغنى الدمياطى مخطوطة (قراءات ٣) (سورة طه)، الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه تحقيق الدكتور / عبد العال سالم مكرم ص: ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

رسمت فى المصحف على هذه الكيفية التى نشاهدها جعلها صالحة للقراءة بالوجوه الأربعة التى ذكرناها • فمن جهل القراءات وتأويل الروايات ، ولم يفهم لغة القرآن ودروبها ، فليحفظ ما أوجه وليستح من جهله فلا يتهم الكتاب بما هو منه براء ولا يعيب لغة القرآن بصحتها وإلا فستصرعه بروعتها وبلاغتها •

وكم لهم من ادعاءات كاذبة توهم بأن فى القرآن أخطاء لغوية كشف زيف ماتقولوه ونطقوا به فى قوله تعالى فى سورة البقرة (تلك عشرة كاملة) [1] وفى سورة الأعراف (وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا) [2] وغير ذلك كثير صاحب كتاب أدلة اليقين [3] •

د يمومبين – ورأيه فى الفاتحة والمعوذتين :

ومن المستشرقين الذين طعنوا فى القرآن الكريم موريس ج • د يمومبين [5] حيث يقول ماترجمته " إن الفاتحة التى يبدأ بها القرآن ، والسورتين الأخيرتين (١١٣ ، ١١٤) وهما المعوذتان أى اللتان يستعيذ بهما الانسان من الشيطان ، قصيرة جدا والفاتحة نوع من الدعاء ، أما السورتان الأخريان فيختم بهما القرآن وهما بمثابة سياج حصين لطرد الأرواح الشريرة [4] وقد تحدث بمثل هذا الكلام أقرانه من المستشرقين والملحدين ولكنهم أوردوا الدافع لهذا الكلام مجاهرين بأن مصحف عبد الله بن مسعود كان خاليا منذلك •

الرد على هذا الرأى : والرد على هذه الشبهة يتناول ثلاثة جوانب

أولا : السور الثلاث المذكورة من القرآن الكريم ففيها بلاغة القرآن واعجازه وفيها مضامين القرآن من التوحيد الخالص والإيمان الصادق بالله عز وجل والبعث ، وفيها توجيه الإنسان للهداية وكل هذه الأمور موجودة فى أى سورة من سور القرآن

---

(١) فصاحب كتاب ميزان الحق يدعى أن الصواب تلك عشر كاملة وذلك لجهله والصحيح تأنيث إسم العدد فالآية الكريمة منطقية تماما مع اللغة (٢) ويقول فى اثنتى عشرة أسباطا (الصواب التذكير فى الأول والإفراد فى الثانى) ونذكره أن " أسباطا " ليس التمييز ، وإنما التمييز قطعة للمفرد لأنه

(٣) أدلة اليقين فى الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحيين فى الإسلام تأليف/ عبد الرحمن الجزيرى ص ٤٧٤ - ٤٨٥ ط ١ مطبعة الإرشاد بالقاهرة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م

(٥) مستشرق فرنسى " يسمى جودفروا – د يمومبين " ١٨٦٢ – ١٩٥٧ " أستاذ العربية فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس وعضو مجمع الكتابات والاداب – المقيقى – المستشرقون ج ١ ص ٢٨٤

(٤) النظم الإسلامية – نقله عن الفرنسية : صالح الشماع وفيصل السامر ص ٨٦ ، ٨٧ :

ثانيا : مشكوك أن يكون عبد الله بن مسعود ترك تدوين هذه السور فى مصحفه خصوصا وأن عثمان بن عفان رضى الله عنه أمر بإحراق المصاحف المخالفة لما أجمعت عليه الأمة ومن بينها مصحف عبد الله بن مسعود ، ولم يصلنا بطريق التواتر أن هذه السور خلافها مصحفه ، ولقد نال مصحف الأمة الرضى والقبول من " عبد الله بن مسعود " (١) وكل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين : قال النووى فى شرح المهذب مانصه أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة فى المصحف قرآن وأن من جحد شيئا منها كفر ، ومانقل عن ابن مسعود فى الفاتحة والمعوذتين فباطل ليس بصحيح (٢)

ثالثا : على فرض أن هذه السور الثلاث لم تكن فى مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فهل أنكر أنها من القرآن ؟

لم يحدث هذا فضلا عن أنه كان يصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بل من الملازمين له عشرة وصحبة ، وكان النبى يقرأ بالفاتحة فى الصلاة ويجهر بها حيث الجهر وربما ذهب فيما يظن أهل النظر إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان ، ورأى ذلك لايجوز على سورة الحمد لقصرها ولأنها تثنى فى كل صلاة وكل ركعة ولأنه لايجوز لأحد من المسلمين ترك تعلمها وحفظها ، كما يجوز ترك تعلم غيرها وحفظه إذ كانت لاصلاة إلابها فلما أمن عليها العلة التى من أجلها كتب المصحف ترك كتابتها وهو يعلم أنها من القرآن " (٣) أما عن المعوذتين فربما ظن أنهما للرقية وكان رسول الله يعوذ بهما الحسن والحسين ولما تأكد أنهما من القرآن لم يخالف بقية الصحابة ، ولايضيرنا شيئا إن كان هذا الصحابى لم يدون بمصحفه المعوذتين ، فالأمة لم تجمع عليه ، وإنما يهمنا كلامه ، ولم نر أنه أخبر أنهما ليسا من القرآن فيما وصلنا من الروايات ، ونسأل الله المغفرة فيما عرضنا

---

(١) المصاحف ص: ٨٨ بتصرف (٢) المجموع شرح المهذب للشيرازى ــ للإمام محيى الدين بن شرف النووى تحقيق محمد نجيب المطيعى جـ ٣ ص: ٣٢٨ بدون عدد للطبعة دار العلوم للطباعة . (٣) تأويل مشكل القرآن . الكتاب الأول ــ ص : ٣٥

من رأى بالنسبة لهذا الصحابى الجليل فهو من أشد الصحابة عناية بالقرآن ومن أحرصهم عليه ، وهو الذى جاهر به أهل مكة فى بدء الرسالة ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، والذى قال النبى صلى الله عليه وسلم فى شأنه (من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد)[١] فلم يبق بعد هذا اعتراض فى قرآنية السور الثلاث ، أو تشكيك فى معانيها ، ولا تحميل هذا الايهام المزعوم لهذا الصحابى الجليل .

المستشرقون والقصص القرآنى :

أتى القرآن الكريم بأخبار الأنبياء السابقين وأممهم بأسلوب رائع أثلج صدور المؤمنين فهو صورة واقعية تحكى موقف الأمم من لدن آدم إلى سيدنا رسول الله ، وتعطى الدفعة القوية للإنسانية لتتقدم فى طريق الحق والعدل ، والخير والسلام ، بما فيها من عبرة ومالها من تأثير ، فالظلم له عاقبة وخيمة والعدل له ثواب جزيل ولكل من الظلم والعدل صور متعددة وألوان مختلفة وإذا أردنا أن نعدد وجوه الانتفاع من قصة قرآنية واحدة ومالها من أهداف ما كفى مجلد ومن باب الذكرى يقول الله عز وجل : (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)[٢] والقرآن الكريم له طابع خاص فمهما كان من تشابه بين القصة فيه وفى الكتاب المقدس ، فهو نمط فريد يظهر هذا جليا حين نقرأ قصة معينة فى القرآن الكريم قد ذكرها الكتاب المقدس ، فسنجد الفارق واضحا يدركه من له أدنى إلمام بالاطلاع والقراءة هذا فضلا عن أن القرآن ذكر من القصص ما ليس موجودا فى الكتاب المقدس ، يقول مالك بن نبى " فأحيانا نجد القرآن يكرر نفس القصة ، وأحيانا يأتى بمادة تاريخية خاصة به مثل : هود ، وصالح وناقته ، ولقمان ، وأهل الكهف وذى القرنين .. إلخ)[٢]

---

(١) المستدرك [illegible] جـ ٢ ص ٢٢٨ ، والحديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه

(٢) سورة يوسف الآية ١١١

(٣) الظاهرة القرآنية ـ ترجمة عبد الصبور شاهين ص: ٢٥١ الطبعة الثالثة دار الفكر ببيروت ١٩٦٨م .

وقد دأب المستشرقون على التشكيك في قصص القرآن فمرة يدّعون أنه مقتبس من الكتاب المقدس ، وكان الرد واضحا فهناك فروق جوهرية بين القصة في القرآن والكتاب المقدس . فضلا عن أن القرآن أتى بقصص لم ترد في كتب القوم وأخرى يشككون في نفس القصة . وعز عليهم أن ينتصر القرآن بقصصه كما انتصر بكل حرف من حروفه فانبرى واحد منهم مشككا في قصص القرآن وسأشير اليه بعد التشكيك في مجيء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الى مكة :

فهاهو الفريد جيوم — يقول : " وكان محمد قد عرف في ذلك الوقت أن ابراهيم جاء قبل موسى وعيسى . وأنه كان أبا لإسماعيل . فهو بذلك جد العرب وهو يجعل إبراهيم وإسماعيل مشتركين في بناء الكعبة . كما أنه يعلن أن إبراهيم كان مسلما وبهذا استطاع أن يحدد الطابع المهدئ لرسالة الإسلام ولاتوجد أدلة تاريخية تؤكد أن إبراهيم أو إسماعيل قد جاءا إلى مكة)(١)

الرد على هذا التشكيك : وللرد على هذا الادعاء : أقول هذه نغمة مكررة وشيء عادى أن يتقول المستشرقون على النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الشكل فكأنهم بقولهم بمعرفة الرسول صلى الله عليه وسلم بقدم رسالة ابراهيم على رسالة موسى وعيسى . ... . — وصلوا إلى هدفهم وهو أن القرآن ليس وحيا ولو كان عندهم نوع من الاستحياء لكفوا عن الكلام في هذا الموضوع فالأمر من الوضوح بحيث لايخفى على أحد ! أما حين يتقول مستشرق بأنه لاتوجد أدلة تاريخية تؤكد أن إبراهيم أو إسماعيل قد جاءا إلى مكة : ونسأل إذ لم تكن هناك أدلة تاريخية بقدوم إبراهيم أو إسماعيل إلى مكة فهل وجدت أدلة تاريخيه بقصة آدم . ونوح وغيرهم من الأنبياء السابقين لإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ؟ إن كان الجواب بالنفى ، فبأى شيء عرفنا أخبارهم ؟

---

(١) الإسلام ص ٦٢

لاشك بطريق الوحي على لسان الرسل ويحق لنا بعد هذا أن نقول إما أن تصدق بكل هذه الأخبار ، وإما تكذبها جملة والتصديق بالبعض يوجب التصديق بالكل ، والتكذيب بالبعض يوجب التكذيب بالكل لوحدة المنبع ، وحين التكذيب يكون المدعى قد طعن في كتابه المقدس قبل القرآن وإن كان الجواب بالإيجاب فلماذا انعدمت الأدلة التاريخية عن تحركات إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام فقط ؟ وكيف يرد على التوراة وهي تخبر عن سكنى إسماعيل بمكة ؟ وهذا النص (وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس وسكن في برية فاران (*) ...) (١) وسكنى إسماعيل بمكة كما جاء في هذا النص المذكور يقوى مجيء إبراهيم إليها ولذا اكتفى بسكنى إسماعيل بها ، ولكن جحود القوم برسالة الإسلام أدى بهم إلى طمس عقولهم فكل مايؤدى إلى الطعن في الإسلام يرتكبونه ، وهذا ما أوقعهم في طعن الكتاب المقدس لهم ، من حيث لا يشعرون . ولا نستغرب منهم أن يسقطوا بعقولهم إلى هذه الدرجة فهذا شأنهم والذي يؤلمني أن يخرج من أرض الإسلام مستغربا الدكتور طه حسين ليردد ماقاله المستشرقون وليزيد الطين بلة ، فيذكر أن هذه القصص خرافة اتخذها اليهود حيلة لمسالمة العرب ، وقبلها العرب لسبب ديني وسياسي ، واستغلها الإسلام لسبب ديني . (٢) —

(*) وفاران جبال بالحجاز ، قال المرتضى في شرح القاموس وإليها ينسب أبو الفضل بكر بن قاسم الفاراني المتوفى سنة ٢٧٧ وفرج بن سهل الفاراني المتوفى سنة ٢٣٨ وغير العرب يقولون إنها بريه أو جبل عند العقبة في جزيرة سيناء . وقد سلك جرجي زيدان مسلك التوفيق بين القولين فقال في تاريخ العرب قبل الإسلام . ويسهل تطبيق الروايتين متى علمنا أن جبال مكة أو جبال الحجاز تسمى أيضا " فاران " فيكون المراد أن البرية التي أقام فيها إسماعيل برية الحجاز أو أنه أقام حينا في سيناء ثم خرج إلى الحجاز وسكن هناك " نقض كتاب " في الشعر الجاهلي " السيد محمد الخضر حسين ص٨٢ ، ٨٣ المطبعة السلفية بالقاهرة ١٩٤٥ هـ " .

(١) الكتاب المقدس — سفر التكوين : " ٢١ ، ٢٠ ـ ٢١ " ص٣١

(٢) في الشعر الجاهلي ص ٢٩ الطبعة الأولى مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٤هـ = ١٩٢٦م .

هذا ملخص ماقاله ، وقبل ذلك يقول بالحرف : للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ، ولكن ورود هذين الإسمين في التوراة والقرآن لايكفى لإثبات وجودهما التاريخى فضلا عن إثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ، ونشأة العرب المستعربة فيها . ونحن مضطرون إلى أن نرى فى هذه القصة نوعا من الحيلة فى إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى (١)

دفـــع هـــذا الكلام :

إن الدكتور طه حسين ذكر قبل ذلك أنه ينهج نهج أساتذته الغربيين وأنه يتبع منهج البحث العلمى " حيث ينسى قوميته ، ودينه وكل مايتصل به حتى لايغل عقله بما يلائم هذه القومية وهذا الدين " (٢) . ونوافقه فى نهجه العلمى فى البحث أما فى نسيان الدين وكل مايتصل به فلا ، ونستغرب صدور هذا التعبير منه خصوصا وهو يقرأ قول الله تعالى : (ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) (٣) وأقول أولا : ان كان الأمر فى نظر الدكتور طه حسين بهذه الصورة فجل القصص المذكور فى القرآن والإنجيل والتوراة مشكوك فيه على حسب رأيه ولابد لكى تعتمد القصة عنده من وجود تاريخى وإلا رفضها ولو ذكرتها التوراة وذكرها الإنجيل والقرآن ويلزم على هذا الشك فى الوحى ، بل وفى التاريخ الصادق أيضا ، فنحن لم نر القصة وأحداثها بأعيننا وإنما نقلت إلينا خلفا عن سلف ، وماندرى لعل السلف لفقها لسبب أو لأسباب ويترتب على ذلك سقوط كل الأخبار القديمة وعدم الاعتراف بها وهذا مالم يقل به أحد غير الدكتور طه حسين .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٦ (٢) المرجع السابق ص : ١٢ بتصرف

(٣) سورة الحشر الآية ١٩

ثانيا : كيف يقبل العرب هذه الحيلة اليهودية ؟ وهم الذين رفضوا اليهودية أصلا وفصلا وحاربوا الأديان ووقفوا لها بالمرصاد ؟ ثم ماهى الأسباب الدينية التى جعلت العرب يقبلون هذه القصة ؟ وماهى الأسباب الدينية التى جعلت الإسلام يستغلها ؟ إن المستشرق الفريد جيوم اكتفى بعدم وجود الأدلة التاريخية لقصة هجرة إسماعيل وإبراهيم إلى مكة ، ولم يجرؤ ليصرح بما صرح به الدكتور طه حسين .

ونسأل صاحب هذا الكلام : أين كان النصارى والقصة تحاك خيوطها بين اليهود وتهدى للعرب فيقبلوها ؟ إن العرب لم يعرفوا المالأة ، ولم يقدموا يوما على التفاوض مع اليهود أو النصارى فى كل مايمس العقيدة فهم معتزون بأصلهم ومعتقداتهم ولقد كانت اليهودية بفلسطين ثم معها المسيحية والعرب بمكة على وثنيتهم ومنهم من كان على بقية من دين إبراهيم ولم يحصل بين اليهود والعرب تفاوض أدى إلى اختلاق مثل هذه القصة من قبل اليهود وقبول العرب لها .

ثالثا : لشدة حيرة الدكتور طه حسين وعدم عثوره على دليل يؤيد به رأيه المزعوم وصل به الأمر أن يدعى أن صلحا تم بين العرب واليهود أثر حروب عنيفة أغار فيها اليهود على العرب ، فيقول : فليس يبعد أن يكون هذا الصلح الذى استقر بين المغيرين وأصحاب البلاد منشأ هذه القصة التى تجعل العرب واليهود أبناء أعمام (١)

وحيث لم تذكر وقائع التاريخ هذا الصلح ومكان انعقاده ، والدكتور لا يعترف بقصة ذكرها القرآن وأشارت إليها التوراة لأن التاريخ لم يذكرها فمن حق أن أقول له عجبا لمن يصدق احتماله ، وينكر أقوال القرآن الحكيم وهو من المسلمين ، ولا حاجة للإسلام إلى اليهودية حتى يستغل هذه القصة وهو لم يهادن أهل مكة فى بدأ أمره ووجوده فكيف يهادن اليهود وهو فى شبابه ومجده ولا يفوتنى أن أذكر بأن مانزل فى شأن هجرة إسماعيل الى مكة حدث قبل أن يتصل الرسول وأتباعه باليهود بالمدينة وأخبرتنا به سورة إبراهيم المكية بقول الله عز وجل (ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) (٢)

---

(١) فى الشعر الجاهلى ص: ٢٦ (٢) سورة ابراهيم الآية ٢٧

الرأى الاستشراقى للكلمات القرآنية المعربة وبيان خطئه :

فسر المستشرقون الكلمات القرآنية المعربة على حسب أهوائهم وميولهم :

الشبهة :

يقول الفريد جيوم فى كتابه الإسلام : (وليس فى وسع القارئ العادى أن يتعمق فى فقه اللغات السامية المقارن ،ولهذا فإن الدليل على أن كثيرا من الكلمات الموجودة فى القرآن الكريم لايمكن تفسيرها على أنها عربية ،يحتاج إلى استقصاء مصادرها فى اللغة العبرية والسريانية قبل الوصول إلى معنى ثابت لها . وهذا الموضوع هام إلى حد كبير ،خصوصا وأن القرآن يدّعى أنه عربى نزل للعرب خاصة بلسان عربى مبين . (1) وبعد هذا الكلام ادعى مالخصه أن العرب كانوا على صلة باليهودية والمسيحية ،وأنهم مروا ببيزنطة ،وفارس ،واليمن خلال رحلاتهم التجارية ،وكل هذا كان سببا فى زيادة محصولهم اللغوى

ولكى أصحح هذه الاخطاء أقول :

أجمع علماء الإسلام على أن القرآن كلام الله تعالى المنزل على خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ،واتفقوا على أنه ليس فى القرآن كلام مركب على غير الأساليب العربية ثم تعددت أراؤهم فى ناحية اشتمال القرآن على كلمات معرّبة .

١ــ فمنهم من أثبت ذلك فيه : يقول الآمدى : " وأحتج المثبتون لذلك بقولهم : القرآن مشتمل على المشكاة وهى هندية ،واستبرق ،وسجيل بالفارسية وطه بالنبطية ،وقسطاس ، بالرومية ،والأبّ وهى كلمة لاتعرفها العرب (٢) وأوجز أدلة هذا الفريق مما ذكره الآمدى فى الآتى :

أ ــ أن النبى مبعوث للناس كافة فلا ينكر أن يكون كتابه جامعا للغة الكل ليتحقق خطابه للكل إعجازا وبيانا .

---

(١) ص ٦٣

(٢) الإحكام فى أصول الاحكام ، للإمام أبى الحسن بن على بن محمد الآمدى جـ ١ ص: ٦٩ بدون عدد للطبعة ،مطبعة المعارف بمصر ١٣٣٢هـ = ١٩١٤م.

ب ــ القرآن الكريم كلام رب العلمين العليم بكل اللغات فليس منكرا تكلمه باللغات

جـ ــ مافى القرآن من الكلمات المذكورة وأمثالها يسير لا يخرجه عن كونه عربيا ٠

٢ــ ومنهم من نفى وقوع غير العربية فى القرآن ، وقالوا عن الكلمات المذكورة فى القرآن من هذا القبيل إنها مما اتفقت فيه اللغات ثم ردوا على الفريق المثبت

أ ــ بقول الله تعالى : (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى) وبقوله تعالى : (بلسان عربى مبين) وقوله تعالى : (إنّا جعلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون) وغير ذلك من الآيات ٠

ب ــ وأن بعثة النبى صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة لاتوجب اشتمال القرآن على غير لغة العرب ٠

جـ ــ كلام الله المحيط بجميع اللغات ، لايمتنع أن يكون مشتملا على اللغات المختلفة لكنه لا يوجه فلا يقع ذلك فى مقابلة النصوص الدالة على عدمه ٠

ويمكن التوفيق بين القولين والجمع بين الرأيين خصوصا وأنهم متفقون على أنه ليس فى القرآن كلام مركب على غير أساليب العربيه ، ولذا " قال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء والمنع عن العربية والصواب عندى مذهب فيه تصديق القولين جميعا ، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء ، لكنها وقعت للعرب ، فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها ، فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال إنها عربية فهو صادق ، ومن قال : أعجميه فصادق ومال إلى هذا القول الجواليقى وابن الجوزى وآخرون) [(١)]

فالخلاف شكلى ، والقرآن عربى ولا حاجة لزعم جيوم أما عن زيادة المحصول اللغوى للعرب نتيجة اتصالهم بالأمم المذكورة سابقا فقد تأكد للجميع قلة ماورد فى القرآن من الكلمات المعربة [(٢)] ، وسطوره خير شاهد ٠

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن جـ ٢ ص ١٢٩

(٢) المرجع السابق ــ بمراجعة ص: ١٢٩ ــ ١٤٣ .

الرأى الاستشراقى فى حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف والرد عليه :

شاءت إرادة الله أن ينزل القرآن ميسرا ليسهل على القارئ تلاوته يقول الله عز وجل : (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر) (١) وكان من أثر هذا التسهيل الربانى رفع الحرج عن العرب ليتمكنوا — برغم اختلاف ألسنتهم وتعدد لهجاتهم ، وانتشارهم فى أرجاء جزيرة العرب المترامية الأطراف — من أداء القرآن بدون مشقة وتعثر فى نطق أحرفه وآياته ، (عن عبد الرحمن بن عبد القارئ قال سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها وكان رسول الله أقرأنيها فكدت أن أعجل عليه ثم أمهلته حتى انصرف ثم لببته بردائه فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال لى اقرأ فقرأت فقال هكذا أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه) (٢)

المراد بالأحرف السبعة :

اختلف العلماء فى المراد بسبعة أحرف ، فقال القاضى عياض : (قيل هو توسعة وتسهيل لم يقصد به الحصر قال وقال الأكثرون هو حصر للعدد فى سبعة) (٣) والحرف من كل شئ طرفه ، وشفيره ، وحده ، ومن الجبل أعلاه المحدد جمع حرف والحرف واحد حروف التهجى ، ومعانيه كثيرة قال صاحب مختار القاموس ونزل القرآن على سبعة أحرف سبع لغات من لغات العرب والمعنى هذه اللغات السبع متفرقة فى القرآن ، (٤) وليس معناه أن يكون فى الحرف الواحد سبعة أوجه وإن جاء على سبعة أو أقل أو أكثر ولكن المستشرق جولد تسيهر أقحم نفسه فى بحر عميق فأولى برأيه فى حديث نزول القرآن على سبعة أحرف — قائلا : وهو حديث وإن كان يبدى شبها كثيرا برأى التلمود فى نزول التوراة بلغات كثيرة فى

---

(١) القمر الآية ٢٢ (٢) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٦ ص : ٩٨ ، ٩٩ — كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه " وورد بروايات متعددة فى البخارى بهامشه حاشية السندى بتمامها وتقريرات من شرحى القسطلانى وشيخ الإسلام ج٣ ص : ١٥٠ "كتاب فضائل القرآن — باب أنزل القرآن على سبعة أحرف" (٣) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٦ ص : ٧٩ بالهامش (٤) مختار القاموس الطاهر أحمد الزاوى ص ١٣٥ حرف الحاء "

وقت واحد فانه يهد وعديم الصلة بهذا الرأى • وهو فى معناه الصحيح الذى لم يقف علماء الدين الاسلاميون أنفسهم موقفا واضحا منه ذكر فى تفسيره : ٣٥ لا علاقة له فى الأصل بتاتا باختلاف القراءات (١) •

ونذفع هذا الكلام بالآتى :

١- لا وجه للمقارنة بين رأى شراح التوراة وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شبه بينهما ولا ندرى بأى وجه سمح المستشرق لنفسه بهذه المقارنة •

ولكنه حين شعر بأنه تعرى من الحقيقة وأنكشفت سوأته لجأ كعادته ليقول : فإنه (أى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) يهد و عديم الصلة بهذا الرأى وهو يريد بهذا أن يؤكد صحة مايثبته بعد حيث ذكر أن علماء الإسلام لم يقفوا منه موقفا واضحا • وتعددت أقوالهم فى تفسيره • بينما يرى أن الحديث لاعلاقة له باختلاف القراءات والواقع يؤكد أن علماء الاسلام وإن تعددت آراؤهم فى المراد بالأحرف السبعة إلا أنهم رجحوا فى الغالب أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات مع شرط السماع من النبى صلى الله عليه وسلم • وهى سبع لغات فى بطون قريش وقال أبوعلى الأهوازى : هى لغات قريش ومن ينتهى نسبه إليها لنزوله بلغتهم لأنهم قوم الرسول صلى الله عليه وسلم وهى أفصح اللغات وقال الفراء لانهم جاوروا البيت فكانت تبرح اليهم القبائل على تنوعها ويخاطبونهم فيختارون من كل لغة فصحاها ومن كل وجه أحسنه فجاءوا فصاحا صباحا ومن ثم كتب عمر رضى الله عنه إلى ابن مسعود رضى الله عنه أن الله أنزل القرآن بلغة هذيل حين اقرأ حتى بالصبن • (٢) وإن وجد فى القرآن ماليس من لغة قريش أصلا إلا أنها اندرجت على لسان قريش فصارت كأنها من لغتها كما اندرجت الكلمات الغير عربية وصارت عربية • ويقول : أبو عبيد ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات بل

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ص ٥٣ بدون عدد الطبعة - مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م

(٢) كتاب لطائف الاشارات فى علم القراءات ج ١ ورقة ٩

اللغات السبع مفرقة فيه ، فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن وغيرهم قال : وبعض اللغات أسعد بها من بعض (١) ويقول العلامة القسطلانى :

ولا يوجد فى القرآن كله كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا الشيء القليل مثل ولا تقل لهما أف وجبريل وأرجه (٢)

والحديث المذكور له صلة باختلاف القراءات ، وتفسير علماء الإسلام له لم يضع قيدا معينا على رأى من الآراء وإنما رجحوا الرأى القائل بأن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات عربية ، ولا ينبغى أن يفهم الاختلاف فى قراءة القرآن على أنه اختلاف فى المعنى أو الحكم . وهذا مانبه عليه القسطلانى فى شرحه لحديث عمر وهشام بقوله : ذلك أن الصحابة الذين اختلفوا وترافعوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم فى حديث عمر وهشام ثبت عن أبى وابن مسعود وعمرو بن العاص وغيرهم لم يختلفوا فى تفسيره ولا أحكامه وإنما اختلفوا فى قراءة حروفه (٣) .

ويستمر المستشرق فى غيه ليعقد مقارنة بين موافقة الأمة على الأئمة الأربعة فى دائرة التشريع الإسلامى وبين موافقتها على القراء السبع فى دائرة قراءة القرآن . ليعلن مسبقا أن هذا بداية تفسير الحديث الغامض الدلالة فى نظره فينطق وهنا يتبين التفسير الحرفى للحديث الغامض الدلالة عن الأحرف السبعة فكما حصل الاعتراف فى التشريع بأئمة المذاهب الأربعة ، حصل الاعتراف أيضا فى دائرة القراءة القرآنية على مضى الوقت بسبع مدارس تمثل كل منها اتجاها فى القراءة ويؤيد قراءات كل مدرسة إمامها بالرواية المعتمدة (٤) .

المقارنة فى كلا الطرفين غير صحيحة : والواقع خير شاهد فالأئمة الأربعة وإن علا صيتهم فى دائرة التشريع الإسلامى فغيرهم من الأئمة ذائعة شهرته وأخذ الناس

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن ج ١ ص: ١٦٩

(٢) كتاب لطائف الإشارات في علم القراءات ج ١ ورقة ٩ (٣) المرجع السابق ورقة ١١

(٤) مذاهب التفسير الإسلامية ص ٩

برأيه ، والجميع قد استمد فقهه من الكتاب والسنة ، واجتهد ورأى وقاس على ضوء مافيهما ولقد عمل الناس بالصحيح من قولهم ، وتركوا ماجانبهم الصواب فيه سواء كان رأيا لمالك أو لأبى حنيفة .

وأيضا القراء السبع اختيروا من أئمة الأقطار الاسلامية وهم : عبد الله بن عامر اليحصبى المتوفى بدمشق سنة ١١٨ هـ . وعبد الله بن كثير الدارى المتوفى سنة ١٢٠ هـ بمكة المكرمة ، وعاصم بن ابى النَّجُود الأسدى المتوفى سنة ١٢٧ هـ بالكوفة . وأبو عمرو زبان بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤ هـ . وحمزة بن حبيب الزيات الكوفى المتوفى بحلوان سنة ١٥٦ هـ . ونافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم المدنى المتوفى سنة ١٦٩ هـ . وعلى بن حمزة الكسائى النحوى توفى سنة ١٨٩ هـ .

وليست شهرة هؤلاء السبعة دلالة على أن غيرهم من أئمة القراءة فى درجة أقل أو أن قراءته غير صحيحة ولذا يبين مكى العلة فى الاقتصار على الائمة السبع فيقول : " إن الرواة عن الائمة كانوا كثيرا جدا ، فلما تقاصرت الهمم اقتصروا مما يوافق خط المصحف على مايسهل حفظه وتنضبط القراءة به ، فنظروا إلى من أشتهر بالثقة والأمانة وطول العمر فى ملازمة القراءة والاتفاق على الأخذ عنه ، فأفردوا من كل مصر إماما واحدا ، ولم يتركوا مع ذلك نقل ماكان عليه الأئمة غير هؤلاء من القراءات ولا القراءة به كقراءة يعقوب وأبى جعفر وشيبة وغيرهم "(١) ولقد وضع أبو الخير بن الجزرى الميزان الدقيق لصحة القراءة فقال فى أول كتابه النشر: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها ، فهى القراءة الصحيحة التى لايجوز ردها ولايحل إنكارها بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها ، سواء كانت عن الائمة السبعة ، أم عن العشرة ، أم عن غيرهم من الائمة المقبولين ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أو عمن هو أكبر منهم .(٢)

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن ج ١ ص ، : ٢٧٥

(٢) النشر فى القراءات العشر للحافظ أبى الخير محمد بن محمد الدمشقى الشهير بابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ تحقيق/ على محمد الضباع جـ ١ ص ٩ بدون عدد للطبعة مطبعة مصطفى محمد بمصر بدون تاريخ بقلائد الطبعة.

العلاقة بين الأحرف السبعة والقراءات السبع :

الحقيقة أن القراءات السبع التي قرأ بها علماء القراءات ودونوها
فى كتبهم مستمدة من قراءة رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالرواية عن طريق السماع وهى بعض الأُحرف السبعة المشار إليها فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان لاينبغى تفسير الأُحرف السبعة الواردة فى الحديث بالقراءات السبع لأن القراءات الصحيحة أكثر من سبع وكلها داخلة تحت الأُحرف السبعة المذكورة فى الحديث فضلا عن أن أصحاب القراءات السبع مع علمهم بهذا الحديث جيدا لم يقل أحد منهم بهذا التفسير .

وأيضا أئمة القراءة المقبولين كانوا فى زمنهم أكثر من سبع . وكل ماكان من صلة بين الأحرف السبعة والقراءات السبع قد ذكرته بالإضافة إلى أن هذه القراءات فى الغالب نالت التواتر ووافقت الرسم العثمانى فلا يجوز لهذا المستشرق أن يقطع صلتها بالحديث من هذه الناحية . وإلا كان مخطئا

ولا يفوتنى القول بأن الأئمة السبع وغيرهم من الأئمة المقبولين لم يأتوا بشىء من اختراعهم ولم ينطقوا القرآن بغير رجوع إلى مصدره . فشأنهم فى هذا شأن صحابة رسول الله الذين حفظوا القرآن وصانوه وبلغوه للناس كما سمعوه من غير زيادة أو نقصان ولذا يقول الإمام الألوسى : موضحا مثل هذا الموضوع وقاطعا الطريق على كل خائض " وياليت شعرى هل ادعى أحد من المسلمين أن معنى إنزال القرآن على هذه السبع من لغات هؤلاء العرب أنه أنزل كيفما كان وأنهم هم الذين هذبوه بلغاتهم ورشحوه بكلماتهم بعد الاذن لهم بذلك فإذ الاختلف أهل قبيلة واحدة فى كلمة . ولا يتنازع إثنان منهم فيها أبدا أم أن الله تعالى شأنه ظهر كلامه فى مزايا هذه اللغات على حسب مافيها من المزايا والنكات فنزل بها وحيه وأدّاها نبيه صلى الله عليه وسلم ووعاها أصحابه فكم صحابى هو من قبيلة وعى كلمة نزلت بلغة قبيلة أخرى وكلا هما من السبع وليس له أن يغير ما وعى بل كثيرا مايختلف صحابيان من قبيلة فى الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من روايتيهما على غير لغتهما كل ذلك اتباعا لما أنزل الله تعالى وتسليما لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ينفى صحابى غير روايته

وينكر رواية غيره وكل ذلك يدل على أنْ مرجع السبع الرواية لا الدراية "(١)
فليس لطاعن بعد هذا البيان إلا التسليم لأهل القرآن ، وأخذ العلم الصحيح
من كتبهم ثم الاعتراف الكامل بكل الحقيقة لا ببعضها كما حدث من جولد تسيهر
فى قوله : " ويؤيد قراءات كل مدرسة إمامها بالرواية المعتمدة " وماذا تفيد
الرواية المعتمدة إذا لم يعترف بها خصوصا فى مثل هذا المقام .

طه حسين ولغة القرآن :

ولا يمر طه حسين بهذا الموضوع بدون أن يدلى دلوه ، وقد كان فأعلن —
ما اختصاره " أن القرآن نزل بلغة قريش ولهجتها ثم تناولته القبائل المختلفة
فكثرت قراءاته وتعددت اللهجات فيه وتباينت "(٢) وادعى أن السيوطى
ذكر هذا الرأى فى الاتقان ومانقله السيوطى عن أبى شامة عن بعض الشيوخ أنه
قال : " أنزل القرآن أولا بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ثم
أبيح للعرب أن يقرؤوه بلغاتهم التى جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم
فى الألفاظ والإعراب .(٣) وتغافل الدكتور طه عن أن هذا رأى البعض من
الشيوخ لا رأى الكل ، فهو لم ينل الاجماع . وأن السيوطى : ذكر بعد هذا
الرأى أن غيره قيد إباحة السماح للقبيلة بنطق الكلمة القرآنية بلغتها بشرط السماع
من النبى صلى الله عليه وسلم(٤) ثم اختلاف قراءة الرجلين من القبيلة الواحدة وهم
أصحاب لغة واحدة ، وإقرار النبى لكل منهم بصحة قراءته كما حدث مع عمر وهشام
وكلاهما قرشى ، وهذا ما يجعل كلام الدكتور / طه حسين زبدا ويذهب بقوله
الآتى : " والحق أن ليست هذه القراءات السبع من الوحى فى قليل ولا كثير "(٥)
أدراج الرياح

---

(١) روح المعانى جـ ١ ص ٢١ (٢) فى الأدب الجاهلى الدكتور طه حسين ص ٩٤
ط "٢" طبع دار المعارف بمصر ١٩٢٧م . (٣) الإتقان جـ ١ ص ١٧٠
(٤) المرجع السابق ... (٥) فى الأدب الجاهلى ص ٩٥

المستشرقون وفواتح السور : تصور التأثير الأجنبى :

تعرض المستشرقون لفواتح السور القرآنية المعجمة وخاب سعيهم فى أن يجدوا ثلمة ينفذون منها إلى هذا الصرح الشامخ ومن المستشرقين الساقطين فى أودية الخسران " لوت " " الذى يتصور أن النبى " صلى الله عليه وسلم " مدين بفكرة الفواتح لتأثير أجنبى وهو يرجح أنه تأثير يهودى (١) .

الرد على هذا التصور :

إن الفواتح المعجمة بدئ بها تسع وعشرون سورة من القرآن الكريم منها سورتان مدنيتان (البقرة — وآل عمران) افتتحت كلتاهما بقول الله تعالى (الٓمٓ) وهذه الآية الكريمة كانت البداية لأربع من السور المكية (العنكبوت ، والروم ، ولقمان ، والسجدة) فلها سابقة نزول بمكة ، وبذا تعتبر الفواتح المعجمة من النازل بمكة قبل اتصال الرسول بيهود المدينة ، فلا حجة لمن يدعى التأثير اليهودى فى هذه الناحية ولما كان الكتاب المقدس بعهديه خال من أمثال هذه الآيات المعجزات ، فلا داعى لإهمال العقل وإظهار الجهل .

فكرة الرموز :

يدعى المستشرق " نولديك " أن تلك الفواتح ليست من القرآن فى شئ وإنما هى رموز لمجموعات الصحف التى كانت عند المسلمين قبل أن يوجد المصحف العثمانى ولقد عدل هذا المستشرق عن رأيه واقتنع بخطئه إلا أن (هير شفيلد ، وبول) قلدا رأيه المنافى للصواب وأشادا بنظريته) (٢)

الرد عليهما :

دون كثير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعوه من القرآن الكريم فى مصاحف وصحف ، ولم نعلم أن واحدا منهم وضع رمزا لمصحفه أو صحفه وكل

---

(١) هذا هو الإسلام الدكتور / محمد غلاب ص ١٠٩ ابدون عدد للطبعة مطابع الشعب ١٩٥٩م .

(٢) المرجع السابق ١٠٩ بتصرف

ماوصلنا أن كل مصحف أطلق عليه إسم صاحبه ، ومجرد الظن فى أن يسمح ناسخو المصحف العثمانى بإضافة شئ إليه ليس من القرآن مرفوض فهم الذين كتبوه بعد أن تأكدوا من أن كل حرف فيه ورد عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس هم وحدهم على هذه الشاكلة فلقد بلغ من حرص كل صحابى وعنايته بحفظ القرآن على الوجه الصحيح أنه كان يرجع الى الرسول عند مجرد سماعه قرآءة لم يكن سمعها بعد ليتأكد من صحة قرآته ، فكيف يقبلون زيادة فى المصحف ليست منه ؟ إن كل ماهو بالمصحف من أول سورة إلى أخر سورة بالحرف والشكل وحى الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومايشاع من فكرة الرموز عدوان على العلم ومحاربة للحق .

آراء سطحية حول الفواتح المعجمة :

حاول أصحاب هذه الآراء الاستشراقية إيجاد تفسير لهذه الفواتح ، وحل لهذا اللغز التى حارت العقول فى فهمه ، فمنهم من يرى أن كل فاتحة مرتبطة بما يذكر فى سورتها من كلمات تدل على حروفها فمثلا (طسم) الطاء تشير إلى الطور والسين تشير إلى سيناء ، والميم تشير إلى موسى) ولكن حين نطبق هذا الكلام يظهر لنا عدم صحته ، فإذا قرأنا سورة الشعراء (طسم) فلا نجد سوى حرف الميم المشير الى موسى المذكور فى السورة ولايوجد بها لفظ الطور ، أو لفظ سيناء مما يدل على سذاجة صاحب الرأى ومنهم من يرى الرجوع إلى علماء المسلمين لمعرفة سر هذه الفواتح وهذه الآراء تعتبر وجهة نظر لأصحابها وليس فيها إنكار لقرآنية هذه الفواتح (١) ، ولقد عرض كل من الدكتور / محمد غلاب ، والدكتور / حفنى محمد شرف مجموعة من آراء المستشرقين (٢) ، وألقى الثانى الضوء حول هذه الفواتح وسار فى نورها فذكر آراء علماء الإسلام القدامى ، والمحدثين ووجهة

---

(١) المرجع السابق ص ١١٠

(٢) مجلة منبر الإسلام مقالات للدكتور /حفنى محمد شرف تحت عنوان " من اعجاز القرآن فاتح السور القرآنية الأعداد ٣ ، ٢ ، ٤ ، ٥ السنة ٢١ ـ ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م .

نظر المستشرقين ،فليعد إلى حديثه كل من أراد الاستزادة من أسرار هذه الآيات التى ستظل بمشيئة الله تعالى شامخة بإعجازها معطية لكل جيل بعضا من أسرارها ،

المبحث الثانى

المواجهة الاستشراقية للسنة النبوية والرد عليها

ا - صورة مجملة لمزاعم المستشرقين حول السنة الشريفة :

وحى الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم قسمان : سنة ،وقرآن ولم يكتف المستشرقون بالهجوم السافر على القرآن الكريم كوحى أوحاه الله تعالى وكتاب مسطور ،وإنما تطاولوا إلى السنة النبوية بوابل من الاتهامات فى محاولة مستميتة لتشويهها والتشكيك فيها ،ومن المستشرقين الطاعنين فى السنة الكريمة : هاملتون جيب ،وجولد تسيهر ،وشبرنجر وشاخت وتتلخص مزاعم هؤلاء فى أن السنة منقولة عن الأمم الأخرى ،واتهام علماء الصدر الأول للإسلام بوضع الأحاديث ،وتشويه صورة رواة الحديث ،ورمى المحدثين بالإهمال والتقصير فى نقد الأحاديث خصوصا من ناحية المتن ،وإشاعة وجود تناقض بين الأحاديث، ولهذا الهجوم خطورته حيث لا يتيسر لجل المسلمين معرفة الكثير من الأحاديث أو الاطلاع على علوم الحديث بخلاف القرآن الكريم ،فالله تعالى يسر تلاوته وفهم معانيه ولذا أناشد كل حاكم غيور فى بلاد الاسلام أن يفسح المجال الإعلامى بكافة أنواعه لعلماء الإسلام وخاصة رجال الحديث لتنطلق ألسنتهم وتشهر أقلامهم لصد كل عدوان على الإسلام ولوقف كل تيار يحاول النيل من سنة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام حتى لا تنال أمثال هذه المزاعم من نفسية المسلم ،وتفتح ثغرة فى تفكيره ،ولقد عقدت العزم بعون الله أن أرد على ماذكره القوم من مزاعم فى دائرة ما ذكرت ،

---

٢ ـ ادعاء أن السنة النبوية منقولة عن الأمم الأخرى :

ومن المتقولين بهذا : جولد تسيهر ، جب .

فيدعى الأول ماترجمته : (هناك جمل أخذت من العهد القديم والعهد الجديد وأقوال للربانيين أو مأخوذة من الأناجيل الموضوعة ، وتعاليم الفلسفة اليونانية وأقوال من حكم الفرس والهنود كل ذلك أخذ مكانه فى الإسلام عن طريق الحديث) (١)

" ويدّعى أيضا أن الأحاديث المتواترة لم ترد من النبى صلى الله عليه وسلم مباشرة (٢) " أما المستشرق هـ . أ . ر . جب : بعد أن يذكر أن عاطفة المسلمين نحو الرسول صلى الله عليه وسلم هى التى رسمت صورته يدعى ماترجمته :

وتنكشف قوة هذا التيار من الفكر الدينى الإسلامى بتنوع الأشكال التى تسرب عنه ففى القرون الأولى نشأ عنه تضخم كتلة الحديث بما عزى إلى النبى " صلى الله عليه وسلم " من عناصر كثيرة مستمدة من التراث الدينى بله البوذى أيضا بصرف النظر عن مضاعفة الأحاديث الحقوقية واللاهوتية " (٣)

٣ ـ الرد على هذه التقولات :

أ ـ مجمل هذه المطاعن المختلفة فى الأسلوب ، والمتفقة فى المضمون أن الإسلام مكون من عقائد ومذاهب سبقته فى القدم ، نسبها أتباع الإسلام للرسول صلى الله عليه وسلم ويحاول المستشرقون ـ بهذا السلوك المجافى للعلم ـ تجريد الإسلام من مصادره الأساسية ليصير فى نظر الناس ، كغيره من الديانات التى صارت رسوما

---

(١) العقيدة والشريعة فى الإسلام ط ٢ ص ٥١

(٢) المصدر السابق ٣١

(٣) بنية الفكر الدينى فى الاسلام تأليف هـ . أ . ر . جب ـ تعريب عادل العوا ص ٩٤ ، ٩٥ بدون عدد للطبعة مطبعة جامعة دمشق بسوريا ١٣٧٩هـ = ١٩٥٩م .

وصورا لا حقيقة لها ،فهم تارة ينسبوه إلى التراث اليهودي والمسيحي وأخرى إلى فلسفات سابقة ،ونحل مختلفة كالبوذية ونسألهم لو كان الأمر كما تدعون : وهو أن الإسلام اقتبس من دياناتكم وفلسفاتكم ،فلماذا تطعنونه في تعاليمه وتوجهون إليها النقد والتذف ليل نهار؟ ألأنها أخذت منكم أم لأنها غير صالحة ؟ إن مصادر الإسلام الأساسية موجودة ،والكتاب المقدس بعهديه موجود كما دونه رجاله بطريقتهم وليضع الرجل المثقف نصب عينيه نصا من السنة الشريفة المصدر الثاني للإسلام) ثم فقرات من الكتاب المقدس ويقرأ كلا منهما بتؤدة ،إنه سيجد بلا شك اختلافا في الأسلوب ،وتراكيب الكلام وملافظه ومضمونه لأن مصدر الإسلام ،نطق به من لاينطق عن الهوى ،ومن أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارا ومن يطلع على التوجيهات البوذية يجدها مجموعة من الوصايا ،ليس فيها أحكام ولاصلة لها من قريب أو بعيد بهدي محمد عليه الصلاة والسلام وهي أقرب ماتكون شبها بوصايا الأناجيل وطلاسم الكهان .

ولقد أراد جولد تسيهر أن يدلل على صحة كلامه فعرض صورة خاطئة للمقارنة اضطرتني أن أعرضها وأبين زيفها وملخص ما ادعاه " أن النبي صلى الله عليه وسلم " ورد في وصية له لأبي ذر أن صلاة الرجل في بيته أفضل من الصلاة في المسجد الحرام والمسجد النبوي ثم قال: قارن إنجيل متى إصحاح ٦ عدد ٦ " ونص إنجيل متى : وأما أنت فمتى صليت فادخل مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبيك الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية[1] [2]

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام : ٣١

(٢) الكتاب المقدس العهد الجديد ص١١ (متى ٦ ـ ٦)

وماذكره هذا المستشرق بالنسبة لوصية الرسول لأبى ذر لاأساس له من الصحة فأفضلية الصلاة فى المسجدين لايمارى فيها مسلم (فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:(صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام) [(١)] وماورد فى الأحاديث الصحيحة هو أفضلية صلاة النافلة فى البيت لاالمكتوبة إلا مااستثنى من تحية المسجد ،أو النوافل التى هى من شعائر الإسلام كالعيدين ، والكسوف ، والتراويح وهى ماتشرع فيها الجماعة " فعن زيد بن ثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال(أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة)" [(٢)] فمن أراد أن يقارن فليأت بالنص الثابت ،علما بأنه لاوجه للمقارنة بين الثابت من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين النص المتى فتعبير متى لايساير واقع الحياة ،فغاتيه إغلاق الكنائس والصلاة خفية ولا أثر له فى حياة المسيحيين ،ومثل هذا لايتوافق مع تعاليم من يقول " وجعلت لى الأرض مسجدا وتربتها طهورا فأيما مؤمن أدركته الصلاة فليصل"

ب ـ وعن تقول جب بتضخم كتلة الحديث فى القرون الأولى للإسلام فيرد عليه بأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا على علم تام بانقطاع الوحى بموته صلى الله عليه وسلم وهذا مايفهمه كل مسلم ، وما تحدث به صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته من الأخبار سمى بالأحاديث الموقوفة ،ولقد

---

(١) البخارى بحاشية السندى وتقريرات من شرحى القسطلانى وشيخ الإسلام جـ١ ص١٤٦

(٢) نيل الأوطار محمد بن على بن محمد الشوكانى جـ٣ ص٧٦ ، ٧٧ (باب إخفاء التطوع وجوازه جماعة) ط ١ المطبعة العثمانية المصرية ١٣٥٧ هـ

وضع العلماء لها الضوابط والمعايير حتى لاتختلط بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ونحن المسلمين ملزمون بالعمل بالحديث الموقوف إذا انتشر ولم يخالف عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ) ويظهر " خبث " مافى نيته فيلصق تهمة التضخم فى الحديث بأهل القرون الأولى وهم الذين خصهم الله تعالى بالميزات ، وأثنى عليهم المصطفى صلى الله عليه وسلم بالخيرات " عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجئ أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينَهُ ويمينُهُ شهادته)[1]

يقول ابن تيمية مبينا فضل الصحابة والتابعين وتابعيهم فأهل القرون الأولى رأوا الرسول بأعينهم ، ونزول القرآن عليه غضا طريا وحفظوا آيات القرآن الذى ينزل نجوما نجوما ، وحافظوا عليه فلم يضع منه حرف واحد ، وحفظوا أحاديث نبيهم عليه الصلاة والسلام فى صدورهم وأثبتوها على ماينبغى من عدم اللحن والغلط والسهو والغفلة ، فلماأن مضوا لسبيلهم طاهرين عقبهم التابعون لهم رضى الله عنهم فجمعوا ماكان من الأحاديث متفرقا ، وبقى أحدهم يرحل فى طلب الحديث الواحد وفى المسألة الواحدة الشهر والشهرين وضبطوا أمر الشريعة أتم الضبط ثم عقبهم التابعون لهم فوجدوا القرآن مجموعا ميسرا ووجدوا الأحاديث قد ضبطت وأحرزت فجمعوا ماكان متفرقا وتفقهوا فى القرآن والأحاديث فبينوا الأصل من فرعه ، فانتظم الحال واستقر من الدين لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بسببهم الخير العميم .(٢)

---

(١) التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح جـ ٢ ص ٢ "كتاب الشهادات"

(٢) منهاج السنة لابن تيمية جـ ١ ص: ١٣ [illegible] للطبعة" [illegible] الطبعة والتاريخ بتصرف

ولما كان القرن الأول الهجرى عهد من شاهدوا رسول الله وكانوا بمأمن من كثرة الكذب والخطأ لم يدونوا من السنة إلا ماندر ، فلما هلت المائة الثانية دون متن الحديث بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وجمعت السنة فى الحجاز والشام ، ومصر ، والعراق ، واليمن ، وألفت فى أنواع علوم الحديث المؤلفات فألفت فى أحوال الإسناد ، فى الرجال ، كتب التاريخ والطبقات والوفيات ومعرفة الوجدان ، ورواية الأكابر عن الأصاغر ، وابتدأ التدوين فى أبواب أثناء المائة الثالثة ، وكل من أتى بعد القرون الأولى من العلماء إنما رتب وبوب ونسق مما دونه أصحاب القرون الأولى فحين يتوجه الطعن من المستشرقين إليهم بأنهم زادوا أو أضافوا إلى الحديث أقول لهم كيف يتأتى هذا منهم ؟ وهم العلماء العاملون الذين جاءوا فى خير القرون وعلموا قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) إنهم فى الواقع وقفوا بالمرصاد لأعداء السنة وذبوا عنها دس اليهود والمسيحيين ، والمنافقين وتحريفات المنحرفين من أهل البدع والأهواء ، ووضعوا القواعد لمعرفة الصحيح من الموضوع ، والموضوع ليس من الحديث فى شئ ، وبذلوا حياتهم بسخاء فى خدمة السنة ، فاجتهدوا نهارهم وسهروا ليلهم للذود عن حياضها ، لتظل صافية محفوظة من كل مايشين

٤ ــ اتهام أبى هريرة بوضع الأحاديث :

وممن تعرض لهجوم المستشرقين من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين "أبوهريرة" رضى الله عنه وقد وصفه "شبرنجر" بأنه "المتطرف فى الاختلاق ووضعا" (١)

(١) دائرة المعارف الإسلامية ــ المجلد الأول "أبو هريرة" ص: ٤١٨ .

ومنهم من عابه لمزاحه ..

- دفع هذا الاتهام :

ويظهر لنا أنهم استغلوا ما جبل عليه أبو هريرة من خفة الظل ، وحسن الدعابة فى الوصول إلى أغراضهم السيئة - فجعلوا ذلك من العوامل المساعدة لاختلاق الأحاديث - وحاشا لله تعالى : أن يكذب هذا النجم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليت الأمر اقتصر على المستشرقين بل سار فى ركابهم صاحب أضواء على السنة المحمدية "[1] فاتهمه بكثرة الرواية ، وقلة الصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم - زاعما أنه لم يصاحب النبى " صلى الله عليه وسلم " إلا نحو ثلاث سنين وأن كثرة روايته أفزعت عمر بن الخطاب . والواضح أن مثل هذه الشبه قد سبقهم إليها النظام حيث قال عن أبى هريرة " أكذبه عمر ، وعثمان ، وعلى ، وعائشة رضوان الله عليهم "[2] ولم يكن من هؤلاء تكذيب لأبى هريرة بل كان حرصهم الشديد على حديث رسول الله يدفعهم أن يأمروا الرواة بالحيطة والتقليل من رواية الحديث خوفا من التحريف أو الزيادة أو النقصان . ولذا لما أخبرهم أبو هريرة رضى الله عنه بما يدل أنه محتاط فى حديثه حذر أن يتقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم يقل - وأن كثرة أحاديثه ترجع لاستمرار ملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث لم يشغله عنه ما شغل غيره من الصحابة الذين عملوا فى التجارة والزراعة ، فعرف مالم يعرفوا وحفظ مالم يحفظوا - أمسكوا عنه "[3] ويقول الدكتور/ محمد السيد ندا ولو كان فيما رواه شىء لايعرفه

---

(١) محمود أبو رية - ص ١٦٢ ، ١٦٣ ط ١ مطبعة دار التأليف بمصر ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨م . باختصار

(٢) تأويل مختلف الحديث للإمام أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة تصحيح محمد زهرى النجار ص: ٢٢ طبع دار الجيل ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م . ببيروت

(٣) المرجع السابق ص/ ٤٠ بتصرف

باقى الصحابة لانكروه عليه وما قبلوه منه كما صنعوا مع غيره (١) وتظهر عنايته بالحديث بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم له عن أبى هريرة أنه قال : قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه) (٢) وقد رزقه الله قوة ذاكرة ، استوعب بها حفظ الكثير من الأحاديث وأثبت الإمام الذهبى أن من المكثرين لرواية الحديث من الصحابة رضى الله عنهم أبا هريرة وأثبت أن ما رواه خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثا وبهذا الايجاز نؤكد أن هذه اتهامات بلا بينة ، وندع ماتقولوا به من تخرصات تمس شخص أبى هريرة من كونه أكولا ، ومن أخذه رشوة لأن مدرسة النبوة بعيدة كل البعد عن أن تخرج أناسا فيهم هذه الصفات .

٥ – تعرض المستشرق " جولد تسيهر " للإمام الزهرى " رضى الله عنه والرد عليه :

فالإمام الزهرى بمكانته العظيمة ، وعلمه الغزير ، لم يسلم من هجوم المستشرقين والمتفحص لشبهات القوم فى هذه الناحية يتضح له أبعاد الخطة المرسومة لتشويه السنة ، فحيث الطعن فى الصحابى الجليل أبى هريرة رضى الله عنه أكثر الصحابة رواية للحديث ، يتوجه الطعن إلى التابعى الجليل الإمام الزهرى الذى له الفضل الأكبر فى تدوين السنة فى عصره حين جاء أمر عمر بن عبد العزيز بتدوينها ويعز على جولد تسيهر أن يرى حلقات السنة متصلة بسلسلتها الذهبية

---

(١) تيسير علوم الحديث والرد على أعداء السنة ص ٢٥ ط دار الطباعة المحمدية بالأزهر ١٣٩١هـ = ١٩٧٢م

(٢) صحيح البخارى " كتاب الشعب " ج ١ ص ٣٥ ، ٣٦ " كتاب العلم – باب الحرص على الحديث

التى تزيدها جلاء ،فيعم نورها الكون باتساع على مر الدهور وتقادم العصور فيلمز فى غير خجل " أن صلة الزهرى بالأمويين هى التى مكنت لهم أن يستغلوه فى وضع الأحاديث الموافقة لأهوائهم ويجرته بمخالطة السلطان فيقول : " ولم يكن الزهرى من أولئك الذين لا يمكن الاتفاق معهم ولكنه كان ممن يرى العمل مع الحكومة فلم يكن يتجنب الذهاب إلى القصر ،بل كان يتحرك كثيرا فى حاشية السلطان "

الـــرد : إن فى مخالطة أولئك الذين لا يخشون فى الحق لومة لائم للسلاطين نفع للأمة ففى مقدورهم أمر هؤلاء بالمعروف ونهيهم عن المنكر وأمثال الإمام الزهرى من الذين يحبون لله ويبغضون لله لا يمكّون أى حاكم مهما كان جبروته أن يستغلهم على حساب الدين كما أنهم لا يسكتون على باطل فمجالستهم للأمراء نصح لهم وإرشاد ونهى لهم عن الظلم والفساد ، وفى هذا نفع للعباد والبلاد وقد حدث أن جالس الكثير من أهل العلم العاملين السلاطين يقول صاحب الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم : فى شأن الإمام الزهرى فأما مخالطة السلاطين فقد كانت منه ومن غير واحد ممن أجمع أهل العلم على عدالتهم وفضلهم ونبلهم مثل الإمام على بن موسى الرضا والقاضى أبى يوسف رحمهما الله تعالى ومن لا يأتى عليه العد وأما الإعانة على المظالم فدعوى على الزهرى غير صحيحة[1] وهب أن العلماء امتنعوا عن مخالطة السلطان وحاشيته فهل يستفيد المسلمون من هذا شيئا ؟ وقد قال لقمان الحكيم لولده ضمن وصيته له " ان القلب يحيا بنور العلماء كما تحيا الأرض الميتة بمطر السماء ."

---

(١) الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم للإمام أبى عبد الله محمد بن إبراهيم الوزير اليمانى المتوفى ٨٤٠ هـ جـ ٢ ص: ٤٨ بدون عدد للطبعة إدارة الطباعة المنيرية بمصر بدون تاريخ

٦ـ ادعاء أن المحدثين لم يعتنوا بالنقد الداخلي :

ومن مزاعم المستشرق " شاخت " حول السنة ما ادعاه زورا وبهتانا بأن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجي ، أي من ناحية الرواه ، ولم يعتنوا بالنقد الداخلي وهو نقد المتن .

٧ـ دفع هذا الادعاء :

بذل علماء الحديث جهدهم لحماية السنة من كل دخيل وصيانتها من كل شائبة ، واتجهوا بنقدهم للمتن كما حدث مع السند ، وفهمنا فهمهم أن العلة التي تقدح في المتن وقد لاتقدح وذكروا علامات الوضع في المتن منها ركاكة اللفظ ، وفساد المعنى ، ومخالفة صريح القرآن ، ومخالفة الحقائق التاريخية المعروفة ، وموافقة الخبر لمذهب الراوي المغال في تعصبه ويمكن لرجل الحديث بالمران بل بالحاسة أن يتعرف على الحديث قال الربيع بن خُثَيم : " إن للحديث ضوءً كضوء النهار تعرفه ، وظلمة كظلمة الليل تنكره " (١) وما ذكرته قليل من كثير لأولئك الغر الميامين ، فمن أراد أن يرتشف من علمهم ، ويقطف من ثمار جهدهم فليعمل بنصيحة صاحب الروض الباسم " ومن أحب أن يعرف حق المحدثين واجتهادهم في التحري للمسلمين فليطالع تآليف نقادهم في الرجال والعلل والأحكام مثل ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي والتهذيب للمزي والعلل للدارقطني وعلوم الحديث لابن الصلاح وزين الدين العراقي وغير ذلك ثم

---

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النووي لخاتمة الحفاظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ) تحقيق الدكتور / عبد الوهاب عبد اللطيف ص: ٢٧٥ ط ٢ مطبعة السعادة بمصر ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م .

ليطالع بعد ذلك كتب الصحاح والسنن لاحظا لما فيها من اختيار أصح الأسانيد والإشارة إلى مهمات مايتعلق بالأحاديث من العلل القادحة والمرجحات الواضحة (١) فمن يقرأ الكتب المذكورة ويرجع إليها عند الحاجة والضرورة ولايقع في الخطأ الذى رسمة الإستشراق ولاينطلى عليه خداعهم ويؤسفنى أن ينخدع عالم كبير (٥) فيتخذ كلام المستشرقين حجة فينحنى باللائمة على المحدثين متهما إياهم بالتقصير في نقد المتن فيقول : وفى الحق أن المحدثين عنوا عناية بالنقد الخارجي ولم يعنوا هذه العناية بالنقد الداخلى " وتعرض لمجموعة من الأحاديث اتهم أصحاب الحديث بالإهمال فى نقدها ، بينما يرى أنها غير صحيحة وسأذكر أمثلة منها مثال ذلك مارواه الترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الكمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وهى شفاء من السم) والكمأة : نبات لاورق لها ولاساق ينبت فى الأرض بدون أن يزرع فهى من المن الذى امتن الله به على عباده بغير مشقة منهم وقد جرب أبو هريرة ماء الكمأة فى عين جارية له فبرأت ، واعترف المسيحى وابن سينا بأنه يجلو البصر ، وإذا لم يكف الأستاذ / أحمد أمين تجربة هؤلاء واعترافهم فى الإجابة على تساؤله الذى يقول فيه فهل اتجهوا فى نقد الحديث إلى امتحان الكمأة وهل فيها مادة تشفى العين ، أو العجوة وهل فيها ترياق ؟ فليجربها بنفسه وإذا لم يجد فيها شفاء فليكن مع رأى ابن القيم الذى ملخصه أنها فى بدء أمرها

---

(١) الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم جـ ١ ص ١٢١

(٥) الأستاذ / أحمد أمين

تامة النفع ، وقد تعرض لها الآفات بعد ذلك بأمور أخرى من مجاورة وامتزاج إلى آخره .[(١)] وهذا خير له من تكذيب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم واتهام أصحابه وأتباعه المخلصين والوقوع في شراك المستشرقين ولكنه آثر أن يسلم لرأى العلماء المحققين فأصر على وضع الحديث في بوتقة المعامل وأمام التجارب الحسية وللنظرة السطحية ففشل في تجاربه وبقيت الأحاديث تفيد المستفيد وتخطئ صاحب فجر الإسلام في قوله : " ترى البخارى نفسه على جليل قدره ودقيق بحثه يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال كحديث " لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة وحديث من أصطبح كل يوم سبع تمرات من عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل[(٢)] " وما درى أن حديث رأس المائة من الغيب الذى أطلع الله تعالى عليه نبيه صلى الله عليه وسلم وأنه مراد به من كان موجودا وحاضرا وقت مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تحقق ذلك فكان آخر الصحابة موتا ممن حضروا المقالة أبو الطفيل عامر بن واثلة مات سنة مائة وعشرة وهى رأس المائة سنة من حديث الرسول " صلى الله عليه وسلم " المذكور على أنه ورد من الروايات ما يفيد هذا الحديث ففى صحيح مسلم (ما من نفس منفوسة اليوم يأتى عليها مائة سنة وهى حية يومئذ)[(٣)] كما ورد أيضا من الروايات الصحيحة ما يقيد حديث العجوة بالزمان والمكان والعدد ففى صحيح البخارى

---

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد محمد " صلى الله عليه وسلم " للإمام ابن قيمه الجوزيه جـ ٣ ص ١٨٢ المطبعة المصرية ومكتباتها بدون تاريخ

(٢) أحمد أمين ص ٢١٨ ط ١٢ دار الشباب للطباعة بالقاهرة ١٩٧٨م .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٦ ص ٩١ كتاب فضائل الصحابة - باب بيانه معنى قوله صلى الله عليه وسلم على رأس مائة سنة لا يبقى نفس منفوسة ممن هو موجود الآن)

قال النبى صلى الله عليه وسلم (من اصطبح كل يوم تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل) وفى رواية لمسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(من أكل سبع تمرات مما بين لا بتيها حين يصبح لم يضره سم حتى يمسى " (١) فالتقييد هنا يرفع الإشكال ، وكان الأجدر بالأستاذ / أحمد أمين أن يأخذ بقواعد الحديث ويرد المطلق الى مقيده بدلا من اتهام الحديث بعدم الصحة أو رواته وعلمائه بالإهمال وماذكرته فى هذه العجالة نموذج للاعداء على السنة وأهلها ومن أراد المزيد مع الرد فليعد إلى " دفع شبهات عن الحديث والمحدثين أثارها صاحب فجر الإسلام وضحاه " (٢) للمرحوم الدكتور/ سيد أحمد رمضان المسير، وإلى "السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى " (٣) - للمرحوم الدكتور / مصطفى السباعى

٨-إشاعة وجود تناقض بين الأحاديث :

ففى دائرة المعارف ماترجمته أن العلماء تخلصوا من المتناقضات التى ظهرت بالطبع فى الحديث أكثر من ظهورها فى القرآن بنفس الوسيلة التى اتبعوهـا فى التخلص من المتناقضات التى وردت فى القرآن (٤) وما كان لعلماء الحديث الشريف أن يفكروا مجرد التفكير فى وجود تناقض بين الأحاديث الصحيحة أو بينها وبين القرآن الكريم وكل مافعلوه هو شرح السنة وتبيينها للناس ، ودفع الايهامات التى أتت من أعداء السنة لتقول إن السنة متعارضة مع القرآن أو متعارضة فيما بينها ولقد ذكر الدكتور / أحمد عمر هاشم أنه رد على أحد الكتاب الشيوعيين

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٤ ص: ٢ " كتاب الأشربه ـ باب فضل تمر المدينة "

(٢) ط ١ دار الطباعة المحمدية بالقاهره ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤م.

(٣) الفصل السابع ص ٢٣٦ ـــ ٣٧٤

(٤) دائرة المعارف الإسلامية مجلد ٢ صـ ٢٧٩ (مادة أصول)

الذى يكتب فى الجرائد اليومية لبعض الدول الإسلامية فيقول " وقد تناولت الرد على ذلك فى مجلة " الدعوة " السعودية ، ورددنا على من أنكر حديث (إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه كله ثم يطرحه فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء) لقد ادّعى بعض المفكرين ، أن الحديث غير صحيح وأنه يتعارض مع الآية الشريفة (وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه) (١)

ورد عليه بأن الحديث صحيح من ناحية المتن والسند وواقعيا نقد قال ابن الجوزى إن النحلة تعسل من أعلاها وتلقى السم من أسفلها .

ولا يوجد تناقض بين الحديث والآية فالآية تقرر أن الذباب حين يسلب ما يصنع الكفار من الحلوى على الأصنام لا تستطيع أصنامهم رد ما سلب منها . ومن قديم حاول أعداء السنة التشكيك فيها فادعوا التناقض فى بعض الأحاديث كحديث لا عدوى " وحديث لا تفضلونى على يونس بن متى " وحديث أنا سيد ولد آدم ولا فخر " ورد عليهم علماء الإسلام ودحضوا دعواهم إلا أنه بين الآونة والأخرى يظهر لنا من يجدد هذه الادعاءات من أمثال المستشرقين ومن يسير فى ركبهم كأبى رية الذى لم يخل كتابه (أضواء على السنة) من طعن حول السنة ورجالها .

---

(١) السنة النبوية فى مواجهة التحدى / الدكتور أحمد عمر هاشم ص ٥٩ (الكتاب الثالث - السنة الثامنة عشرة) سلسلة البحوث الإسلامية ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٠ م .

(الباب الثالث)

الدعوة الإسلامية والمستشرقون

ويشتمل هذا الباب على فصلين :

١ـ الفصل الأول :

أسلوب الدعوة .

٢ ـ الفصل الثاني :

الحرب والسلام في نظر الإسلام .

" الفصل الأول "

أسلوب الدعوة

بعد الحديث عن الشبه التي أثيرت حول حياة النبي صلى الله عليه وسلم والرد عليها ،وكشف الغبار الذى رشه المستشرقون حول النبوة والوحى أردف ذلك بالحديث عن الباب الثالث.

(الدعوة الإسلامية والمستشرقون)

مبتدئا بالفصل الأول : أسلوب الدعوه لما للدعوة الاسلامية من مكانة سامية ولأنها متصلة بالنبوة اتصالا وثيقا ،فهى فيض النبوة وهداية السماء ،ونشرها مسئولية العلماء (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين) (١)

ولقد وضع المستشرقون فى طريق دعوة الإسلام السدود لحجبها عن العالم فعقدت العزم مستعينا بالله على إزالة الحواجز والألغام التى وضعها القوم فى طريق الدعوة الإسلامية ،لتظهر للعالم فى نورها السماوى ، وارشادها الربانى منارة وهداية للناس كافة مسترشدا بالقرآن الكريم حتى لاينخدع الناس بتقول المغرضين بتغير منهجها وتحوله .

---

(١) سورة يوسف الآية ١٠٨

المبحث الأول

أسس الدعوة والرد على ما أثير حولها من شبهات

قامت دعوة الإسلام بهداية الناس وإرشادهم إلى الخير والعدل وإلى الطريق القويم، وحثهم على عبادة الله الواحد الأحد، وتخليصهم من الخضوع لغيره، والدعوة الإسلامية ثابتة المعالم والأصول فى مكة والمدينة وفى كل مكان وزمان، وهى أيضا واضحة الأسس بهذا المفهوم ولقد نزل الوحى فى مبدأ الإسلام مبينا أسس الدعوة الثلاث " الحكمة، والموعظة، والمجادلة بالتى هى أحسن " يقول الله تبارك وتعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين[1]) يقول العلامة الألوسى : (ادع) أى من بعثت إليهم من الأمة قاطبة فحذف المفعول دلالة على التعميم، فالمولى يأمر نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بدعوة الأمم كافة من أول الأمر إلى الإسلام الذى عبر عنه بالصراط المستقيم وأخرى بملة إبراهيم عليه السلام، بالحكمة وهى الحجة القطعية المزيحة للشبه، والموعظة الحسنة وهى الخطابات المقنعة والعبر النافعة والقرآن الكريم فيه الكثير من الحكم والمواعظ، وجادلهم بالتى هى أحسن وهى المناظرة بطريق الرفق واللين[2]، وذكر الامام الغزالى : أن المدعو إلى الله تعالى بالحكمة قوم وبالموعظة قوم وبالمجادلة قوم، فإن الحكمة إن غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير وأن المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشمأزوا منها كما يشمئز طبع الرجل القوى من الارتضاع

على اعتبار أنه القرآن الكريم مشتمل عليها وهى فى الوقت نفسه أساسية

---

(١) سورة النحل الآية ١٢٥

(٢) روح المعانى جـ ١٤ ص ٢٥٤ بتصرف

بلبن الآدمى وأن من استعمل الجدال مع أهل الجدال لابالطريق الأحسن كما تعلم من القرآن كما كان كمن غذى البدوى بخبز البر وهو لم يألف إلا التمر أو البلدى بالتمر وهو لم يألف إلا البر[1]. وهذا التقسيم وإن رسم للداعى إلى الله الطريق السليم عند ظهور سمة خاصة لجماعة ، تميزهم عن غيرهم ، لكنه ليس بلازم أن يستخدم الداعى وسيلة واحدة مع رجل أو قوم بعينهم ، فقد تستدعى الحالة استخدام الوسائل الثلاث مع فرد أو جماعة من الناس ، حسب استعدادهم ، كما أن من الرضع من يتغذى بلحم الطير ولايضره ، ومن الريفيين من يتقبل الارتضاع بلبن الآدمى ، ومن البدو من يستلذون بطعام الحضر وهم لم يتناولوه قبل ذلك ومن هنا تظهر مرونة الدعوة الإسلامية وتلبيتها لكل المتطلبات الفطرية ، وتتضح معالمها عمليا فى تطبيق الرسول صلى الله عليه وسلم لوسائلها كلها مع أهل مكة ويرجع سر نجاح الإسلام وانتشاره فى أرجاء الأرض إلى مرونة دعوته وتمسك دعاة الإسلام بمبادئه ، وسيرهم حسب نهج الرسول صلى الله عليه وسلم وفهمهم لملامح الدعوة ، فقد أدركوا أن مبدأ الحكمة فى الدعوة ليس معناه المسالمة وتفادى الحروب فقط ، وإنما معناه أن تضع الشىء فى مكانه فتسلك بالدعوة أقرب الوسائل لتصل إلى أفئدة الناس ، فإذا أثمرت فيها ونعمت ، أما إذا قامت عثرات تصد وتمنع بالفكر أو بالقوة ، لتحجب الدعوة عن مسارها فالحكمة هنا أن نعمل على ازالة العثرات ، ولو بالموعظة والجدال إن أجدى وإلا فبإعداد العدة للجهاد والتضحية بالنفس والنفيس وهذا مافعله الرسول صلى الله عليه وسلم ومن سار على دربه من اتباعه الكرام وكانت الحكمة والموعظة الحسنة فى اطار قول الحق تبارك وتعالى :

(فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا)[2]

---

(١) القصور العوالى : للإمام أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى تحقيق فضيلة الشيخ / محمد مصطفى أبو العلا جـ ١ ص ١١ ، ١٢ " كتاب القسطاس المستقيم ط ٢ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م.

(٢) سورة الفرقان الآية ٥٢

وكان الجدال بالحسنى إلا مع الظالمين يقول الله تعالى : (ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) (١) فعلينا أن نجادل أهل الكتاب بالتى هى أحسن فنقابل خشونتهم باللين وغضبهم بالكظم ، وسيئتهم بالحسنة ، إلا إذا أفرطوا فى الاعتداء والعناد وجاوزوا الحد ، ولم يقبلوا النصح ورفضوه ، ولم ينفع فيهم الرفق ردوه فنستعمل معهم الغلظة والشدة لتلين عريكتهم وتزول شكيمتهم ، (٢) وهذا منهج الدعوة الإسلامية أحين نطبقه يحق لإعداء الإسلام أن يقولوا إن منهج الدعوة تغير وأسلوبها قد تحول من السلم إلى الحرب ومن الاقناع بالحكمة إلى الاجبار بالقوة

١ ـ زعم جولد تسيهر حول الدعوة والرد عليه :

وهذا مازعمه جولد تسيهر وعبر عنه بقوله : إنه من الواضح أننا لانستطيع أن نطبق فى العصر المدنى على عمل محمد المثل القائل " الكلمة أقوى من السيف" فمنذ ترك مكة تغير الزمن ولم يصر واجبا بعد " الإعراض عن المشركين " " سورة الحجر الآية ٩٤ " أو دعوتهم كما يقول القرآن بالحكمة والموعظة الحسنة " سورة النحل الآية ١٢٥ " بل حان الوقت لتتخذ كلمته لهجة أخرى : " فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد " سورة التوبة الآية ٥ " (٣)

ونرد على هذا الزعم :

بأن خط الدعوة واضح ، ومنهجها ثابت ، ووسائلها المعلنة بمكة ، مطبقة

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٦ (٢) روح المعانى جـ ٢١ ص ٢

(٣) العقيدة والشريعة فى الاسلام ص ٣٤

فى مختلف العصور فى دولة الإسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وما نزل من القرآن بمكة أو بالمدينة يوضح هذا المفهوم ، ويكشف كذب هذا الرجل وأمثاله فمن الآيات المكية التى تحض على دعوة الناس إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى ما ذكرته سابقا مما نزل فى خواتيم سورة النحل ومنها أيضا قول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولاتتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ﴾ (١)

ومن الآيات المدنية التى نزلت بهذا النهج : ما أخبرنا به المولى عز وجل (فإن حآجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين ءأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) (٢) وقوله تعالى : ﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ، وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ (٣) وقوله تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) ولقد نزلت هذه الآيات المدنية على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله الجمع الحاشد من أصحابه وأتباعه ومعه القوة المرهوبة من أعدائه ، فما رأى جولد تسيهر ومن يسير على شاكلته بعد سماع هذه الآيات وغيرها من الآيات التى وصل الأمر فيها إلى العفو والصفح عن أهل الكتاب ، وتركهم على دينهم بعد دعوتهم

---

(١) سورة الشورى الآيات ١٥ ، ١٦

(٢) سورة آل عمران الآية ٢٠

(٣) سورة النور الآية ٥٤

إلى دين الله ،والإيمان برسوله " صلى الله عليه وسلم " حتى يأتى أمر الله سواء كان المراد بأمره تعالى : القتال أو قيام الساعة ،وماذا يقول فيما نزل من القرآن بالمدينة يحض على العفو ،ففى المدينة نزل : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره إن الله على كل شئ قدير ﴾ (١)

فهذه الآية وما سبقها مما ذكرته توضح أن أسلوب القرآن فى الدعوة كما هو فى مكة فى المدينة ،وأن آيات مدنية حضت على الصفح عن الكافرين إذا كفوا أذاهم عن المؤمنين ، وكانت هذه التعاليم واقعا عمليا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى حياته كلها فأين التغير والتحول فى أسس الدعوة وأساليبها ؟ وأين التغير فى سلوك الداعية ؟ وهل يكون منهجى متقلب ،وطريقتى متغيرة إذا منعت عدوى من إيذائى وأخذ أموالى ،وسلب حقوقى بكل ما أوتيت من قوة ؟ هل من الصفح مثلا ترك عدوى يسلب أرضى ، بدعوى إيثار السلم أو أن القرآن يحث عليه ؟

إن من آيات القرآن الكريم من حرمت الظلم ،ومقتت الاستكانة ومدحت المؤمنين المنتقمين من عدوهم ﴿ والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ﴾ (٢) إن ما يرضى جولد تسيهر وإخوانه أن نسمح لهم بسلب حقوقنا ،والاستيلاء على أرضنا وانتقاصنا من أطرافنا ،ويكفينا منهم بعد كل ذلك الإشادة بمسالمتنا وغفوننا وسماح ديننا ،وهيهات هيهات ،أن نرضى بهذا الهوان وديننا الإسلام ومنهجنا القرآن ،وجهادنا طاعة الرحمن (وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) (٣)

---

(١) سورة البقرة الآيه ١٠٩ (٢) سورة الشورى الآية ٢٩

(٣) سورة الحج الآية ٧٨

٢ـ رد مايزعمه المستشرقون حول موقف النبي من أهل الكتاب :

ينبغي للباحث في القرآن الكريم أن يلم بجزئيات الموضوع المراد الحديث عنه باستجماع كل الآيات التي تشير إليه من قريب أو بعيد ثم بعد الدراسة المتأنية يعطي الحكم من ضوء ما اهتدى إليه من واقع ماعايشه في هدى القرآن الكريم .

وموضوع موقف القرآن الكريم من أهل الكتاب أحرى بهذا البحث الشمولي والدرس بعمق ، ولكن أعداء الإسلام يفتقدون هذه النظرة الشمولية فيلبسون الحق بالباطل ، ليوهموا الناس أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن شعر بالقوة في المدينة هاجم أهل الكتاب بسيل لاينقطع من الآيات ، وقد كان يتودد إليهم في البداية . وهدفهم من هذا أمرين :

١ـ إثبات أن القرآن الكريم ليس وحيا ربانيا وإنما تحدث به محمد صلى الله عليه وسلم من ذات نفسه ولقد رددت على هذا الافتراء في الباب الثاني (١) من هذه الرسالة .

٢ـ تغير أحكام القرآن ومواقفه بالنسبة لأهل الكتاب والواقع الذي لايعتريه شك أن القرآن الكريم لم يتغير في نظرته إلى حقيقة ماعليه أهل الكتاب من الانحراف عن الدين الحق وفي الوقت نفسه لم يغمط الموحدين من أهل الكتاب حقهم ، بل نعتهم بآيات بينات نزل بعضها في مكة وبعضها في المدينة ، فمن الآيات المكية قول الله تعالى : (وكذلك أنزلنا إليك الكتاب ، فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون) (٢) وقوله تعالى : (قل آمنوا به أولاتؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) (٣)

---

(١) النبوة والمستشرقون

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٧

(٣) سورة الاسراء الآيات ١٠٧ ـ ١٠٩

ومن الآيات المدنية قول الله تعالى : (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب)(١) وقوله تعالى : (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين)(٢) وقوله تعالى : (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين)(٣) وهؤلاء من أهل الكتاب بالرغم من قلتهم مدحهم القرآن لحسن نيتهم وسرعة استجابتهم للدين الحق بعد علمهم به فى مكة أم فى المدينة ، ولم يترك القرآن الكريم موقف الغالبية المنحرفة من أهل الكتاب بل سجله بحق وصدق مقررا حقيقة ما هم عليه ، وتم ذلك التسجيل فى العهدين :

ففى العهد المكى نزل قوله تعالى : (وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب)(٤) فأمم الأنبياء السابقين اختلفوا بغيا بينهم وهم يعلمون أن الفرقة ضلال ، ولولا وعد الله بتأجيل عقوبتهم إلى يوم القيامة لحكم بينهم فى الحال وأخذ الظالم أخذ عزيز مقتدر ، ولقد سار على درب هؤلاء أهل الكتاب فهم فى شك من كتابهم مريب يقول الألوسى : والجملة اعتراض يؤكد أن تفرقهم ذلك باق فى أعقابهم منضما إليه الشك فى كتابهم مع انتسابهم إليه فهم تفرقوا

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٩٩ (٢) سورة المائدة الآيتان ٨٢ ، ٨٣

(٣) سورة آل عمران الآيتان ١١٣ ، ١١٤

(٤) سورة الشورى الآية ١٤

بعد العلم الحاصل لهم من النبي المبعوث إليهم المصدق لكتابهم وتفرقوا قبلــه شكا فى كتابهم فلم يؤمنوا به ولم يصدقوا حقه[(١)] وفى مكة نزل قوله تعالى :

(ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون • إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيـم فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم)[(٢)]

ومن الآيات المبينة لانحراف أهل الكتاب وزيفهم والناطقة بالقول الفصل فــى شأنهم قوله تعالى : (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن اللـه ذلك قولهم بأفواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون • اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)[(٣)] وقوله تعالى : (لقد كفــرو الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا اللـه ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين مــن أنصار • لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لــم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم)[(٤)] ونزل فى شأنهم بالمدينة (قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ماتعملون.

قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجــا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون)[(٥)] وفى هاتين الآيتين الكريمتين المدنيتين يخاطب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ليتجه إلى أهل الكتاب بالتهديـد والوعيد على موقفهم الشائن من الحق الواضح وكفرهم بآيات الله ، واللــــه

---

(١) روح المعانى جـ ٢٥ ص ٢٣ (٢) سورة الزخرف الآيات ٦٣ ــ ٦٥

(٣) سورة التوبة الآيتان ٣٠ ، ٣١ (٤) سورة المائدة الآية ٧٣

(٥) ســورة آل عمــران الآيتان ٩٨ ، ٩٩

مطلع على أعمالهم وسيجازيهم عليها ، وليقول لهم لم تصدون عن سبيل الله من آمن فتمنعونه بالقوة وتحاولون منع وصول الدعوة إلى الناس تبغونها عوجا لا استقامة لها وعن السدى كانوا إذا سألهم أحد هل تجدون محمدا فى كتبكم قالوا : لا فيصدونه عن الإيمان به وهذا ذم لهم بالاضلال أثر ذمهم بالضلال (١) وقوله تعالى : (وأنتم شهداء) معناه : كيف تفعلون هذا وأنتم علماء عارفون بتقدم البشارة به صلى الله عليه وسلم مطلعون على صحة نبوته أو أنتم عدول عند أهل ملتكم يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم فى القضايا وصفتكم هذه تقتضى خلاف ما أنتم عليه (٢) وكل هذا يوضح نظرة الإسلام إلى أهل الكتاب وهى ثابتة وصادقة ولقد أعطت لكل ذى حق حقه يقول صاحب الظلال : إنه لم يتغير شىء فى نظرة هذا الدين الى حقيقة ماعليه أهل الكتاب من فساد فى العقيدة ومن الشرك بالله والكفر بآياته إنما الذى تغير هو قاعدة التعامل (٣) . والتعامل معهم يكون على حسب ما حدده القرآن الكريم وسنة خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وما استمد من ضوئهما والتغير فى التعامل مع أهل الكتاب المراد به الانتقال من حال إلى حال أخرى — فى معاملتنا معهم طبقا لمواقفهم وأوضاعهم ، وليس المقصود به الاتيان بحكم لم يكن موجودا قبل أو لم يكن له أصل فى منهج الإسلام .

ولفنسون (٥) وكتابه :

أعد إسرائيل ولفنسون فى عام ١٩٢٧م رسالة دكتوراه تحت إشراف الدكتور / طه حسين وموضوعها " تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام " وجاء فى تقديم المشرف للرسالة " والموضوع فى نفسه قيم جليل الخطر بعيد الأثر جدا فى التاريخ الأدبى والسياسى والدينى للأمة العربية فليس من شك فى أن هذه

---

(١) روح المعانى جـ ٤ ص ١٥ (٢) المرجع السابق جـ ٤ ص ١٥ ، ١٦

(٣) فى ظلال القرآن الشيخ / سيد قطب جـ ١٠ ص ١٦٢٥ (المجلد الثالث) ط ٨ طبع دار الشروق بالقاهرة ، وبيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م . (٥) إسرائيل ولفنسون الملقب بأبى ذويب ، مدرس اللغات السامية بدار العلوم ، ثم بالجامعة المصرية ومن آثاره تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام بالعربية ، وقد قدم له الدكتور / طه حسين وتاريخ اللغات السامية بالعربية " المستشرقون " للعقيقى جـ١ ص ٧٦٢ بتصرف

المستعمرات اليهودية قد أثرت تأثيرا قويا في الحياة العقلية والأدبية للجاهليين من أهل الحجاز ، وليس من شك في أن الخصومة كانت عنيفة أشد العنف بين الإسلام ويهودية هؤلاء اليهود ، في أنها قد استحالت من المناجاة والمجادلة إلى حرب السيف انتهت بإجلاء اليهود عن البلاد العربية " وقد رد الدكتور / فؤاد حسنين علي - في مقدمة ترجمته لكتاب فضل العرب على أوربا - على الدكتور / طه حسين ناقدا إياه في إشرافه على هذه الرسالة وكان من بين ملاحظاته مانلخصه :

١- أن هذا البحث حلقة من حلقات كتب الدعاية الصهيونية ، التي نريد نشرها وقصد ولفنسون : اطلاع اليهود في الشرق وقراء العربية على المصادر الأجنبية التي يجهلها القارئ العام .

٢- أن الطالب استشهد بمراجع عبرية والدكتور المشرف لم يعرف العبرية ولم يكلف غيره ممن يجيدونها من مراجعة النصوص ومطابقتها للأصل للتأكد من صدق الطالب فيما كتب . ومن جانبي أكتفي بالملاحظة الثانية فهي كفيلة برفض الرسالة وسقوطها في الميزان ، لأن البحث خلا من الأمانة العلمية ، ومن الإشراف الدقيق وربما توهم البعض أن الطالب خدع المشرف باستشهاده بمراجع عبرية يجهلها المشرف مما جعله يظفر برسالته بهذه الأخطاء والمغالطات ، وهذا أمر مستبعد ، فالرسالة فيها من المغالطات - والتي سنشير إلى بعضها في ثنايا البحث - مايدركها طالب بجامعة الازهر - في كلية أصول الدين - أو كلية الدعوة الإسلامية أو كلية الشريعة ، أو كلية اللغة العربية فكيف يغفل عميد الأدب العربي عنها ، ويخدع وهو المعايش للطالب في بحثه ؟

إنه الإصرار على إنكار فضل المسلمين والمضي في تأييد الخطوات الاستشراقية

ودعـــم افتراءات المستشرقين ٠

وما مثل الدكتور طه حسين بغافل عن هذه الحقيقة ، وهى أن بيزنطة كانت الوريثـة الشرعية للثقافة اليونانية ولكنها ظلت حتى اليوم عاقرا ، والحقيقة التى لا يمتريهـــا الشك أن العقلية اليهودية أثرت فكريا وعلميا بفضل العرب وليس لها أى تأثـــير فى الحياة العقلية والأدبية للجاهليين من أهل الحجاز كما ادعى الدكتور طه حسين يقول الدكتور / فؤاد حسنين على فى مقدمة ترجمته لكتاب : فضل العرب على أوربا " فالعرب لا اليونان أو اليهود هم الذين بعثوا العالم من حالة الجمود إلى حياة أفضل مكنته من التحكم فى مصائر الكون فأطلق العربى الأفكار من عقالها وحررهـــا من جمود رجال المعبد اليهودى والكنيسة المسيحية فظهرت طائفة من القرائين (٥) حيث أنكر أولئك التلمود وتعاليمه كما انكمش سلطان الكنيسة وتوارت وراء البخـــور وقد مهد هذا التطور بدوره إلى ظهور حركة الإصلاح الدينى وبعث النهضة العلمية (١) فالتأثير العربى المنبعث من نور الإسلام أنقذ العالم من وهدته وحرر الإنسان فكريا وماديا ، وأزاح ضباب الكهانة ، ومدى فضله على اليهودية وخلاياها ٠ وهـــــذا لا يجهله باحث ، غير أن طه حسين تجاهله — وزيادة على ماتقدم وصف الطالب الباحث

---

(٥) فرقة القرائين أو العنانيين : واسم القرائين نسبة الى (" مقرا " بمعنى الكتاب أو المكتوب وهى كلمة تطلق عند اليهود على أسفار العهد القديم و (العنانيين) نسبة إلى عنان بن داود الذى أنشأ الفرقة فى أواخر القرن الثامن بعد الميلاد أى بعد نشأة الديانة اليهودية بنحو عشرين عاما قرنا ويقوم مذهبها على التمسك بما جـــاء فى العهد القديم فقط فلا تعترف بأحكام التلمود وتعاليم الربانيين والحاخامات ٠

الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام الدكتور / على عبد الواحد وافى ص ٦١ بدون عدد للطبعة — مطبعة دار العالم العربى بالقاهرة — بدون تاريخ ٠ (اسم الراسخ شترف)

(١) الدكتوره / سيجريد هونكه — المقدمه الصفحة (ص ط) بدون عدد للطبعـــة مطبعة الرسالة بالقاهرة ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م ٠

بالتثبت والبزوغ ، وانتخر بأنه أرشد الطالب لكتابة هذا التاريخ لما رأى فيه من رجاحة العقل ومن الميل لهذه الناحية ، وبذا توالت التكريمات على صاحب البحث الدارس بالجامعة المصرية القديمة وتلميذ طه حسين ، فصار أستاذا بدار العلوم ثم بالجامعة المصرية ، وذلك اشترى الأمة الإسلامية وخاصة شبابها المسلم بالأفكار الصهيونية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وبعد هذا العرض الموجز نعود إلى كشف النقاب عن عصابات المستشرقين من أبناء صهيون . فإذا كان جولدتسيهر اليهودى أراد أن يدلل على عدم ثبات خط الدعوة الإسلامية – مدعيا بأنه قد تغيرت وسائل الدعوة فى المدينة عنها فى مكة ثم رددنا عليه فى الجزئية التى أثار زعمه فيها ، فإن إسرائيل ولفنسون اليهودى الإسم والصهيونى الملة أراد أن يؤكد هذا ويزيد عليه مايوحى أن القرآن من تأليف النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

مجموعة من مغالطات ولفنسون

أولا : مغالطته فى طعام أهل الكتاب والرد عليه :

يقول ولفنسون : إن الرسول قد أراد أن يؤلف بين القلوب فأحل للمسلمين أكل ما أحل لليهود أكله وأحل لهم التزوج من بناتهم[1] « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا اتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخوان »[1]

---

(١) تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ص١٢٢

(٢) سورة المائدة من الآية ٥

الرد على هذه المغالطـــة :

القرآن وحى الله تعالى أحل لنا طعام أهل الكتاب [٥] ، وأحـــل لهم طعامنا وليس هذا الحل لليهود وحدهم . وفرق كبير بين أن يحل اللــه تعالى لنا طعام أهل الكتاب وأن يحل طعامنا لهم ، وبين أن يحل لنا أكــل ما أحل لليهود أكله فالله تبارك وتعالى حرم على اليهود أشياء هى حلال لنـــا . (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهـــا إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو مااختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنــــا لصادقون) [١] فهذه محرمات على اليهود خاصة نتيجة لظلمهم واعتدائهم علـــى خلق الله (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهـــم عن سبيل الله كثيرا . وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطـــل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) [٢] وهذه المحرمات على اليهود خاصة أحلهـــا الله تعالى للمسلمين ، والقرآن الكريم حرم لحم الخنزير فيما حرم على المسلمين ولكن النصارى أحلوه لانفسهم ، فالله عز وجل أحل لنا الطيبات من طعام أهـــل الكتاب

---

(٥) قال الله جل ثناؤه (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) قال الشافعـــى رحمه الله وكان طعامهم عند بعض من حفظنا عنه من أهل التفسير ذبائحهـــم وكانت الاثار تدل على إحلال ذبائحهم " السنن الكبرى ـ للإمام الحافظ أبى بكـــر أحمد بن الحسين ابن على البيهقى المتوفى "٤٥٨هـ" ج ٩ ص ٢٨٢ ط ١ مطبعـــة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند ١٣٥٦هـ

(١) ســـورة الانعام الآية ١٤٦

(٢) ســـورة النساء الآيات ١٦٠ ـ ١٦٢

يهودا أو نصارى . وأحل لنا من ذبيحتهم أكل ماهو مشروع لنا حل أكله ، وأحل لأهل الكتاب طعامنا وذبيحتنا إلا ماذكرته آية المحرمات السابقة بالنسبة لليهود . أما زواج الكتابية فهو تشريع باق وبقاؤه لليوم بدون تبديل أو تغيير يبرهن على أن القرآن من عند الله تعالى وأنه باق إلى قيام الساعة ، يعمل المسلمون بأحكامه بلا تغيير أو تبديل .

ثانيا : مغالطته في صيام يوم عاشوراء والرد عليه :

وهذا نص تعبيره : " كذلك أمر (أى الرسول صلى الله عليه وسلم) المسلمين أن يصوموا بعض أيام كان اليهود يصومونها "(١)

ونرد عليه :

بأنه لما لم يذكر الأيام ، فنعتقد أنه يقصد صيام يوم عاشوراء ، فلقد صامه النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه ، ثم صار بعد فرض صوم رمضان سنة في شريعة الإسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ . والمصطفى صلى الله عليه وسلم شفوق بكل الناس حريص على هدايتهم بالدرجة التي تشق على الإنسان العادي ، ولقد خاطبه ربه بقوله تعالى : (لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين)(٢) وقوله تعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم) (طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . إلا تذكرة لمن يخشى)(٣) وليس معنى هذا أن يأتي بتشريع من ذات نفسه ليجذب به أعداء الله الى طاعة رب العالمين أو ليصانعهم ليكسب ودهم ، وما الداعي لمداهنة اليهود ؟ ألقوتهم وكثرتهم ؟

---

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ص ١٢٢

(٢) سورة الشعراء الآية ٣

(٣) سورة طه الآيات ١ ـ ٣

إن كان الأمر كما يوهم ولفنسون ، فقد جابه النبى صلى الله عليه وسلم مكة بخيلها ورجلها ، وكل ثقلها وعو فرد مع قلة مؤنة ، فما هان ولا استكان وإنما ظل معتمدا على الرحمن ، فهل قوة المستعمرات اليهودية بالمدينة حينذاك كانت تعادل قوة مشركى مكة فى مبدأ الدعوة ؟ بالتأكيد لم تكن قريبة منها فما رأى ولفنسون فقد انتصر الرسول مع صحابته وطردوا اليهود من المدينة ولم تبق لهم شكيمة أظل الرسول صلى الله عليه وسلم يصوم عاشوراء وتبعه المسلمون فى أرجاء الأرض أم تركوا صومه لأنهم انتصروا على اليهود ولم تقم لهم قائمة ؟ لقد ظل صوم عاشوراء إلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثالثا : دعوى استمالة اليهود والرد عليها :

وإذا كان ولفنسون يدعى أن القرآن عمل على استمالة اليهود فى مبدأ الهجرة كما فهم مما سبق وما يفهم مما يأتى بعد . فإن ديمومبين كان أجرأ منه حيث جاء تعبيره : أما اليهود فقد جاهد الرسول أن يجذبهم إلى جانبه مستعينا فى ذلك بالوحى القرآنى الموائم لما فى ضمائرهم لكن جهوده ذهبت سدى (١) .

الرد عليها :

لقد دعى القرآن الكريم القوم إلى الله تعالى ولكنهم فى الغالب كعادتهم ظلوا فى طغيانهم يعمهون ، وفى صلفهم يجادلون ، وحين كشف الله تعالى أمرهم ، وأعلن القرآن جرمهم ، وبين طبيعتهم جاء من أجيالهم ومن يدين بدينهم من يقول لقد حاول محمد " صلى الله عليه وسلم " جذب اليهود بالقرآن ولما استعصوا عليه بدأ يهاجمهم ، ونسأل هل القرآن الكريم فى دعوته لأهل الكتاب عموما ،

---

(١) النظم الإسلامية ص ٢١

أو اليهود خاصة ،أحل لهم سفك الدماء ،وقتل الأنبياء وما انغمسوا فيه من الكفر ،والفسوق ؟ ،إن القرآن الكريم موجود ومسجل فيه كلمات الله تعالى من أول آية فى النزول إلى نهاية آخر آية فى نزوله ومافيه آية مدحت أعمالهم الشائنة أو أقرت باطلهم وضلالهم ،وإنما فيه كشف مخازيهم وفسادهم لعلهم ينزجروا أو يتعظ أجيالهم من بعدهم ولقد نزل القرآن الكريم منجما على حسب الوقائع والحوادث فى مختلف الأيام على مدى ثلاث وعشرين سنة ،وكان من حكمة نزوله منجما مابينه الله سبحانه وتعالى : (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) (١)

ولقد طلب مشركوا مكة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم من المعجزات الحسية ماسجله القرآن الكريم فى أسلوب رائع (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا) (٢) فهذه مطالب المشركين من بينها إنزال كتاب عليهم من السماء يقرؤه ،وهو نفس ماطلبه علماء اليهود كما ذكر ابن اسحاق فقالوا : يامحمد ،فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه مايشاء ويقدره منه على ما أراد ، فأنزل علينا كتابا من السماء نقرؤه ونعرفه ،وإلا جئناك بمثل ما تأتى به فأنزل الله تعالى فيهم وفيما قالوا : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا) (٣)

---

(١) سورة الفرقان الآيتان ٢١ ــ ٢٢

(٢) سورة الإسراء الآيات ٩٠ ــ ٩٣ (٣) السيره النبويه لابن هشام ج١ص١٥٧

ولقد قرر ولفنسون أن نزاع اليهود لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بالمناقشة المتعنتة، وطلب المعجزات، ثم بالمخاصمة الكلامية ثم العداوة الفعلية (١) وهذا أسلوب اليهود في حياتهم وكل ماقصده القرآن الكريم تصحيح انحرافاتهم التي ظهرت في أمور كثيرة، نكتفي بذكر بعضها خشية الإطالة .

١ــ الانحراف في العقيدة وقد وضح فيما سبق ولقد خاطب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بما ينقذهم من هذا الظلم العظيم (قل يآ أهل الكتاب تعالوْا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) (٢)

٢ــ تحريفهم لكلام الله عز وجل : يقول الله عز وجل : (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون) (٣) فطائفة من الأحبار قاموا بهذا الدور لاعن جهل بحقيقة مواضعه وإنما عن علم وتعمد . يقول الألوسي : والجمهور على أن تحريفها بتبديل كلام من تلقائهم كما فعلوا ذلك في نعته صلى الله عليه وسلم ــ فانه روى أن من صفاته فيها أنه أبيض ربعه فغيروه بأسمر طويل وغيروا آية الرجم بالتسخيم وتسويد الوجه (٤) (أي التوراة)

وجاء في صحيح مسلم : عن نافع أن عبد الله بن عمر أخبره " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " أتى بيهودي ويهودية قد زنيا فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء يهود فقال ماتجدون في التوراة على من زنى قالوا تسود وجوههما ونحملهما ونخالف بين وجوههما ويطاف بهما قال فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين فجاءوا بها فقرأوها حتى إذا مرُّوا بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على

---

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ص ١٢٣ باختصار

(٢) سورة آل عمران الآية ٦٤ (٣) سورة البقرة الآية ٧٥

(٤) روح المعاني جـ ١ ص ٢٩٨

آية الرجم وقرأ مابين يديها وما وراءها فقال له عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مره فليرفع يده فرفعها فإذا تحتها آية الرجم فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما قال عبد الله بن عمر كنت فيمن رجمهما فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه (١) .

وتم تحريف التوراة بالفعل ، ووجدت التوراة السامرية التى تخالف توراة سائر اليهود ومن أراد أن يقف على مافى التوراة من تناقض وتبديل فليعمد إلى الفصل (٢) لابن حزم ، ومدح الحق تبارك وتعالى للتوراة بقوله تعالى : (إنا أنزلنا التوراه فيها هدى ونور ..) القصد منه مانزل على موسى عليه السلام قبل أن تناله يد التبديل ، واستشهاد علماء الإسلام بالتوراة لايدل على عدم تحريفها يقول ابن حزم : إن كفار بنى إسرائيل بدلوا التوراة والزبور فزادوا ونقصوا وأبقى الله تعالى بعضها حجة عليهم كما شاء (٣) " ويكشف القرآن الكريم ستر أهل الكتاب عموما فيما عاهدوا الله عليه من حفظهم للكتاب وشرحه للناس ، وعدم التزامهم بما أخذوه على أنفسهم يقول الله تعالى : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون) (٤) فنقضوا العهد والميثاق وكتموا ما ائتمنوا عليه يقول صاحب الظلال : " فالآن يبدو هذا الموقف منهم بشعا غاية البشاعة ، حين ينكشف أيضا أن الله سبحانه قد أخذ عليهم العهد وهو يعطيهم الكتاب أن يبينوه للناس ، ويبلغوه ، ولايكتمونه أو يخفوه وأنهم نبذوا هذا العهد مع الله (٥) " ويحذرهم القرآن الكريم من مباشرة

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١١ ص٢٠٨ ، ٢٠٩ (كتاب الحدود ـ باب حد الزنا)

(٢) جـ ١ ص٩٢ ـ ١٢٠ (٣) المرجع السابق جـ ٢ ص ٩

(٤) سورة آل عمران الآية ١٨٧

(٥) فى ظلال القرآن جـ ٤ ص ٥٤١ " المجلد الأول "

هذا النوع من الانحراف يقول الله تعالى : (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) (١) ويدعوهم القرآن الكريم بنداء رقيق إلى ماينقذهم مما تورطوا فيه من الآثام (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) (٢)

٣ـ رسم القرآن الكريم الصورة الحقيقية للانحرافات اليهودية :

فانحرافات اليهود وأخطاؤهم فى السلوك كثيرة ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ، كفرهم بآيات الله ، قتلهم الأنبياء ، أكلهم أموال الناس بالباطل تعاملهم بالربا ، تجرؤهم على الله عز وجل ، يقول الله تعالى : (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا) (٣) ومن تجرئهم على الله عز وجل ما أخبر به القرآن الكريم : (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم مآ أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلمآ أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين) (٤) ويجمع القرآن الكريم أخطاءهم فى السلوك ويجملها فى إيجاز بليغ فى قول الله عز وجل : (وترى كثيرا منهم يسارعون فى الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون) (٥)

---

(١) سورة البقرة الآية ١٧٤ (٢) سورة المائدة الآية ١٥

(٣) سورة النساء الآية ١٥٥ (٤) سورة المائدة الآية ٦٤

(٥) سورة المائدة الآيتان ٦٢، ٦٣

فهذه صورة واقعية من السلوك اليهودية سجلها القرآن الكريم ، ويتلوها المسلمون صباح مساء ، لايجد فيها ذو مسكة من عقل مداهنة أو مصانعة ، وكل مافيها كشف مواطن الانحراف لهذه الشرذمة ، علّهم يثوبوا إلى رشدهم وينزعوا عن غيهم ويتبعوا الصراط المستقيم .

مغالطة ولفنسون فى النسخ ، وتحويل القبلة :

ويستمر ولفنسون فى افتراءاته فيزعم أن كثرة مناقشة اليهود ومجادلتهم جعلت النبى " صلى الله عليه وسلم " يخفق فى تحقيق فكرة التأليف بين اليهود والمسلمين ثم يصرح بما نصه : وهكذا لم يمض ثمانية عشر شهرا من قدوم النبى إلى يثرب حتى تلبد الجو بالغيوم الكثيفة وجعل كل فريق يتواصى بالحذر والنفور من الفريق الآخر وكذلك طرأت تغييرات دينية وظهر مايسمى فى عرف القرآن الكريم بالنسخ (مانسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير) " سورة البقرة الآية ١٠٦ " وتحولت قبلة الصلاة إلى الكعبة بعد أن كانت متجهة نحو بيت المقدس (١) .

الـــرد عليـــه :

أولا من ناحية النسخ : يريد هذا الماكر أن يتخذ من نسخ بعض الأوامر والتكاليف الإلهية وفق مايلزم الأمة الإسلامية ـ كما هو سابق فى علم الله ـ ذريعة للتشكيك فى الوحى ، وهذا المسلك سبقه إليه أسلافه يقول الآلوسى : قال المشركون أو اليهود الآثرون إلى محمد "صلى الله عليه وسلم" يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ، ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا ، ماهذا القرآن إلا كلام محمد عليه الصلاة والسلام يقوله من تلقاء نفسه (٢)

---

(١) تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ص١٢٥

(٢) روح المعانى جـ١ ص٣٥١

فنزل قول الله تعالى : (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) (١) ولقد استغل أعداء الدين قضية النسخ في القرآن الكريم ، وقاموا بحملة منكرة ماكرة آتت ثمرتها في نفوس بعض المسلمين فبدأوا يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم ويستوثقون منه ويتثبتون من الآيات ويطلبون بيان تفاصيل الحكم وما إلى ذلك . فنزل القرآن الكريم مبينا لهم أن نسخ بعض الأوامر والآيات يتبع حكمة الله الذى يختار الأحسن لعباده ، ويعلم مايصلح لهم فى كل موقف وينبههم فى الوقت ذاته إلى أن هدف اليهود هو ردهم كفارا حسدا منهم على اختيار الله تعالى ، وأرشد المؤمنين بأن لايتعرضوا لمثل هذه الأسئلة كما فعل بنو إسرائيل مع موسى ، فالمفروض فيهم الثقة المطلقة برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل : (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره إن الله على كل شيء قدير) (٢) فلم يكن النسخ مشروطا من أجل مجادلة اليهود أو مناقشتهم ، ولم يكن سببه إرادة طعن اليهود بعد اليأس من تأليف قلوبهم كما يدعى ولفنسون وإنما كان ضرورة لازمة لأمة الإسلام أمة الكمال والتمام وهى التى منحها الحق من الأحكام — والشرائع مايتلاءم مع الفطرة فى كل مراحلها على حسب الدهور فى مختلف الأماكن حتى أتم عليها النعمة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم) (٣)

---

(١) سورة البقرة الآية ١٠٦ (٢) سورة البقرة الآيتان ١٠٨، ١٠٩

(٣) سورة المائدة للآية ٣

فإلى حين كمال الدين انتهى النسخ الذى من بين فوائده للأمة التدرج بهـــا في الأحكام والتشريع حتى تتقبل النفوس الحكم النهائى وقد تهيأت له واجماعت معه وتلتزم به بمحض إرادتها وتراقب الله فيه بصدق عزيمة وحسن إخلاص ونيـة فلاتحتاج لمراقبة بشرية .

هذا مع العلم بأن النسخ كان موجودا فى الشرائع السابقة فالتوراة نسخت تزوج الأخوة بالأخوات كما كان فى عهد آدم عليه السلام حيث جاء فى سفر اللاويين (عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة فى البيت أو المولودة خارجا لاتكشف عورتها [(١)]) ونسخ سفر اللاويين ـ ماجاء فى سفر التكوين فى الاصحاح التاسع والعشرين من اباحـة الجمع بين الأختين ، كما حدث مع يعقوب عليه السلام من جمعه بين ابنتى " لابان (ليا ، ورحيل) ـ حيث ورد فى سفر اللاويين (ولا تأخذ امرأة على أختها للضر لتكشف عورتها معها فى حياتها [(٢)]) ، وشرعت التوراة الختان حيث جاء فى سفر التكوين (تختنون فى لحم غرلتكم . فيكون علامة عهد بينى وبينكم [(٣)]) فجاء بولس ليشير إلى أن الختان ختان القلب لا اللحم و ذلك بقوله فى رسالته إلى أهل رومية : (لأن اليهودى فى الظاهر ليس هو يهوديا ولا الختان الذى فى الظاهر فى اللحم ختانا . بل اليهودى فى الخفاء هو اليهودى وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان [(٤)]) فهذه بعـض الأدلة القاطعة على وجود النسخ فى الشرائع السابقة فلو كان النسخ عيبا فمـا على المستشرق إلا أن يدلل على عدم النسخ فى الكتاب المقدس قبل طعنه فى القرآن الكريم .

---

(١) الكتاب المقدس ص١٨٧ (١٨ : ٩)

(٢) المرجع السابق (١٨ : ١٨)

(٣) المرجع السابق ص٢٤ تكوين (١٧ : ١١)

(٤) المرجع السابق ـ العهد الجديد ص٢٤٩ (٢ : ٢٨ ، ٢٩)

ثانيا : تحويل القبلة :

يعجب الإنسان من أولئك الذين يدعون البحث العلمى النزيه ولايكاد القارئ يطلع على أبحاثهم حتى يجد التناقض والتضارب ولقد كان ولفنسون واحدا من الذين اضطربوا فى البحث وبدا هذا واضحا فى موضوع القبلة حيث قال : كان التأثر بتعاليم اليهودية شديدا إلى حد أن قبلة الرسول فى صلاته كانت إلى جهة أورشليم كما هى عند اليهود فكان الرسول إذا صلى صلى بين الركنين اليمانى والأسود وجعل الكعبة بينه وبين الشام (١) . وبعد هذا الكلام بصفحات يدعى أن النبى " صلى الله عليه وسلم " لما لم يوفق فى تأليف قلوب اليهود وجعلهم أمة مع المسلمين طرأت تحولات وتغييرات كان من بينها تحويل القبلة إلى الكعبة . فقال " وتحولت قبلة الصلاة إلى الكعبة بعد أن كانت متجهة نحو بيت المقدس (٢) ـ ولو كان تحوله صلى الله عليه وسلم إلى قبلة اليهود نتيجة لتأثره بتعاليمهم ماترك الصلاة نحوها . وحيث أنه تحول منها إلى قبلة آبائه . أقول حدث هذا التحول ولم يكن وقوعه من أجل مخاصمة اليهود لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما لم يكن اتجاهه جهة بيت المقدس ارضاء لهم . ومحاولة لتقريبهم . وإنما كان اختبارا للمسلمين . والله عز وجل يقول فى كتابه الكريم مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم : (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم) (٣) والمعنى أمرتك باستقبال الكعبة بعد فترة توجهت فيها إلى بيت المقدس وأمرنا لنعلم من يتبعك فى الصلاة فى ذلك ممن لايتبعك

---

(١) تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ص ٩٦

(٢) المرجع السابق ص ١٢٥

(٣) سورة البقرة من الآية ١٤٣

فيها إلفا لقبلة آبائه ويفهم من هذا أن الاسلام طاعة وامتثال لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فى كل أمر ، ونهى ، فلا الذات ولا المكان ولا الجهة كل ذلك غير مقصود فى وجهة الإسلام يقول الله عز وجل : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر) والخطاب فى هذه الآية الكريمة لأهل الكتاب فإن اليهود تصلى - قبل المغرب - إلى بيت المقدس من أفق مكة والنصارى - قبل المشرق. والآية نزلت ردا عليهم حيث أكثروا الخوض فى أمر القبلة وادعى كل طائفة حصر البر - على قبلته فرد الله تعالى عليهم جميعا بنفى جنس " البر " عن قبلتهم لانها منسوخة (١) فلما فرضت الصلاة صلى النبى صلى الله عليه وسلم جهة الكعبة ، ثم جهة بيت المقدس بعد الهجرة إلى أن وجهه الحق إلى القبلة الاولى " عن سفيان حدثنى أبو إسحاق قال سمعت البراء رضى الله عنه قال صلينا مع النبى صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ثم صرفه نحو القبلة " (٢) وبعد العودة إلى قبلة المسلمين قبلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ظل اليهود يثيرون موضوع القبلة ابتغاء البلبلة ، فقالوا : ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ؟ ولماذا اتجهوا إلى قبلة إبراهيم عليه السلام ؟ فرد الله تعالى عليهم فى الأولى : " قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم وفى الثانية : " قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين. إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين " (٣)

---

(١) روح المعانى جـ ٢ ص ٤٤ ، ٤٥ بتصرف

(٢) البخارى بحاشية السندى جـ ٣ ص ١٠١ (كتاب التفسير) ، صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٥ ص ٩ ، ١٠

(٣) سورة آل عمران الآيات ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧

ويتبين مما تقدم أن تحويل القبلة إلى بيت المقدس كان بمثابة اختيار على لمن أسلم من أهل مكة ،وأن العودة بها إلى بيت الله الحرام اختيار لمن أسلم من أهل الكتاب ، فمن أسلم عن اقتناع توجه حيث أمره رب المشارق والمغارب ومن أسلم لعلة أرتد حين انقطعت هذه العلة .

ولفنسون يلوى الحقائق ويطوى عليها صحائف النسيان

عجبا لمن يرى الحق واضحا ولا يعترف به ،وأعجب منه من يشاهد الحق في ضوء المشرق فيحاول طمسه بالباطل ،وهذا ماحدث من ولفنسون فى قوله : ولو وقفت تعاليم الرسول عن محاربته للديانة الوثنية فحسب ولم يكلف اليهود أن يعترفوا برسالته لما وقع نزاع بين اليهود والمسلمين ولكان اليهود قد نظروا بعين ملؤها التبجيل والاحترام لتعاليم الرسول ولأيدوه وساعدوه بأموالهم وأنفسهم حتى يحطم الأصنام ويقضى على العقائد الوثنية لكن بشرط ألا يتعرض لهم ولا لدينهم وشرط ألا يكلفهم الاعتراف بالرسالة الجديدة لأن العقلية اليهودية لاتلين أمام شيء يزحزحها عن دينها وتأبى أن تعترف بأن يوجد نبى من غير بنى إسرائيل بل يعتقدون عقيدة راسخة أنه بعد أن ختمت صحف التوراة وكتب العهد القديم قد انقضى عهد بعث الرسل وظهور الأنبياء ،سواء كانوا من بنى إسرائيل أو من غيرهم (١)

وتدل هذه السطور على ثلاثة أمور :

١ـ سبب النزاع بين اليهود والمسلمين عموم دعوة الإسلام حتى شملتهم .

---

(١) تاريخ اليهود فى بلاد العرب ص ١٢٢

٢- استعداد اليهود لمساعدة الرسول "صلى الله عليه وسلم" في جهاده ضد الوثنية لو ترك اليهود على دينهم .

٣- اليهود لايعترفون بنبوة بعد موسى عليه السلام

الرد على هذه الأمور الثلاثة :

ونرد إن شاء الله تعالى على كل جزئية منها بايجاز .

أولا : بدى واضحا أن دعوة الإسلام عالمية منذ أول وهلة فدخل في الإسلام العربى . والفارسى . والروى . وتأكدت عالمية الدعوة بهجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة . وبات واضحا لليهود وغيرهم عموم رسالته صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : أما عن استعداد اليهود لمساعدة الرسول ضد الوثنية . فهذا لم يحدث . فقد كان هدف اليهود القضاء على الأوس والخزرج وذلك قبل مجىء الإسلام . ووصل الأمر بجماعة اليهود أنهم توعدوا أهل يثرب بقرب مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم وأنهم سيلتفون حوله وينتصرون به عليهم ولما ظهر الإسلام ودخل فيه أهل الأوس والخزرج مسرعين ورأى اليهود الرباط الأخوى بين القبيلتين . عز عليهم هذا . فألبوا الوثنية القرشية والقبائل العربية والمنافقين ضد الرسول صلى الله عليه وسلم فلم تكن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود إلى الايمان برسالته سبب التصدى من جهة اليهود لدعوة الإسلام .

ثالثا : أما كون ولفنسون لايعترف بنبوة بعد موسى عليه السلام . ويدعى أن العقلية اليهودية تشاركه هذا الرأى فهذا شىء والحقيقة شىء آخر . فقد انتظروا نبوة عيسى عليه السلام وأخبروا أهل يثرب بأنهم سينضمون للنبى الجديد ويقتلونهم قتل

عاد وإرم وأشرت الى هذا فى الباب الأول للرسالة .

السبب الحقيقى لتصدى اليهود لدعوة الإسلام

يتلخص السبب الحقيقى لتصدى اليهود لدعوة الإسلام من وجهة النظر الإسلامية فى الآتـــــى :ـــ

١ـــ قبول أهل يثرب لدعوة الإسلام بدون تردد :

ولعلم ولفنسون بهذه الحقيقة نجده يدعى أن سبب اسراع الأوس والخزرج ـــ للإسلام دون بقية القبائل العربية يرجع إلى تعاليم اليهود فيقول : ووجدت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه النفوس أرضا خصبة صالحة لنمو الدين الجديد فيها وازدهاره ولاشك أن هذا أثر من آثار التعاليم اليهودية ونتيجة من نتائـــج الاختلاط الشديد بيهود يثرب(١) ونقول ربما يكون للاختلاط أثر فى نفوس أهل يثرب ولكنهم لم يتأثروا بالتعاليم اليهودية وإلا آمنوا باليهودية .ولماذا لم يؤمن اليهـــود بدعوة الإسلام .وهم أصحاب التعاليم التى هدت غيرهم للإيمان على حد قول ولفنسون ؟ أليس هم الذين توعدوا أهل يثرب من وقت لآخـــر بقرب مجيء نبى من العرب آن أوانه وحل زمانه يعرفون أوصافه من كتبهم ؟

إن الدافع الحقيقى لاسراع أهل يثرب للإيمان بالنبى صلى الله عليه وسلم يرجع للعوامل الاتيه :

أ ـــ الصراع بين الأوس والخزرج على المجد الأدبى والمادى .

ب ـــ مجاورتهم لليهود الحاقدين عليهم والمتربصين بهم الدوائر .

---

(١) تاريخ اليهـــود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ص١٠١

جـ ــ اخبار اليهود لهم بظهور نبي من العرب وأنهم أى اليهود سيؤمنون بــــه وينتصرون به عليهم وهذا العامل الأخير هو الدافع الهام لسبق أهل يثرب إلـــى الإيمان بالدين الجديد ليكونوا بجانب النبى المنتصر ، وبذا قد خدم اليهود دعوة الإسلام لا بتعاليمهم كما يتقول ولفنسون ، ولكن بسوء أعمالهم وخبث نيتهم فقـــد رغبوا أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم خاصا بهم وحدهم وهذه أنانية لامثيـــل لها ، وعنصرية لانهاية لها .

٢ ــ دخول أفراد قلائل من كبار اليهود فى الإسلام :

ومن هؤلاء الأفراد الذين لهم وزنهم :

أ ــ عبد الله بن سلام . يقول ابن اسحاق : ماملخصه :

" وكان من حديث عبد الله بن سلام ، كما حدثني بعض أهله عنه وعن إسلامـــه حين أسلم ، وكان حبرا عالما ، قال لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت صفته واسمه وزمانه الذى كنا نتوكف له [1] ، فكنت مسرا لذلك صامتا عليه حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، ونزل بقباء ، وكنت أعمل فى النخل ، ومعـــى عمتى خالدة بنت الحارث ، فلما أخبرت بقدومه صلى الله عليه وسلم كبرت ، ولمـــا تعجبت عمتى لما حدث منى قلت لها ، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينـــه بعث ، بما بعث به ثم خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتى فأخبرتهم فأسلموا [2] ."

ب ــ مخيريق :

أما مخيريق فكان حبرا عالما ، وكان رجلا غنيا كثير الأموال أيسلم يوم أحد فأخـــذ

---

(١) نتوكف : نتوقـــع

(٢) السيرة النبوية لابن هشام : جـ٢ ص ١١٨

سلاحه وذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أخبر أهله إن استشهد في أحد أن يعطوا أمواله للنبي محمد صلى اله عليه وسلم يصنع فيها ما أراه الله وتم ما أراد الله تعالى له فاستشهد في هذه الغزوة ، وتصدق الرسول صلى الله عليه وسلم بأمواله على أهل المدينة ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : مخيريق خير يهود (١) وازداد غضب اليهود وحميت قلوبهم غيظا ، حين شاهدوا نور الإسلام ، وتأثيره في قلة عالمة من اليهود ، وتأكدوا أن الإسلام قوة لا يستهان بها فتصدوا لدعوته بكل الوسائل فظهر بهذا أن سبب التصدى اليهودى لدعوة الإسلام هو :

١ـ إسلام أهل يثرب بدون تردد

٢ـ عدم تمكين اليهود من جعل النبي صلى الله عليه وسلم خاصا بهم وحدهم

٣ـ دخول أفراد من كبار اليهود في الإسلام عن اقتناع .

(زعم جولد تسيهر بأن القرآن هاجم الأحبار
والرهبان وأماكن عبادتهم)

اتخذ القرآن الكريم الحماية موقفا ثابتا لأماكن العبادة ، وأعطى الرهبان والأحبار حقهم غير منقوص بدون مجاملة أو موارية ، ولكن جولد تسيهر كعادته يدعى تغير موقف القرآن الكريم بالنسبة لهذه الأمور فيقول : " والجدل ضد اليهود والمسيحيين شغل مكانا كبيرا في الوحي المدني لقد كان فيما مضى يعترف بأن الصوامع والبيع والصلوات تعتبر أمكنة عبادة حقيقية (سورة الحج الآية : ٤٠) ، لكن الأمر تغير بعد هذا كما صار رهبان المسيحيين وأحبار اليهود موضع مهاجمة

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٢ ص ١١٩ بتصرف

منه وقد كانوا فى الواقع أساتذة له[١] .

الرد على جولد تسيهر فى زعمه :

آية سورة الحج التى رمز جولد تسيهر إليها : هى قول الله تعالى : (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها إسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز)[٢] وقبل هذه الآية مباشرة جاءت آية الاذن بالقتال بعد أن مكث المسلمون أربعة عشر عاما صابرون على الإيذاء والنكال إلى أن أنزل الله تعالى قوله : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير)[٣] وأهل الكتاب أقرب إلى الإسلام من المشركين ولهم فى دولة الإسلام حق الحماية ولأماكن عبادتهم حق المحافظة من جانب المسلمين ماداموا على عهدهم محافظين ، وللجزية مؤدين ، وأصاب الزمخشرى فى تفسير : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) حيث قال : " ودفع الله بعض الناس ببعض إظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة فى أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد أو لغلب المشركون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا — متعبدات الفريقين[٤] . وقد أشار مترجم كتاب العقيدة والشريعة إلى هذا ووجه القارئ إلى ملاحظة القيد الذى ذكره المفسر فى قوله " الذين فى ذمتهم " فهؤلاء سيظل الدفاع عنهم وعن متعبداتهم من قبل المسلمين إلى قيام الساعة

---

(١) العقيدة والشريعة ص ١٣، ١٤ ط ١ طبع دار الكتاب المصرى ١٩٤٦م .

(٢) سورة الحج الآية ٤٠ (٣) سورة الحج الآية ٣٩

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل تأليف أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى ج ١٧ ص ١٦ " المجلد الثالث " الطبعة الأخيرة مطبعة مصطفى الحلبى وأولاده ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦م .

وهم فى دولة الإسلام فى مأمن من الملحدين أعداء الدين وبأذن الله تعالى لن يتغير هذا الوضع ، ولا ندرى ماذا قصد جواه تسيهر بقوله " لكن الأمر تغير بعد هذا : فلم نجد فى كتاب الله تعالى آية تأمرنا بعدم الاعتراف بأماكن عبادة أهل الذمة كما لم نجد آية تأمرنا بهدم كنائسهم وبيعهم وصلواتهم فما الذى حدث ؟

أما عن موقف القرآن الكريم من الرهبان والأحبار فهم ضمن أهل الكتاب وقد تحدثت عن موقف القرآن منهم ، ونضيف إلى هذا أن القرآن حين يذكر ويعدد فضائل أهل الكتاب فإنه يقصد أهل الصلاح منهم الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام وماتوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم أو أدركوا بعثته وآمنوا به ، وحين يذكر ويعدد مساوئ أهل الكتاب فإنه يقصد أهل الفساد منهم ، والأحبار والرهبان فى نفس الميزان فلقد ذكر القرآن الكريم أن منهم الصالحين " الذين يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين " وأن كثيرا منهم طالحون وهم الذين قال الله فيهم (يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم)(1) فأين المهاجمة بعد الموادعة فى هذا النهج الكريم ؟

أما عن اتهامه أو إيهامه (بأن الأحبار والرهبان كانوا أساتذة لمن علمه الرحمن صلى الله عليه وسلم فنقول له باختصار (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) فأين كتب أساتذتكم المعلمين لأفضل الخلق أجمعين ؟

---

(1) سورة التوبة الآية ٣٤

قصة الغرانيق وتقولات المستشرقين

تناولها المستشرقون فى أكثر من غرض ضد دعوة الإسلام فمنهم من قال إنه اعترف بنبوة ثلاثة من الأصنام[١] ومنهم من ادعى أن للشيطان دخل فى الوحى ومنهم من صنع منها دليلا على تردد النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو السيرمارك سايكس حيث يقول عن هذه القصة : " إنها تثبت أنه كان عربيا صميما " فإنه بعد كل اصراره على وحدانية الله عاد فداخله التردد ، فجاء ساحة الكعبة وأعلن أن أرباب مكة وربانها ، قد تكون قبل كل شيء حقيقة ، وقد تكون ضربا من القديسين الذين لهم قوة الشافعة . ويستمر فى هرائه فيقول قاصدا الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ثم بذل كل مافى وسعه لإصلاح مافرط منه (كذا) فقال إن الشيطان تلبس لسانه[٢]

أما جوستاف جرونيباوم فادعى أن النبى صلى الله عليه وسلم قد تساهل فيما كان يأخذ به نفسه من شدة التوحيد . وأقدم على الاعتراف بآلهتهم (المزعومة) حتى يحمل أهل مكة على الكف عن إيذاء أتباعه الذين لاحول لهم ولاقوة .[٣]

مجمل قصة الغرانيق المزعومة :

ذكر بعض المفسرين بدون تحقيق : أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم تمنى أن ينزل عليه من القرآن مايجذب به مشركى مكة لدعوته ، فنزل عليه سورة النجم وقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغ (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) ألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى

---

(١) الإسلام فى الفكر الأوربى ص٤٧

(٢) معالم تاريخ الإنسانية هـ . جـ . ولز . ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد (المجلد الثالث) ص٧٨٨ ، ٧٨٩ ط ٣ مطبعة الدجوى بالقاهرة ١٩٧٢م .

(٣) حضارة الإسلام جـ ٢ ص٩٥ بتصرف

فقال المشركون ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم ، فسجد وسجدوا . فنزل قول الله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) (١)

وكان ما ذكره هذا البعض سببا في شيوع قصة الغرانيق وفتح باب لترديدها من الطاعنين في الإسلام .

د- دحض قصة الغرانيق :

لقد اتخذ المستشرقون من خرافة الغرانيق تكأة ، فوجهوا سهام الغدر للإسلام وشنوا بواسطتها حملة شعواء ، قصدوا منها أن يبرهنوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم تراجع عن دعوة التوحيد إلى التعدد والعياذ بالله ، واعتقدوا أنهم بهذا قد برهنوا على صحة نظرتهم الوثنية ، أو صحة اعتقادهم في ثالوثهم المزعوم ونعود لدفع هذه الخرافة .

معنى الغرانيق في اللغة :

الغُرْنُوق : الناعم المنتشر من النبات

والغَرانِق : الرجال الشباب — ويقال للشاب نفسه الغُرَانِق والغُرْنُوق . والغرانِق : الذي في أصل العَوسج وهو ليّن النبات . (٢) وهي في الأصل الذكور من طير الماء وتطلق على الأُصنام — شبهوها بالطير التي تعلو وترتفع في السماء فظنوا أنها تشفع لهم عند الله تعالى وقصة الغرانيق مدسوسة في تراث الإسلام من قديم الزمان فقد ذكرت في تفسير الطبري ، وفي تاريخ الرسل والملوك وفي الطبقات

---

(١) سورة الحج الآية ٥٢

(٢) لسان العرب المجلد العاشر ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ (فصل الغين المعجمة حرف القاف) بتصرف

الكبرى لابن سعد وفى العديد من كتب السير والتواريخ ، وقد ذكرها أكثرهم وهو لا يثق بصحتها مكتفيا بذكر السند بناء على قاعدة " من أسند لك فقد حملك " وهذا فى الواقع تقصير ليس له ما يبرره ، ولقد حمل الأزهر على عاتقه هذه المسئولية فقام رجال من خيرة العلماء بدور فعّال لتنقية تراث الإسلام وغربلته مما لحق به وشابه من مثل هذه الخرافات .

زيف قصة الغرانيق :

ولقد كشف ـ الإمام الفخر الرازى ـ جزاه الله خير الجزاء ـ الستار الملفوف حول هذه الفرية فأبان للناس كذبها بالدليل وملخص ما قاله : " أن هذه رواية عامة المفسرين الظاهريين أما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا على قولهم بالقرآن والسنة والمعقول ، أما القرآن فوجوه منها : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين)[1] وقوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى)[2] وقوله تعالى : (وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا)[3] وكاد بمعنى قرب فقربت فتنتهم لكنها لم تحصل ولم يركن صلى الله عليه وسلم إليهم لأن الله ثبته ، فكلمة لولا تفيد إنتفاء الشيء لانتفاء غيره فدل على أن ذلك الركون القليل لم يحصل . وأما السنة فمنها : ما روى عن محمد بن اسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة ، وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم أخذ يتكلم فى أن رواة هذه القصة مطعون فيهم ، وأيضا فقد روى البخارى فى صحيحه أن النبى عليه الصلاة والسلام قرأ سورة والنجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن وليس فيه حديث . وأما المعقول فمن وجوه :

---

(١) سورة الحاقة الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦
(٢) سورة النجم الآيتان ٣ ، ٤ (٣) سورة الإسراء الآيتان ٧٣ ، ٧٤

أحدها : أن من جوزعلى الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيم الأوثان فقد كفـــــر فمن المعلوم بالضرورة أن جهاده كان فى نفى الأوثان .

ثانيها : أن قريشا ماكانت تمكنه فى أول الأمر من الصلاة وقراءة القرآن عند الكعبة وذلك يبطل قولهم (١) وكيف يأتى المدح والذم متتاليين متتابعين لشيء واحد ؟ — وكيف يستقيم المعنى حين يقال : تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجـــى ثم يأتى قول الله تعالى : (ألكم الذكر وله الأنثى) ؟ (٢) محال أن ترد هذه الأقوال المتضاربة على لسان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومحال أيضا أن يدعو الرسول قومه لتوحيد الله ثم يشاركهم فى وثنيتهم ولو حدث هذا لتمسكوا به وسجلوه عليه ولكن شيئا من ذلك لم يحدث أما عن ادعاء بعض المستشرقين بتدخل الشيطان فى كلام الرحمن زاعمين أن قول الله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكـــم الله آياته والله عليم حكيم) — حجة لهم .

فأقول ردا عليهم : للتمنى معنيـــان :

المعنى الأول : التمنى هو نهاية التقدير ومنه المنية وفاة الإنسان للوقت الذى قدره الله تعالى .

والأمنية على ماقال الراغب الصورة الحاصلة فى النفس من التمنى، والتمنى سؤال الرب وفى الحديث (إذا تمنى أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربه) (٣) والمعنى على هذا وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبى إلا إذا تمنى — مال قلبه لهداية قومه ونجاتهم ألقـــى

---

(١) التفسير الكبير (تفسير فخر الدين الرازى) جـ ٦ ص ١٦٨ ، ١٦٩ ط٢ المطبعة العامرة الشرقية سنة ١٣٢٤هـ بتصرف

(٢) الإسلام فى الفكر الأوربى ص٤٨ بتصرف

(٣) مختصر شرح الجامع الصغير للمناوى — ١ ص ٣٦

الشيطان فى طريقه العثرات ، ووضع أمام رغبته العقبات وخيل للناس الشبه ليجادلــوا بالباطل ليدحضوا به الحق يقول الله عز وجل : (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون)(١) ويقول الألوسى فى هذا ـــ المعنى : وهذا كقولهم عند سماع قراءته صلى الله عليه وسلم (حرمت عليكم الميتة) أنه يحل ذبيح نفسه ويحرم ذبيح الله تعالى وقولهم على ما فى بعض الروايات عند سماع قراءتــه عليه الصلاة والسلام " إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم " إن عيسى عبـــد من دون الله تعالى والملائكة عليهم السلام عبدوا من دون الله تعالى فينسخ اللــه مايلقى الشيطان من هذه الشبه بآيات محكمات لاتقبل الرد بوجه من الوجوه(٢) .

المعـــنى الثانـــى :

التمنى : القراءة وكذا الأمنية وورد استعمال اللفظ فيه قال حسان :

تمنى كتاب الله أول ليلة ... تمنى داود الزبور على رسل

والمعنى على هذا مامن رسول ولانبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى حديثه مالــم يقله متعللا بأن ذلك الحديث يؤدى إليه ، ولكن الله حفظ آياته من أن يدخل بينهـــا ماليس منها ، فينسخ الله مايلقى الشيطان ويراد بالشيطان من يحارب الدعوة ...

وبعد إلقاء بعض الأضواء على مايسمى بقصة الغرانيق لايحق لباحث أن يدعـــى أن لها أصل ثابت فى كتب السنة الصحيحة ، ولايجوز بحال من الأحوال للمستشرقـــين أن يزعموا أن الوحى تحول عن طريق النبى صلى الله عليه وسلم فدعى إلى مانفر منه ، ونهى عن عبادته ، وهذا يظهر خط الدعوة الإسلامية فى استقامته لاعوج فيه ولا أمتـــا منذ بداية الدعوة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

---

(١) سورة الأنعام الآية : ١١٢

(٢) روح المعانـــى جـ١٧ ص ١٧٣ بتصرف يسير

القضاء والقدر في ميزان الاستشراق

تعرض المستشرق جولد تسيهر للقضاء والقدر ، ومسألة الجبر والاختيار وكتب فيها عدة صفحات في كتابه العقيدة والشريعة (١) ، حاول خلالها أن يتخذ من تعارض الأراء في هذه العقيدة دليلا على تعارض آيات القرآن ، ثم زعم أن آيات القرآن المكية تبدو فيها حرية الاختيار بينما الآيات المدنية تسير في خط الجبر . وكأنه يقول ها هو خط الدعوة قد تغير وتحول ولذا سأرد عليه في النقاط التي أثارها حول هذه العقيدة بعد إيجاز معنى القضاء والقدر .

مفهوم القضاء والقدر في الإسلام :

يطلق القضاء في اللغة على عدة معان أشهرها الحكم . ومعنى القدر في اللغة العربية : الترتيب والحد الذي ينتهي إليه الشيء نقول قدرت البناء تقديرا إذا رتبته وحددته قال الله تعالى : (وقدر فيها أقواتها) بمعنى رتب أقواتها وحددها (٢) وآمن أهل السنة بالقدر وقالوا في تحديد معناه : " أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها الله سبحانه وتعالى . وأنكرت القدرية هذا - وهم الذين يثبتون القدر لأنفسهم دون الله عز وجل - وينفون القدر عن الله تعالى : قائلين إن الأمر أنف فلا يعلمه الله تعالى إلا بعد وقوعه وتعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ولقد انقرضت القدرية الأولى القائلون بهذا القول الشنيع الباطل وخلفهم قدرية أخرى تعتقد بالقدر إلا أنهم يقولون الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم ولقد فهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة القضاء والقدر

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام (ص ٩٠ - ١٠١)

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ص ٣٩ باختصار

وها هو على بن أبى طالب كرم الله وجهه يوضح لجندى من جنود الإسلام هذه العقيدة حين توجه إليه بعد عودتهم من إحدى الغزوات ببلاد الشام قائلا : " أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله وقدره فقال : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ماوطئنا موطئا ولاهبطنا واديا إلا بقضاء الله وقدره . فقال الشيخ : فعند الله احتسب عنائى ما أرى لى من الأجر شيئا فقال مه(ه) أيها الشيخ لقد عظم الله أجركم فى مسيركم وأنتم سائرون وفى منصرفكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا فى شىء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين . فقال الشيخ : وكيف القضاء والقدر ساقانا فقال : ويحك لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حتما لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد والأمر والنهى ولم تأت لائمة من الله لمذنب ولامحمدة لمحسن ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسىء ولا المسىء أولى بالذم من المحسن تلك مقالة عباد الأوثان وجنود الشيطان وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها إن الله سبحانه أمر تخييرا ونهى تحذيرا وكلف يسيرا ... (١)

خطأ استدلال جولد تسيهر بمسألة الجبر والاختيار :

يتهم هذا المستشرق القرآن الكريم بالتناقض بقوله : بل ذهب الأمر إلى درجة أن البحث فى التناقضات الظاهرة فى القرآن أصبح موضع حديث بين المؤمنين أنفسهم وسنرى فيما بعد . فى مثال بشأن تعليم أساسى فى الدين وهو مسألة الجبر والاختيار . كيف أن الأدلة للرأى وضده استقيت من القرآن نفسه . (٢)

بيان خطأ استدلاله :

استشهاد أصحاب المذاهب والفرق بآيات القرآن الكريم ليس دليلا على وجود التعارض

(ه) مه إسم فعل بمعنى اكفف

(١) شرح نهج البلاغة لعز الدين حامد الشهير بابن أبى الحديد (المجلد الرابع) ص ٣٧٦ ط ٢ بيروت ١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م .

(٢) العقيدة والشريعة فى الإسلام ص ٧٩ ط ٢

بين آياته ، فكل منهم يحاول الاستدلال على مذهبه وسلامة رأيه ، وتبقى آيات القرآن كما هى شامخة تؤيد الحق وتدحض الباطل ، وحيث أن جولد تسيهر اختار مسألة الجبر والاختيار فقد ورد فى القرآن الكريم فى موضع واحد وفى آيتين متتاليتين مارجع إليه بعض الفرق كدليل لصحة رأيه ، وهو قول الله تعالى : (إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا وماتشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما)(١) فيستدل المعتزلى بالآية الأولى ، ويدعى استقلال العبد بالفعل ، ويستشهد بها كل من القدرى والجبرى ، ويقول الإمام الفخر فى شأن الآية الأولى : وأعلم أن هذه الآية من جملة الآيات التى تلاطمت فيها أمواج الجبر والقدر ، فالقدرى تمسك بقوله : فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ويقول إنه صريح مذهبى ونظيره " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " والجبرى يقول متى ضمت هذه الآية إلى الآية التى بعدها خرج منه صريح مذهب الجبر وذلك قوله " فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا " يقتضى أن تكون مشيئة العبد متى كانت خالصة فإنها تكون مستلزمة للفعل وقوله بعد ذلك (وماتشاءون إلا أن يشاء الله) مستلزمة أن مشيئة الله مستلزمة لمشيئة العبد ومستلزم المستلزم مستلزم فإذا مشيئة الله مستلزمة لفعل العبد وذلك هو الجبر(٢)

وجانب الثلاثة الصواب فلا استقلال للعبد بفعل من الأفعال ، كما أنه لا يتم فعل أو يحدث بدون سبق علم الله تعالى به وليس العبد مجبور والحق فى البداية والنهاية مع أهل السنة يقول الألوسى : وتعقب بأن هذا ليس بالجبر المحض المسلوب معه الاختيار بالكلية بل يرجع أيضا إلى أمر بين أمرين وقدر بعض الأجلة مفعول يشاء الاتخاذ ، ويكون المعنى وماتشاءون اتخاذ السبيل ولاتقدرون على تحصيله فى وقت

---

(١) سورة الانسان الآيتان ٢٩ ، ٣٠

(٢) التفسير الكبير " تفسير فخر الدين الرازى " جـ ٢٩ ص ٢٦٢ ط ٢ طبع دار الكتب العلمية طهران .

من الأوقات إلا وقت مشيئته تعالى اتخاذه وتحصيله لكم إذ لا دخل لمشيئة العبد إلا في الكسب وإنما التأثير والخلق لمشيئة الله عز وجل ، والله يشاء الفعل ممن علم منه اختياره ذلك ، فمشيئة المرء غير كافية في اتخاذ السبيل (١) وتدل خاتمة السورة على أن كل ما يأتي به العبد وما يحدث له بمشيئة الله تعالى حتى دخول الجنة والنار لا يتم إلا بإرادته تعالى (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما) .

ويؤيد الإمام النسفي مذهب أهل السنة بقوله : ما اختصاره : والآية حجة على المعتزلة لأنهم يقولون : قد شاء أن يدخل كلا في رحمته لأنه شاء إيمان الكل والله تعالى أخبر أنه يدخل من يشاء في رحمته وهو الذي علم منه أنه يختار الهدى والظالمين أعد لهم عذابا أليما . فظهر خطأ جولد تسيهر وبقيت الآية الكريمة ناطقة بالصدق ودليل لأهل الحق ، وحجة على أهل الأهواء .

آيات الهداية والإضلال في نظر جولد تسيهر :

يحاول هذا المستشرق أن يبرز آيات الهداية والإضلال في صورة متضاربة فبعد أن يعرض بعض الآيات مستدلا بها على أن الهداية من الله والإضلال منه أيضا يقول : وليس في الإسلام على ما نرجح مسألة مذهبية يمكن أن نستخلص بشأنها من القرآن تعاليم متناقضة كتلك التي نبحثها الآن .

فالعبارات الجبرية العديدة يمكن أن تعارض بعبارات للنبي تدل على أن الله ليس هو الذي يضل النفوس ، بل هو الشيطان الرجيم الغرور (٢) " سورة الحج ٤ ، سورة فاطر ٥ "

---

(١) روح المعاني جـ ٢٩ ص ١٦٧

(٢) العقيدة والشريعة في الاسلام ص ٩٠

ـ دحض زعمه فى الهداية والإضلال :

الهداية والضلال فى منطق القرآن :

أ ـ الهداية :

وردت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تشير إلى هداية الله تعالى للناس من خلقه يقول الله تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السمآء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون)(١) ويقول الله تعالى : (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون)(٢) ويقول الله تعالى : (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا إن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)(٣) ويفهم من هذه الآيات أن الله عز وجل هدى قوما وأضل آخرين .

وورد فى الآيات البينات مايدل على أن الله هدى الناس جميعا إلى الطريق المستقيم (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا)(٤) فمنهم من سار فى الطريق المستقيم ومنهم من شرد وحاد عنه فما معنى الهداية ؟

ترد الهداية بمعنى الدلالة تقول هديت فلانا الطريق أى أعلمته إياه سواء سلكه أم لا وهذا النوع هداه الله جميع الملائكة ، والإنس ، والجن مؤمنهم وكافرهم(٥) وهداه ثمود

---

(١) سورة الانعام الآية ١٢٥ (٢) سورة الأعراف الآية ١٧٨

(٣) سورة النحل الآية ٢٦ (٤) سورة الانسان الآية ٣

(٥) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ ٣ ص ٣٤ بتصرف .

وتكون الهداية بمعنى التوفيق والعون على الخير وهى فضل من الله عز وجل للمؤمنين فقط ، وليس فى هذا إكراه على الطاعة أو المعصية وإلا كان ظلما والله عز وجل يقول (وما ربك بظلام للعبيد) (١)

ويعلق جولد تسيهر على الآية الكريمة " وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون " (٢) قائلا : (وإذا ، فالله قد هدى قوم صالح لكنهم لم يتبعوه ، وفعلوا الشر بمحض إرادتهم وانحرفوا عن سبل الله فكان هذا كسبا لهم عن حرية اختيار (٣)

ويظهر لنا من قوله (وفعلوا الشر بمحض إرادتهم) محاولته لالغاء القول بالإرادة الالهية ولذا يتساءل قبل قوله المذكور بصفحتين : هل يمكن أن يتصور ظلما أفدح من الجزاء على أعمال تتم بإرادة محددة ليست تحت القدرة الإنسانية (٤) والواضح أن الله عز وجل دل قوم صالح على طريق الهداية كما فى قوله تعالى (وهديناه النجدين) لكنهم لم يسلكوا لا بمحض إرادتهم وحدها بل بإرادة الله تعالى : ويدل على هذا قوله تعالى : فاستحبوا العمى على الهدى فالمحبة ميل قلبى وهى فى نفسها غير اختيارية : وليس لأحد أن يهدى وأن يضل بالمعنى المقصود إلا الله تعالى ولذا يقول الحق تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : { ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء } (٥) وقوله تعالى : (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) معناه ترشد بتعاليم الدين

ب ـ الإضلال :

آيات كثيرة فى القرآن الكريم تشير الى الاضلال منها قول الله تعالى :

(أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام) (٦) ومنها ما أخبر

---

(١) سورة فصلت من الآية ٤٦ (٢) الآيتان ١٧، ١٨

(٣) العقيدة والشريعة فى الإسلام : ٩١ (٤) المرجع السابق : ٨٩

(٥) سورة البقرة من الآية ٢٧٢ (٦) سورة الزمر الآيتان ٣٦، ٣٧

به القرآن الكريم { ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا } (١) وهذا ما أقسم إبليس لعنة الله على فعله والله عز وجل يقول : (كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير) (٢) ومنها قوله تعالى عن فرعون : (وأضل فرعون قومه وما هدى) (٣) وقول الكفار وهم فى جهنم : (وما أضلنا إلا المجرمون) (٤) فإضلال إبليس ، والمجرمين نوع آخر ليس كإضلال الله عز وجل يعبر عنه ابن حزم : أن اضلال الله لمن شاء من عباده إنما يكون بتضييق صدره عن قبول الإيمان بأن يجعل أكنة على قلوب الكافرين تحول بينهم وبين تفهم القرآن الكريم ، وحجبا تمنعهم من الهدى النبوى وإضلال من دونه دعوتهم أتباعهم إلى الضلال فللشيطان وسوسة تدفع العبد المغضوب عليه إلى الضلال ، أما الهداية والإضلال فى حقيقتهما فمتعلقان بمشيئة الله القادر فليس للشيطان من الجن أو الإنس تسلط أو حجة تدل على صدقه فى إغراء أوليائه حين يدعوهم إلى الضلال ، وعند المحاجة يتبرء من أتباعه يقول الله عز وجل : (وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلاتلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم) (٥) والله تعالى هدى من عباده من علم فيه الخير والتزام الطاعة حتى النهاية وأضل من عباده من علم فيه الشر والتزام المعصية حتى النهاية فلا إكراه ولا إجبار ، وإنما تسجيل لوقائع علمها الله تعالى ، وجهلها غيره عن عبد الله ابن عمرو ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { إن الله خلق خلقه فى ظلمة ، فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ، ومن أخطأه

---

(١) سورة النساء الآية ١١٩
(٢) سورة الحج الآية ٤
(٣) سورة طه الآية ٧٩
(٤) سورة الشعراء الآية ٩٩
(٥) سورة ابراهيم الآية ٢٢

ضل «فلذلك أقول : "جف القلم على علم الله " (١) فخاتمة الحديث الشريف جف القلم على علم الله يدفع كل شبهة عن هذه الحقيقة • فالأولى بمثل هذا المستشرق بعد أن حارت أفهامه أن يكف لجامه •

العلاقة بين الكسب والخلق :

نظرا لأن جولد تسيهر تحدث فى موضوع الجبر والاختيار وذكر أن مافعله قوم صالح كان كسبا لهم عن حرية واختيار (٢) كان لزاما على أن أبين علاقة الكسب بالخلق حتى لايتوهم أحد أن الكسب لم يكن فى حيز الوجود وهم الذين أوجدوه •

فللعبد كسب فى اختيار أفعاله «وهو يحاسب عليه بالعدل (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (٣) فالجزاء من جنس العمل يقول الله تعالى : (كل نفس بما كسبت رهينة) (٤) ومادة الكسب موجودة «ومخلوقة من الله وحده «فسبحانه كما خلقنا خلق أعمالنا (والله خلقكم وماتعملون) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " والله تعالى قد أثبت للعبد مشيئة «وفعلا كما قال تعالى : (لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشآءون إلا أن يشآء الله رب العالمين) وقال تعالى : (جزآء بما كانوا يعملون) لكن الله سبحانه وتعالى خالقه وخالق كل مافيه من قدرة ومشيئة وعمل • فالفاعل وقدرة الفعل «ونوع العمل جميعها من مخلوقات الله تعالى وليس للإنسان إلا توجيه الارادة إلى الخير أو الشر كما هو فى علم الله (٥)

---

(١) مشكاة المصابيح تأليف الشيخ ولى الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمرى التبريزى تحقيق ناصر الدين الالبانى جـ ١ ص٣٧ (كتاب الإيمان ــ باب الإيمان بالقدر) ط١ طبع منشورات المكتب الإسلامى للطباعة والنشر ١٣٨٠هـ=١٩٦١م • (والحديث رواه أحمد فى المسند "٢ ١٧٦ ، ١٩٧ " والترمذى فى الإيمان "٢ص١٠٧ " وحسنه الترمذى واسناده صحيح (٢) العقيدة والشريعة فى الإسلام ص٩١ بتصرف

(٣) سورة الزلزلة الآية ٨ (٤) سورة المدثر الآية ٣٨

(٥) القضاء والقدر ــ لشيخ الإسلام ابن تيمية مراجعة محمد عبد الله السمان ص١٢ طبع مكتبة أنصار السنة المحمدية ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣م •

وعلى هذا التصرف تكون مسئوليته عما كسبت يداه يقول شيخ الإسلام البيجورى :

ومع أن الفعل خيره وشره لله فالأدب أن لا ينسب له تعالى إلا الحسن فينسب الخير لله والشر للنفس كسبا وان كان منسوبا لله ايجادا قال تعالى : (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك أى كسبا كما يفسره قوله تعالى : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وأما قوله تعالى قل كل من عند الله فرجوع للحقيقة .[1]

هربرت جريمه يدعى أن التعاليم المدنية أكثر جبرية :

اتهم جولد تسيهر القرآن بالتناقض ، ومن بين ما قاله : لقد أمكن أن نثبت أن القرآن يمكن أن يتخذ سندا لأشد وجهات النظر تعارضا فى مسألة من أهم المسائل الأساسية فى الأخلاق الدينية[2] ثم صرح بأنه وقع فى حيرة من هذا التعارض والذى أخرجه منها الأستاذ / هربرت جريمه ، الذى رأى أن التعارض فى مسألة حرية الإرادة والقدرة مرده إلى اختلاف آيات القرآن المدنية عن المكية ، وعبر عن ذلك بقوله : لقد رأى أن المذاهب المتعارضة والمتضادة التى عرضها محمد " صلى الله عليه وسلم " فى مسألة حرية الإرادة والقدرة ترجع إلى أزمان مختلفة من نشاطه النبوى ، وتتفق والتأثيرات التى أوحتها إليه الظروف والأحوال المختلفة فى كل فترة من الفترات .

ففى الأزمان الأولى للعصر المكى كان يقبل تماما حرية الاختيار والمسئولية ولكن فى المدينة أخذ يتوغل شيئا فشيئا فى مذهب الجبر والتعاليم الأكثر جبرية

---

(١) شرح البيجورى على الجوهرة ص٤

(٢) العقيدة والشريعة فى الإسلام ص٩٣

ترجع إلى الفترة الأخيرة [١] .

ملاحظة لا وجه لها من الصحة : وتشهد آيات القرآن الكريم بخطأ (هوبرت جريمه)

لقد نزل بمكة (.. من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا [٢])

ونزل فيها أيضا : (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر [٣]) ونفس

الأمر نزل بالمدينة : (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين [٤]) وفى

سورة محمد المدنية : (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم [٥]) وماتقرره

هذه الآيات الكريمة وماشابهها من آيات الذكر الحكيم أن إرادة الله تعالى نافذة

فى كل المخلوقات ومن بينها الإنسان ، وأن للفرد كسبا فى اختيار أعماله وهو فى

نفس الوقت غير مختار فى اختياره (فالعبد مجبور مختار) وهذا التعبير فسره الإمام

الغزالى رحمه الله تعالى بقوله : " معنى كونه مجبورا أن جميع ذلك حاصل فيه

من غيره لا منه ومعنى كونه مختارا أنه محل لإرادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل

يكون الفعل اختيارا محضا موافقا ، وحدث الحكم أيضا جبرا فإذا هو مجبور على الاختيار [٦]

وحين يذكر القرآن الكريم أن العبد يهتدى أو يضل بنفسه كما هو ظاهر بعض الآيات

الكريمة ، أو أن الله تعالى يهديه أو يضله ، ينبغى أن نراعى أنه مختار فى أعماله ،

ومجبور فى اختياره فدعوى حرية الاختيار فى الآيات المكية وظهور الجبر رويدا رويدا

فى الآيات المدنية لا أساس لها من الصحة . يقول الشيخ محمد الغزالى : " القرآن

فى نظمه ومعناه ، وفى أسلوبه ومرماه لا يختلف مكيه عن مدنيه فى شئ ، فآخره يصدق أوله

وأوله يمهد لآخره ، وهذا التفريق من سخافات المستشرقين ، والمفتونين بهم [٧] "

---

(١) المرجع السابق ٩٣، ٩٤ (٢) سورة الكهف الآية ١٧

(٣) سورة الكهف الآية ٢٩ (٤) سورة البقرة الآية ٢٦

(٥) سورة محمد الآية ١٧ (٦) الإنسان بين الجبر والاختيار محمد سلامه جبر ص ١٢

ط ١ طبع عيسى البابى الحلبى وشركاه ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م .

(٧) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ص ١٤٦

المبحث الثاني

المستشرقون والهجرة

زعموا أن الهجرة النبوية هروب من مشركي مكة :

بدا واضحا لكل الناس ثبات النبي صلى الله عليه وسلم أمام أعدائه لكن المستشرقين أرادوا أن يجعلوا من الهجرة النبوية صورة تهز الثبات فزعم نفر منهم أن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة كانت فرارا من ميدان المعركة ويعبر عن هذا الرأي د رمنغم في كتابه حياة محمد "صلى الله عليه وسلم" بقوله : "دنا النبي وصاحبه أبو بكر من يثرب بعد أن مكثا ثلاثة أيام بغار قريب من مكة ،وقطعا الصحراء هاربين ممن خرجوا لردهما"(١)

دفع هذا الزعم الخاطئ :

أولا : ينبغي أن نُعرّف أمثال هذا المستشرق أن مشركي مكة قد وضعوا خطتهم وجمعوا أمرهم وبيتوا النية لقتل المصطفى صلى الله عليه وسلم قبل أن يهاجر من مكة إلى المدينة وسجل القرآن الكريم هذا : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)(٢) فلم يكن غرض المشركين رد محمد وصاحبه كما زعم د رمنغم وإنما المراد التخلص منهما والقضاء عليهما ، ولم تكن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ،فرارا من أهل مكة ،فالنبي صلى الله عليه وسلم مكث بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو الخلق إلى الحق وإلى الطريق القويم ،وفي هذه الفترة الحافلة بالمصاعب واجه النبي صلى الله عليه وسلم قومه بما يخالف معتقداتهم

---

(١) حياة محمد "صلى الله عليه وسلم" ص٤٠

(٢) سورة الأنفال الآية ٣٠

بلاخوف ولافزع بالرغم من قلة أتباعه ولقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرتين بينما ظل بمكة داعيا إلى الله بإذنه • وسمح لأصحابه بالهجرة إلى المدينة فذهبوا إليها فرادى وجماعات • بينما بقي بمكة مع البقية من أصحابه حتى اطمأن على من هاجر • عزم على اللحوق بهم • ويشهد الواقع بما يحدث من الزعماء الأشداء • والحكام الأقوياء في اللحظات التي تهتز فيها الأرض من تحتهم • وتسحب البسط من تحت أقدامهم وتخلع التيجان من فوق رؤسهم فإما الفرار بالطائرات إلى أرض محايدة • وإما طلب اللجوء السياسي إلى آخر ماهو معروف أما أن يظل ببلده ولا يحاول النجاة بنفسه فهذا بعيدا • وهذا الأمر البعيد كان واقع النبي محمد صلى الله عليه وسلم • حيث انطلق اتباعه إلى أرض المهجر وبقي مع بعض أصحابه يتلو على القوم (فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا) ولهذا أكدت الهجرة إلى المدينة ثبات النبي صلى الله عليه وسلم مبدأ وسلوكا وإن كان هذا الثبات واضحا في حياته كلها • إلا أنه تأكد للناس أجمعين • فلم يكن حرصه صلى الله عليه وسلم على نفسه بأشد من حرصه على الدين وعلى نجاح دعوة الإسلام ونشرها في العالم أجمع •

ثانيا : إنها هجرة تمت بأمر الله • فحينما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وقت الظهيرة وقبيل الهجرة قال له أبو بكر ماجئت في هذه الساعة إلا لأمر قد حدث فقال صلى الله عليه وسلم إن الله قد أذن لي بالخروج والهجرة • وهذا دليل واضح على الحق •

ثالثا : إن المشركين بمكة ضاقوا ذرعا بالدعوة الإسلامية وبارزوا صاحبها وأتباعه بالإيذاء ، ولا يغيب عن أي باحث في كتب السير الإسلامية ، ماحدث لبلال ، ولام أنمار ولأسرة آل ياسر ، وبلغ الأمر أن المسلم لم يجد مكانا آمنا لتأدية الشعائر الإسلامية فيه لكل هذا وأكثر منه كان لزاما أن تتنفس الدعوة الحبيسة الصماء في مكان آخر يكون من الرحب والسعة بحيث تنفك الدعوة من عقالها ويجد اتباعها العز والمتعة ويؤدون شعائر الله بحرية واطمئنان وشاءت إرادة الله تعالى أن تكون الهجرة منطلقا للدعوة حتى لايحصل احتكاك بين اتباع الدعوة والمناهضين لهم في موطنها الأصلي فتظل الأحقاد ، وتتوارث الضغائن ، ويزداد الجو اشتعالا وربما تتأثر الدعوة بذلك مستقبلا . ولذا كان النداء الإلهي .. (ياعبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون) (١) وكان قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) (٢)

قال الطبري : يقول الله تعالى جل ذكره : وأرض الله فسيحة واسعة فهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام ، ثم روى عن مجاهد قوله : فهاجروا واعتزلوا الأوثان وفي نهاية المطاف نقول هل كانت هجرة النبي حادثة فردية لم تحدث لأخوانه ؟ لقد هاجر رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومنهم إبراهيم ، وموسى ، وعيسى من بلد إلى بلد في سبيل الله تعالى مبلغين رسالات الله في عزم وإصرار على هدى وبصيرة ولم يقل أحد أنهم هربوا ، ولايشك مسلم في هجرة هؤلاء جميعا إلى الله ، فلماذا الخوض في هجرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٥٦

(٢) سورة الزمر الآية ١٠

طعن المستشرقين فى معجزة الغار :

ادعى أحدهم أن معجزة الغار من الأعاجيب الموجودة فى الكون والمألوفة لكل الناس وهاهى عبارات د رمنغم فى هذا الصدد : فهذه الأمور الثلاثة وحدها هى المعجزات التى وردت فى التاريخ الإسلامى الجد : نسيج عنكبوت وغرام حمامة ونمو شجيرة وهى خوارق ثلاث تجد لها كل يوم نظائر فى أرض الله (١) .

ويشير الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه " حياة محمد " إلى معجزة الغار بكلام د رمنغم المذكور ويضيف إليه مايؤيده قائلا (على أن هذه المعجزة لم ترد فى سيرة ابن هشام) (٢)

الحقائق تكذب هذا الطعن :

ماذا يقصد د رمنغم بقوله عن معجزات الغار : هى المعجزات التى وردت فى التاريخ الإسلامى الجد ؟

وكأنه لم يحدث غيرها فى تاريخ الدعوة الإسلامية ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل اعتبرها أعاجيب لها أشباه ونظائر فى كون الله تعالى فكم نسج العنكبوت أمام أبواب ونوافذ ، وكم باض الحمام فى أماكن خالية وكثيرا ماتنمو الشجيرات فى أماكن بدون زراعة ولا ماء إلا من ندى السماء والأمر هين فى حدوث هذه الأشياء ، أما أن تجتمع هذه الأمور الثلاثة فى وقت واحد ومكان واحد وتقوم بدورها فى فترة وجيزة بعد دخول المصطفى صلى الله عليه وسلم مع صاحبه أبى بكر رضى الله عنه فى الغار فهو المعجزة بعينها مهما شكك المشككون وتفلسف المتفلسفون . ومعجزات سيدنا

ترجمة / عادل زعيتر

(١) حياة محمد صلى الله عليه وسلم ص ١٤٣

(٢) ص ٢٢٥

رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة ، وليست بحاجة إلى اضافة معجزة الغار لتأييدها .

ويكفى الخلق القرآن الكريم معجزة الدهر ، ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم المدونة فى كتب السنة والتى شاهدها جمع من أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين

حنين الجذع : (عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال كان جذع يقوم إليه النبى صلى الله عليه وسلم فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار (ه) حتى نزل النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه) (١)

ومنها نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم فتوضأ القوم وشربوا وكانوا ألفا وأربعمائة وماحدث عند فم الغار تأييد من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ومايعلم جنود ربك إلا هو وماهى إلا ذكرى للبشر)

عن أنس عن أبى بكر رضى الله عنه قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار فرفعت رأسى فإذا بأقدام القوم فقلت يانبى الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا قال : (اسكت يا أبا بكر اثنان الله ثالثهما) (٢) أخرج البيهقى عن مصعب المكى قال أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة فسمعتهم يتحدثون أن النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر الله عز وجل بشجرة فنبتت فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم فسترته وأمر الله العنكبوت فنسجت فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم فسترته وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل ، بعصيهم وهراويهم وسيوفهم حتى إذا كانوا من النبى صلى الله عليه وسلم بعد أربعين ذراعا فجعل رجل منهم لينظر فى الغار فرأى حمامتين بفم الغار فرجع إلى أصحابه فقالوا له مالك لم تنظر فى الغار قال رأيت حمامتين بفم الغار فعلمت أنه ليس فيه أحد فسمع النبى صلى الله عليه وسلم

(ه) أصوات العشار : جمع عشراء وهى التى أتى على حملها عشرة أشهر كنفساء ونفاس ولاثالث لهما كما فى المصباح (١) كتاب التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح جـ ١ ص ٧٢ (كتاب الجمعة)

(٢) البخارى وبهامشه حاشية السندى بتمامها وتقريرات من شرحى القسطلانى وشيخ الإسلام جـ٢ ص ٢٢١ (كتاب بدء الخلق ــ باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة)

ماقال فعرف أن الله عز وجل قد درأ عنه بهما فدعاهن النبي صلى الله عليه وسلم وسمت عليهن وفرض جزاءهن وانحدرن في الحرم [١] فان لم تذكر سيرة ابن هشام هذه الآيات البينات فقد ذكرتها كتب أخرى وأشارت إلى بعضها كتب السنة النبوية فهل من نجاح الباحث اعتماده على مرجع واحد واهماله ماعداه أو عدم اعتماده ماأشارت إليه بعض كتب الحديث مادامت السيرة النبوية لابن هشام لم تذكره ؟ هذا مايحتاج إلى جواب من مؤلف كتاب " حياة محمد " أما صاحب الأعاجيب فلا يسعنا إلا أن نقول له ولأمثاله : إن ماتقول به تصور في البحث ، وإهمال لتحكيم العقل أفقد صاحبه الصواب فلم يدرك مالله تعالى من قدرة يؤيد بها رسله .

---

(١) كتاب دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة تأليف الإمام الحافظ — أبي بكر ابن الحسين البيهقي تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان جـ٢ ص٢١٤ ط١ طبع دار النصر للطباعة بالقاهرة ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م . (وقال صاحب الفتح في رواية أبي نعيم القريبة من هذه الرواية هذا حديث غريب جدا من هذا الوجه جـ ٢٠ ص ٢٨٤

المبحث الثالث

موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من أعدائه الألداء

تحامل مفكروا الغرب فى الغالب على النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، ووصل الأمر بهم فى كثير من الأحيان إلى تلمس ما عساه أن ينال من مكانته السامقة أو يحط من قدره الرفيع ، من غير مراعاة لأمانة البحث وشرف الكلمة وصدقها ومن هؤلاء المفكرين المستشرق د رمنغم فى كتابه " حياة محمد " الذى ذكر بعض حالات القتل الفردية التى تمت فى أعداء الدعوة الإسلامية ، بموافقة صريحة من الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتى سأذكرها فيما يلى :

" وقد قالت الشاعرة عصماء بنت مروان قصائد قذف بالنبى فقتلت ذات ليلة بين بنيها الذين كان أصغرهم نائما بين ذراعيها ، وقد هجا أبو عفك الذى فى السنة الواحدة والعشرين بعد المائة من عمره الإسلام لمخالفته لدين الآباء فقتل لذلك (١) "

ويقول : وكان كعب بن الأشرف من أغنياء يهود المدينة وكان حبرا شاعرا من شعراء العربية ، وكان محبا لقريش ، فلما كانت واقعة بدر أخذ ينشد الأشعار باكيا قتلى قريش ببدر ، وخرج من المدينة حتى قدم مكة وجعل يحرض على النبى ويقول إن بطن الأرض خير من ظهرها مالم تثأر قريش لقتلاها ولما صار شعراء المسلمين يردون عليه رجع إلى المدينة ليثيرها على النبى وشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم فقال النبى بعد طويل صبر : من لى بابن الأشرف ؟

فقال له محمد بن مسلمة : أنا لك به يارسول الله ، أنا أقتله (٢) ويستمر فى

---

(١) حياة محمد ص ٢٠٦

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٧

حملته المنكرة قائلا : (وإليكم يهود يا آخر إسمه سلام بن أبى الحقيق وكنيته أبو رافع ، فأبو رافع هذا كان كثير الغنى وكان يلقب بتاجر الحجاز ، وكانت له دار بخيبر وكان يحرض يهود خيبر وقبيلة غطفان على المسلمين فأذن النبى لخمسة من الخزرج فى الذهاب إلى خيبر متنكرين ليقتلوه ، وكانوا بقيادة أحدهم عبد الله بن عتيك ونهاهم النبى عن أن يقتلوا وليدا أو امرأة)(١) وبعد تعداده لحالات القتل وذكره أسماء من أذن النبى صلى الله عليه وسلم بقتلهم من النساء ، والشيوخ ، والشبان كما ورد آنفا نجده يعلق على هذا بأسلوب الذم بما يشبه المدح :

" كنا نود ألا نسجل مثل هذه الوقائع فى تاريخ محمد الذى علمنا من نبله وسمو نفسه ما علمنا ، ومحمد هو الذى لم يصنع غير الدفاع عن النفس ببقائه ضمن مبادئ زمنه وبلده الحقوقية ، وكنا نود لو كان محمد " أصفى وأرحم ، ولو كانت صفحته الشديدة النور خالية من ذلك وهو رسول الله الذى بعث أمته وأحياها "(٢) ، الخير كله فى القضاء على هؤلاء الأعداء ، واضح كل الوضوح مقصد هذا الرجل وتتبين نيته من ذكره لحالات القتل وفجيعته لها وتصويره لمقتل عصماء وأولادها حولها ، وأصغرهم بين ذراعيها فمن يسمع مثل هذا ولم يكن عنده خلفية عن رسالة الإسلام وصورة واضحة عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، ماذا يقول عن رسول الإسلام ودعوته ؟ وقد شحن بكل ما ينفره من الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم من الأمر بقتل المرأة والشيخ الكبير ومباغتة أعدائه فرادى ، سيتهمه بأنه غير رحيم وينفر من دعوته وهذا ما يهدف إليه إميل درمنغم وأمثاله وأقول : إن ما فعله النبى محمد صلى الله عليه وسلم هو عين الرحمة والشفقة ماذا لو ترك الشر تنتوى بذوره ويؤتى ثمره المؤذى ؟ فهؤلاء الأفراد هم

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٥

(٢) المرجع السابق ص ١١٢

الخصوم الألداء للدعوة ، وصاحبها محمد صلى الله عليه وسلم وهم في عداوتهم خرجوا عن دائرة الإنسانية فقد أعماهم الحقد وأكل قلوبهم التعصب فمنهم من سب النبي والعياذ بالله تعالى ، ومنهم من نقض العهد ، واشتركوا جميعا في تأليب قومهم على الدعوة وصاحبها محمد صلى الله عليه وسلم واغواء من خلفهم وتحريضهم فلو تركهم الرسول صلى الله عليه وسلم ستكون النتيجة قتل جماعات وأمم بدلا من القضاء على أفراد معدودين علم الله أنه لايرجى منهم خير، فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الذى نهى عن قتل النساء ، والشيوخ ، والأطفال بشروط وضحتها كتب الفقه الإسلامى ، فما كان له أن يبيح قتل هؤلاء الافراد إلا للصالح العام وأحيانا ينصح الطبيب المريض باستئصال عضو من أعضائه ويستسلم المريض ويضطر الطبيب لبتر العضو لأن فى ذلك الشفاء والمنفعة لبقية الأعضاء والإنسان أشرف على الموت ، ومن ذكرهم " د رمنغم " أشبه بسرطان سريع السريان في جسم صاحبه فهم مرض خطير فى أممهم وأقوامهم ، ولاينفع معهم علاج ولا يرجى لهم برء ولم يكن سماح النبي بقتل هؤلاء الافراد انتقاما لنفسه فحسب وهو الذى تنزل عليه (لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الامور)[1] وإنما كان دفاعا عن دعوة الإسلام ، وحرصا على هداية الاقوام من مكيدة هؤلاء الخبثاء الصادين عن الإسلام ، والطاعنين في رسالته والسابين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والفاتنين لقبائلهم وأقوامهم وها هى الشاعرة عصماء بنت مروان تنشد القصائد في قذف الرسول صلى الله عليه وسلم وتحض قومها على قتله حضا وتدفعهم دفعا ، خاصة بعد مقتل أبى عفك وكان من

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٨٦

شعرها فى هذا المضمار السىء مايعيب الإسلام وأهله .

باست بنى مالك والنبيت ... وعوف وباست بنى الخزرج

أطعتم أتاوى من غيركم ... فلا من مراد ولا مذحج

ترجونه بعد قتل الرؤوس ... كما يرتجى مرق المنضج

ألا أنف يبتغى غرة ... فيقطع من أمل المرتجى (١)

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قولها قال (ألا آخذ لى من ابنة مروان؟)

فسمع ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير بن عدى الخطمى وهو عنده

فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها فى بيتها فقتلها ، ثم أصبح مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ، إنى قد قتلتها فقال نصرت الله ورسوله

ياعمير ، فقال : هل على شىء من شأنها يارسول الله ؟ فقال لاينتطح فيها عنزان . (٢)

فهذه امرأة من بنى أمية بن زيد وزوجها من بنى خطمة (ه) وكانت محرضة لقومها

على الإسلام والمسلمين ، وبلغ من نفوذها أن من قومها من أخفى إسلامه خوفا

من عقابها ، ثم إنها طعنت على بنى مالك والنبيت وعوف والخزرج طاعتهم لرسول الله

صلى الله عليه وسلم وهو الغريب عنهم ، ودعتهم أن تأخذهم الأنفة والعزة فيأخذ

واحد منهم الرسول صلى الله عليه وسلم على غرة ، فامرأة سلكت هذا المسلك العدوانى

وحاربت الدعوة ، وصاحبها بكل سلاح ، شأنها شأن أعداء الإسلام من الرجال المتعنتين

والالداء المتربصين ، فهل من الصالح العام تركها ؟ إن الصالح العام

يقضى بسحقها لتسير دعوة الإسلام فى طريقها بلا عوائق تسد الطريق ، وتغلق

الأبواب . وهذا ماحدث ، وما سجله ابن هشام دليلا صادقا ، حيث قال (وأسلم يوم

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٤ ص ٢٠٩

(٢) المرجع السابق جـ ٤ ص ٢٠٩

(ه) خطمه بفتح المعجمة وسكون الطاء المهملة اسم قبيلة (شرح المدد الفياض بنور الشفا للقاضى عياض بالهامش جـ ٢ ص ٢٤٧)

قتلت ابنة مروان ، رجال من بني خطمة ، لما رأوا من عز الإسلام)[١] ، فلا غرابة في التخلص من مثلها ، والكل متفق على قتل المرأة اذا حملت السلاح وقاتلت في صفوف الرجال ، وهذه فعلت أكثر مما يفعله الرجال فصدت قومها عن الإسلام وحالت بين بني خطمة وقبول الدعوة ، وبارزت المسلمين العداء وتطاولت بالسب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مقتل أبي عفك :

أما أبو عفك فبالرغم من كبر سنه الداعي إلى احترام نفسه وحفظ شيخوخته فقد طعن في الرسول صلى الله عيه وسنم ، وما ذلك إلا لأن الحقد أكل قلبه والسواد ملأ عقله ، وساءه انتصار الإسلام ومقتل أعدائه الواحد تلو الآخر قال ابن اسحاق : وغزوة سالم بن عمير لقتل أبي عفك ، أحد بني عمرو بن عوف ثم من بني عبيدة ، وكان قد نجم نفاقه[ه] ، حين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن سويد بن صامت[٢] فأنشد من الشعر مايهيج أولاد قبيلة الحارث بن سويد وطعن في رسول الله صلى الله عيه وسلم لذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لي بهذا الخبيث فخرج سالم بن عمير ، أخو بني عمرو بن عوف ، وهو أحد البكائين ، فقتله ، فقالت أمامه المزيرية في ذلك[٣] :

تكذب دين الله والمرء أحمدا ... لعمر الذي أمناك أن بئس مايمني

حباك حنيف آخر الليل طعنة ... أبا عفك خذها على كبر السن

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٤ ص ٢١٠

(ه) نجم نفاقه : وضح نفاقه

(٢) المرجع السابق جـ ٤ ص ٢٠٨

(٣) المرجع السابق جـ ٤ ص ٢٠٨

ونعلم أن تعاليم الإسلام نهت عن قتل الشيخ الكبير فيمن نهت عن قتلهم أثناء الحرب ، لكنها أمرت بقتل الكبير إن شارك في الرأى وخطط للحرب ، لأنه صار أخطر على الإسلام من غيره ، وقد انكشف أمر أبي عفك بعد قتل الحارث بن سويد العدو اللدود للإسلام حيث حرض قبيلة الحارث على عدم الطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم وبدا كأنــــه يطالبهم بثأر صاحبه ، ومن ثم كان في قتله راحة ، ومن بغى فلا يلومن إلا نفســـه والأمر بعد هذا لايحتاج لتباكي د رمنغم وأتباعه .

مقتـــل كعب بن الاشــرف :

موقف كعب بن الأشرف من الرسول " صلى الله عليه وسلم " وأتباعه :

أ ـ اتخذ كعب بن الأشرف موقفا عدائيا من رسول الله صلى الله عليه وسلم منـــــذ وصوله إلى المدينة مهاجرا .

ب ـ بعد انتصار المسلمين في بدر وارسال بشيرين من قبل الرسول " صلى اللــه عليه وسلم " وهما زيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة لاخبار أهل المدينة بفتــــح الله تعالى ونصره للمؤمنين يقول ابن اسحاق عن جماعة : قالوا : قال كعـــــب بن الأشرف وكان رجلا من طيء ثم أحد بني نبهان ، وكانت أمه من بني النضـــير حين بلغه الخبر : أحق هذا ؟ أترون محمدا قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان يعني زيدا وعبد الله ابن رواحة ـ فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله لئـن كان محمد أصاب هؤلاء القوم ، لبطن الأرض خير من ظهرها (١)

ولم يكتف اللعين بهذا بل خرج إلى مكة بعد أن استوثق الخبر وتأكد من صحتـــه وصار يحرض أهل مكة على الرسول وينشد الأشعار الحماسية ويبكي أصحاب بدر مـــن

---

(١) المرجع السابق جـ ٣ ص ٨

المشركين ثم عاد إلى المدينة بعد ذلك ممرضا بنساء المسلمين ..

يقول ابن اسحاق : " ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عبد الله بن المغيث ابن أبي بردة من لي بابن الأشرف ؟ فقال له محمد بن مَسْلَمَه أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يارسول الله أنا أقتله ، قال فافعل إن قدرت على ذلك "(٢) وورد في صحيح مسلم بشرح النووي قصة مقتله ، حدثنا اسحاق بن إبراهيم الحنظلي وعبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن بن المسور الزهريُ كلاهما عن ابن عُيَيْنَة " واللفظ للزهري حدثنا سفيان عن عمرو سمعت جابرا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الأشرف فانه قد آذى الله ورسوله فقال محمدُ بنُ مَسْلَمَةَ يارسول الله أتحب أن أقتله قال نعم قال ائذن لي فلأقل قال قل فأتاه فقال له وذكر مابينهما وقال إن هذا الرجل قد أراد صدقة وقد عَنَّانَا (ه) فلما سمعه قال وأيضا والله لتَمَلُنَّهُ (ه) قال إنا قد اتبعناه الآن ونكره أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره قال وقد أردت أن تُسْلِفَنِي سَلَفاً قال فما تَرهَنُنِي قال ماتريد قال ترهنني نساءكم قال أجمل العرب أنرهنك نساءنا قال له ترهنوني أولادكم قال يُسَبُّ ابنُ أحدِنا فيقال رهن في وَسقين من تمر ولكن نرهنك اللأمَةَ " يعني السلاح " قال فَنَعَمْ وواعده أن يأتيه بالحارث (ه)

---

(١) المرجع السابق جـ ٣ ص ١٠

(ه) وقد عنانا : هذا من التعريض الجائز بل المستحب لأن معناه في الباطن أنه أدبنا بآداب الشرع التي فيها تعب لكنه تعب في مرضات الله تعالى فهو محبوب لنا والذي فهم المخاطب منه العناء الذي ليس بمحبوب .

(ه) والله لتملنه : هو بفتح التاء والميم أي تتضجرون منه أكثر من هذا الضجر " صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٢ ص ١٦١ "

(ه) أما الحارث : فهو الحارث بن أوس بن أخي سعد بن عبادة

وأبى عَبْس بن جبر وعَبّادِ بن بِشرٍ قال فجاؤا فدعوه ليلا فنزل إليهم قال سفيان قال غيرُ عَمرو قالت له أمرأته إنى لأسمع صوتا كأنه صوت دم قال إنما هذا محمد بن مسلمة ورضيعه وأبو نائلة إن الكريم لو دعى إلى طعنة ليلا لأجاب قال محمد إنى إذا جاء فسوف أمد يدى الى رأسه فإذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل وهو متوشح فقالوا نجد منك ريح الطيب قال نعم تحتى فلانة هى أعطر نساء العرب قال فتأذن لى أن أشم منه قال نعم فشم فتناول فشم ثم قال أتأذن لى أن أعود قال فاستمكن من رأسه ثم قال دونكم قال فقتلوه (١) .

وقد ذكر ابن هشام قصة قتل كعب بن الأشرف بصورة لاتختلف عن هذه إلا فى أشياء يسيرة .وكل ماذكر فى كتب السنة أو السير يؤكد قتل هذا الرجل بالحيلة والمخادعة ويقول المازرى : إنما قتله كذلك لأنه نقض عهد النبى صلى الله عليه وسلم وهجاه وسبه وكان عاهده أن لايعين أحدا ثم جاء مع أهل الحرب معينا عليه .هذا وقد اعتبر بعض الصحابة أن قتل هذا الرجل ليس غدرا لأن الغدر لايكون إلا بعد أمان .وكعب قد نقض عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولم يعطه محمد بن مسلمة أمانا . وهل يبقى عهد وأمان لرجل سب المصطفى العدنان .وبارز المسلمين بالعصيان . وحزن لنصرهم فى أول موقعة بين الكفر والايمان .وألب قريشا وحرضها على الانتقام وشبب بنساء أهل الإيمان؟ ولذا يقول الدكتور : محمد سيد طنطاوى : ولهذه الأسباب نرى أن كعب بن الأشرف هو الذى جنى على نفسه بإيذائه للنبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين .وأنه لو قر كما قر غيره ممن هو على مثل رأيه لما أصابه شر .ونرى أن قتله كان عقابا عادلا لأنه بعد أن نقض عهده وأعرض عن النصيحة وجاهر بعداوته للمسلمين

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٢ ص ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ (كتاب الجهاد والسير ــ باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود)

وسب النبي صلى الله عليه وسلم (١) . ومن الملاحظ أن المسلمين تتبعوا أعداء الدعوة المجاهرين بحرب الله ورسوله بالقتل والإرهاب بعد هجرتهم وانتصارهم في موقعة بدر الكبرى ليطهروا مدينة الرسول من كل غادر وماكر يتربص بالإسلام وأتباعه الدوائر وكان هذا العمل هو عين الصواب ، فسلمت المدينة المنورة من القلاقل والاضطراب وعاد للإسلام مجده وللمسلمين عزهم وأصبحت كلمتهم العليا وكلمة أعدائهم السفلى .

مقتل سلام بن أبي الحقيق :

بعد القضاء على بني قريظة والفراغ منهم بسبب غدرهم تسابق اتباع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإجهاز على أعداء الدعوة قال ابن اسحاق : ولما انقضى شأن الخندق ، وأمر بني قريظة ، وكان سلام بن أبي الحقيق ، وهو أبو رافع فيمن حزب الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الأوس قبل أحد قتلت كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه ، استأذنت الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخيبر فأذن لهم (٢)

وأخرج البخاري عن البراء بن عازب " بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي رافع اليهودي رجالا من الأنصار ، وأمر عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعين عليه ، وذكر ابن عائذ عن عروة " أنه كان ممن أعان غطفان وغيرهم من مشركي العرب بالمال الكثير على النبي صلى الله عليه وسلم (٣) فهذا الرجل ارتكب من الجرائم ما لو قتل في إحداها بأي طريقة لكان عدلا فكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعين عليه : ويعاون أعداءه بالمال فخرج إليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس

---

(١) بنو إسرائيل في القرآن والسنة جـ ١ ص ٣٥٥ ط ١ مطبعة قاصد خير بالقاهرة ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٩ م

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٣ ص ١٧٠

(٣) شرح موطأ الإمام مالك تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني تحقيق : إبراهيم عطوة جـ ٣ ص ٢٨٩ (كتاب الجهاد) ط ١ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٥ م

وأبو قتادة ، الحارث بن ربعي ، وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم فخرجوا وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك ونهاهم عن أن يقتلوا وليدا أو أمرأة) (١)

وقصة مقتل ابن أبي الحقيق مذكورة في كتب السنة الصحيحة ، وفي كتب السيرة النبوية الشريفة لمن يريد الرجوع إليها . ويكفي في هذا المقام أن أذكر حديثا من صحيح البخاري تحت عنوان باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق ويقال سلام بن أبي الحقيق كان بخيبر ويقال في حصن له بأرض الحجاز وقال الزهري هو بعد كعب بن الأشرف . فعن أبي اسحاق عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا إلى أبي رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلا وهو نائم فقتله (٢) . وكان خروجهم لقتله في رمضان ، وقيل في ذى الحجة من السنة الخامسة للهجرة وما نفذه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هؤلاء المجرمين سيظل صفحة بيضاء في جبين البشرية إلى أن يرث الله الارض ومن عليها مهما تباكى المستشرقون ، وصاح الافاكون ، فبالقضاء على هؤلاء الاثمين رفرفت راية التوحيد خفاقة على كثير من بقاع الارض ، وعم نور الرسالة أرجاء المعمورة ، فانطلقت دعوة الإسلام تجوب الآفاق وتخترق الحصون لتزيل الغشاوة ، وتمحو الضلالة ، وكان نهاية القضاء على الظلمة بداية لفتح خيبر ، وهذا أمل منشود ، وثمرة مرجوة تحققا بالفدائية المنقطعة النظير ولذا يقول الدكتور / محمد سيد طنطاوى : ومقتل أبي رافع دب الرعب في قلوب يهود خيبر ، وزالت عن طريق الإسلام عقبة كأداء طالما آذت المسلمين وكان مقتله كتمهيد لفتح خيبر (٣) فيا أيها المشككون رويدكم ، وقبل أن تخدعوا غيركم عودوا إلى رشدكم وانزعوا عن غيكم وإلا فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٣ ص ١٧١

(٢) البخارى بحاشية السندى جـ ٣ ص ١٨ (كتاب المغازى)

(٣) بنو اسرائيل فى القرآن والسنة جـ ١ ص ٣٩٨

" الفصل الثاني "

الحرب والسلام في نظر الإسلام

الحرب والسلام كلاهما واقع في حياة البشرية من قديم الزمان ولقد جاء الإسلام والحرب قائمة بين أكبر دولتين في ذلك الوقت " الفرس ، والروم " وكانت الحرب آن ذاك تقوم لاتفه الأسباب ، وأبعد أفها السلب والنهب والإعتداء على الغير ، بدون مبررات ، فجاء الإسلام ليحصر نطاق الحرب لتقل آثارها البشعة ، فالحرب شريعة في الإسلام لتحقيق السلام ، وهي شر لابد منه ، لاستئصال الشر المستفحل ومبادئ الإسلام لو أحسن الناس فهمها وساروا في ضوئها لعاشوا في وئام وسلام ، فهي تحرم الظلم والاعتداء على الغير وتحض على الرحمة والصفح ، وتدعو الإنسانية جمعاء على اختلاف ألوانها ومشاربها إلى التآلف والتعارف (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) (1) فالإسلام يستأصل جذور الحرب من النفس الإنسانية بتعاليمه السمحة ، وهو بمحاربته للعنصرية ، والتفاوتات الجنسية ، وقطعه دابر الظالمين والمعتدين إنما يقيم السلام ويحيطه بسياج متين حتى لاتضل الإنسانية وتعيش في قلق ورعب وتفتقد أعم مطلب لها وهو الأمن (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) (2) فالإسلام حدد للإنسانية معالم الحياة الآمنة بالسلم والحرب ، لتعيش متعاونة مسالمة فلا يحق لإنسان أن يصمه بأنه دين عدوان ..

---

(1) سورة الحجرات الآية ١٣

(2) سورة البقرة من الآية ٢٥١

المبحث الأول

مفهوم الحرب والسلام في الإسلام

التعريف :

يقتضي المقام أن نعرب الحرب والسلام من الوجهة الإسلامية حرب : الحرب نقيض السلم ، أنثى ، وأصلها الصفة كأنها مقاتلة حرب هذا قول السيرافي (١) ويقول المعز شأنه : (فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون) (٢) وبهذا يبين الله تعالى لنا حكم الكافرين الناكثين للعهود المخالفين للمواثيق فيرشد النبي صلى الله عليه وسلم أن يعمل بهم قتلا وتنكيلا حين يظفرن بهم في الحرب حتى يخاف من خلفهم من أشياعهم فلا يقدموا على مثل فعلهم ، ويقول الله عز وجل (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم) (٣) والشاهد : حتى تضع الحرب أوزارها ، أي آلاتها وأثقالها من السلاح وغيره وحتى للغاية والمراد حتى تنقضي الحرب . والمعنى إذا لقيتم الذين كفروا في المحارب والمقاتل فضرب الرقاب حتى إذا أوقعتم القتل بهم بكثرة وتمكنتم منهم فأسروهم فإما منا بعد وإما فداء وذلك ليحل السلام بزوال شوكة المشركين وكسر شكيمتهم ويقول الله تعالى في شأن أكلة الربا الذين لم يتوبوا بعد (فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) (٤)

---

(١) لسان العرب ص ٣٠٢ المجلد الأول (فصل الحاء ـ حرف الباء)

(٢) سورة الأنفال الآية ٥٨

(٣) سورة محمد الآية ٤

(٤) سورة البقرة الآية ٢٧٩

يقول الآلوسي : فإن لم تفعلوا ما أمرتم به من الاتقاء وترك البقايا إما مع انكار حرمته وإما مع الاعتراف (فأذنوا) فايقنوا بحرب من الله ورسوله • وقيل المراد بالحرب هنا التهديد لا الحقيقة وجمهور المفسرين أن المراد بها الحقيقة وتنكير حرب للتعظيم وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابن عباس فآذنوا بالمد أي فأعلموا بها أنفسكم أو بعضكم بعضا أو غيركم • وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت قال ثقيف لا يدى لنا بحرب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم (١) وحرب جمعها حروب • وتذكر ندرة • " الازهري : انثوا الحرب • لأنهم ذهبوا بها الى المحاربة وكذلك السَّلْم والسَّلْم • يذهب بهما إلى المسالمة فتؤنث " (٢) وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله والمعنى إن مالوا للصلح فأجبهم إليه واجنح للسلم. ودار الحرب : بلاد المشركين الذين لا صلح بينهم وبين المسلمين يقول صاحب المنار : وجرى اصطلاح فقهاء المسلمين على تسمية البلاد التي تنتظم في سلك دولتهم وتنفذ فيها شريعتهم " دار الإسلام • ودار العدل " لأن العدل واجب فيها في جميع أهلها بالمساواة ويسمون مايقابلها " دار الحرب " (٣)

المغازي • والسير

لقد استخدمت كلمة المغازي للتعبير عن الحرب يقول صاحب القاموس المحيط :

(غزاهُ) غزواً أراده وطلبه وقصده كاغتزاه والعَدُوَّ سار إلى قتالهم وانتهابهم غزواً وغزواناً وغَزاوةً وهو غازٍ والجمع غُزّى وغُزّيً كدُلِيٍّ (٤) • وقد وردت غزى بالجمع في القرآن الكريم (يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير) (٥)

---

(١) روح المعاني جـ ٣ ص ٥٣ (٢) لسان العرب المجلد الاول ٣٠٣

(٣) تفسير القرآن الكريم (الشهير بتفسير المنار تأليف الشيخ / السيد محمد رشيد رضا عدد ١٠ ص ٣٦٨ ط ٢ أعيد طبعه بدار المنار ١٣٦٦ هـ = ١٩٥٠ م

(٤) القاموس المحيط تأليف / مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي فصل العين باب الواو والياء جـ ٤ ص ٣٧٢ ط ٢ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢

(٥) سورة آل عمران الآية ١٥٦

والمغازى جمع (مغزى) اسم مكان من الفعل (غزو) (ومغزى الكلام مقصده ، — والمغازى مناقب الغزاة) [١] واشتهر كلمة (المغازى) بالغزوات التى خاضها الرسول صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة حتى اقتصرت عليها ثم اتسع أكثر حتى شمل سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وهكذا .. (والسير جمع سيرة وهى فعله بكسر الفاء من السير فتكون لبيان هيئة السير وحالته إلا أنها غلبت فى لسان الشرع على أمور المغازى) [٢]

العلاقة بين الحرب والجهاد :

والعلاقة بينهما العموم والخصوص الوجهى : فالحرب أخص من الجهاد ، لأن الجهاد يعم قتال العدو ، ومحاربة الشيطان ، وكلمة الحق فى كل مكان وزمان وانكار الباطل ورده باليد وباللسان ثم بالقلب فى حالة الضعف العام لمجتمع الإسلام .

والجهاد : بكسر الجيم وهو لغة كما يقول الشوكانى فى نيل الاوطار المشقة فيقال جاهدت جهادا . وهو شرعا بذل الوسع والطاقة فى سبيل الله بالنفس واليد واللسان ومما يؤيد هذا المفهوم تفسير ابن عباس والسدى ومجاهد قول الله تعالى : (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين جهاد الاولين بالسيف ، والآخرين باللسان وذلك بنحو الوعظ والزام الحجة بناء على أن الجهاد بذل الجهد فى دفع مالا يرضى وهو أعم من أن يكون بالقتال أو بغيره [٣]

أما الحرب فمعناها القتال

---

(١) القاموس المحيط : ص ٣٧٢

(٢) من رد المحتار على الدر المختار على متن تنوير الابصار للعلامة ابن عابدين جـ٣ ص ٣٣٤ بدون عدد للطبع — مطبعة البهية بمصر ١٣٤٩هـ = ١٩٥٠م

(٣) روح المعانى جـ ١٠ ص ١٣٧ بتصرف

مراحل الجهاد في الإسلام :

مر الجهاد في الإسلام بثلاث مراحل :

الأولى : الدعوة إلى الله تعالى بوحيه وذلك في مَهد الرسالة يقول الله عز وجل مخاطبا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم { فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا } (١)

فالله تعالى ينهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن أن يعبأ بمطالب المشركين الغير عادية من طلب إنزال الملائكة أو رؤية الرب تبارك وتعالى ، كما حكى القرآن (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا) (٢) ، ويأمره صلى الله عليه وسلم بجهادهم بالقرآن ، بتلاوته عليهم حتى يسمعوا المواعظ والزواجر ويتذكروا أحوال الأمم الضالة عن التعاليم الربانية وما حل بهم من عقاب .

الثانية : قتال المعتدين وذلك بعد الهجرة بعام

قال الله تعالى : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) (٣)

نقل الواحدي ، وغيره أن المشركين كانوا يؤذونهم وكانوا يأتون النبي عليه الصلاة والسلام بين مضروب ومشجوج ويتظلمون إليه صلوات الله تعالى وسلامه عليه فيقول لهم : اصبروا فإني لم أومر بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية على ما روى الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وأخرجه عبد الرازق وابن المنذر عن الزهري (٤) .

---

(١) الفرقان الآية ٥٢ (٢) الآية ٢١ (٣) الحج الآية ٣٩

(٤) روح المعاني جـ ١٧ ص ١٦١ ، ١٦٢ .

الثالثــة : فقتال كل من يقف عقبة فى طريق الإسلام حتى تصل دعوته إلى كل الناس

بدون عوائق أو موانع ، وحدث هذا بعد أن زاد عدد المسلمين وكثرت عدتهـــم

قال الشافعى (رحمه الله) : ولما مضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة من هجرته أنعم الله فيها على جماعة باتباعه حدثت لهم بها مع عون الله قوة : بالعدد

لم يكن قبلها . "ففرض الله عز وجل عليهم الجهاد ـ بعد إذ كان : أباحـــه

لافرضا فقال تبارك وتعالى : كتب عليكم القتال " الآية (٢ ـ ٢١٦) (١) فشاءت إرادة

الله تعالى أن تصل الدعوة إلى كل الناس تسمعها الآذان ، وتعيها القلوب فإذا

انجذبت العقول لنورها ، وآمنت ، كان باختيار محض منها لا عن جبر أو قسر .

الحرب ضرورة اجتماعية :

تحدثت عن مراحل الجهاد فى الإسلام وبان منها أن القتال مرحلة أخيرة المقصود

بها تأمين الدعوة الإسلامية ، وحماية أهلها وأتباعها من التعرض للنكال والهوان ،

وكسر شوكة الظلم ، والحرب بهذا المفهوم مشروعة فى الإسلام والله عز وجل يقول فى

القرآن الكريم (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضـل

على العالمين) (٢)

فالإسلام أقر الحرب على أنها وسيلة لحل بعض المشاكل الاجتماعية فى وقت كانـــت

القوة الغاشمة هى العائق الوحيـد الذى يقف أمام دعوة الحق (٣) . والذين يستغلون

هذا الموقف المعلوم لاتهام الإسلام ، وللادعاء أنه قام على السيف هم فى كـــــل

العصور الذين امتشقوا السيف وأشعلوا نار الحرب ، وكلما خبت زادوها اشتعـــالا

---

(١) الأم للإمام : الشافعى : أبى عبدالله محمد بن ادريس (١٥٠هـ-٢٠٤هـ)
تصحيح محمد زهرى النجار جـ٤ ص ١٦١ ط(١) شركة الطباعة الفنية المتحدة بالقاهرة
١٣٨١هـ = ١٩٦١م بتصرف

(٢) البقرة الآية ٢٥١ (٣) روح الدين الإسلامى : تأليف عبد الفتاح طباره

ص ٣٩٠ ط ١٧ ـ طبعة بيروت بلبنان ١٩٧٨م .

يقول صاحب المنار : " وعلم من التاريخ أيضا أن شعوب أوربه أشد البشر ضراوة وقسوة فى الحرب فى أطوارها تها كلها من همجية ، ووثنية ، ونصرانية مذهبية وصليبية ومدنية مادية ومن علمائهم وفلاسفتهم الغابرين والمعاصرين من يرى منافع الحرب العامة فى البشر أكبر من مضارها وإن كان الخسار فيها عاما شاملا للغالبين والمغلوبين ، ولاتزال جميع دولهم تنفق على الاستعداد لها فوق ماتنفق على غيرها من مصالح الدولة والأمة (١) . وهذا حال من يدعون أنهم أهل السلام ، وإذ كان الإسلام أقر الحرب واعتبرها ضرورة تلجأ إليها الأمة فى ظروف خاصة لحل ما استعصى ، ولوقف عدو غاشم ، ودفع ظلم قائم ولنشر سلام دائم فإنه نهى عن العدوان ، ووضع للحرب نظاما وآدابا وقانونا احترم فيه الإنسانية وكرم به البشرية فلامثله ولاتعرض لغير المقاتلين " من الاطفال ، والنساء ، والشيوخ الهرمين " ولا اعتداء على الآمنين من المدنيين ولاتعرض لزرع ولا لحيوان بالتلف والضرر . فحرب الإسلام فى واقعها إقرار للسلام وتحرير للإنسان ودفعة للرقى والعمران .

الحرب عند اليهود والنصارى :

حين أتحدث عن النظرة اليهودية والمسيحية إلى الحرب لا أقصد بهذا المقارنة بينهما وبين الإسلام فى نظرته للقتال ، لأنه لامجال للموازنة بين كفتين إحداهما طائشة والثانية متزنة ، وإنما حديثى تذكير بما عند القوم فالحرب عندهم ثابتة وواقعة وكتابهم المقدس يحضهم عليها فى أكثر من موضع ويشير سيد أمير على إلى الروح العدوانية المتغلغلة فى كل من اليهود والنصارى بقوله : ففى حالة اليهود كان الدين عندهم يكرس روح الاعتداء على الغير ويدعوا إلى إبادة ذلك الغير إبادة كلية

---

(١) تفسير المنار جـ ١٠ ص ٣٠٩

وكانت تحل عليهم اللعنة إذا فروا من اعدائهم صغيرا أو كبيرا ففي التوراة خبراً ريحا[1]

وهو الذى جاء فيه : " وكلم الرب موسى فى عربات موآب على أردن أريحا قائـــلا

كلم بنى إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكـــان

الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع

مرتفعاتهم " [2] وشأن اليهود خير شاهد بذلك أما فى حالة المسيحيين الأولـــين

فقد كان مبدأ الخضوع والوداعة الذى دعا إليه النبى الناصرى قد نسيه أصحابـــه

مع عزة السلطان ومنذ اللحظة التى أصبحت فيها المسيحية قوة معترفا بها ودينـــا

سائدا فى مجتمع غدت عدوانية تميل إلى الاضطهاد [3] ومبدأ المسالمة المنسوب إلـــى

يسوع مغالا فيه . ولنضع فقرات من كتب القوم تدل على وجود مبدأ القتال عندهم .

وأسفار العهد القديم تخبر أن داود قاتل أعداءه من الجشوريين والجرزيين والعمالقة

ولم يترك منهم نسمة وأخذ أموالهم ودوابهم ففى سفر صموئيل الأول : وضرب داود الأرض

ولم يستبق رجلا ولا امرأة وأخذ غنما وبقرا وحميرا وجمالا وثيابا ورجع وجاء إلى أخيش " [4]

وهذا موسى عليه السلام أرسل اثنى عشر ألف رجل مع فينحاس بن العازار لمحاربـــة

أهل مدين فلما حاربوهم وأسروا النساء والأولاد غضب موسى لأنهم اكتفوا بهذا مـــن

أعدائهم . وأمرهم بقتل ذكور الأطفال والنساء الثيب وبين النص الذى أمر بـــه

موسى عليه السلام رؤساء الجيش كل ماتقدم : فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفـــال

وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها [5] . ومن يقرأ أسفار التوراة يجد الحرب تلـــو

الحرب ويحس أنهار الدم تجرى من حوله . ويسمع أنين المقتولين بين لحظة وأخرى بدون

---

(١) روح الإسلام/ سيد أمير على ترجمة عمر الديراوى ص٢٣٧ ط٤ طبعة بيروت ١٩٧٧م .

(٢) الكتاب المقدس ص٢٧٢ (سفر العدد ــ ٣٣ ٥٠ : ٥٢)

(٣) روح الإسلام ص٢٣٧ (٤) الكتاب المقدس ص٤٧٥ صموئيل الأول (٢٧ : ٩)

(٥) الكتاب المقدس ص٢٦٦ سفر العدد (٣١ : ١٧)

تمييز بين المحاربين والمسالمين .

والأناجيل لاتخلو من الدعوة الصريحة للقتال وإنجيل متى خير من عبر عن مثل هذه الدعوة " لاتظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض ماجئت لألقي سلاما بل سيفا "(١) يليه إنجيل لوقا الذي لم يكتف نصه باشعال الأرض نارا بل حث العائلة على التفرقة واعلان الحرب فيما بينها . جئت لألقي نارا على الأرض فماذا أريد لو اضطرمت ولي صبغة أصطبغها وكيف أنحصر حتى تكمل . أتظنون أني جئت لأعطي سلاما على الأرض كلا أقول لكم بل انقساما لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة(٢) . إما إنجيل مرقص فقد أخبر أن المسيح دعا تلاميذه الإثني عشر وأمرهم بالتبشير في القرى المحيطة بالناصرة وأوصاهم أن لايحملوا شيئا للطريق غير عصا فقط لامزودا ولاخبزا ولانحاسا في المنطقة(٣) وأمرهم بعد ذلك ببيع مالديهم من متاع حتى ثيابهم ليشتروا بها السيوف كما ذكر لوقا " ثم قال لهم حين أرسلتكم بلاكيس ولامزود ولا أحذية هل أعوزكم شيء فقالوا لا فقال لهم لكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفا(٤) .

فوضح من هذا أن دعوى الموادعة التي نادى بها المسيح عليه السلام ألبسها القوم ثوب الاباطيل وغالوا فيها . ويؤكد هذا عدم وجود أثر لها في الحياة العملية لكل الأمم النصرانية . فمن منهم تلقى ضربة فاستدار ليأخذ الأخرى . ومن منهم أخذ ثوبه . فترك للآخذ رداءه أيضا ومن جانبي أو من بأن المسيح رسول أمن وسلام لكن مسالمته للمسالمين فهي مسالمة محتد لة . بالإضافة إلى أنه رخص في القتال وسمح باتخاذ السيوف لردع البغاة الطغاة . ويحق لنا أن نتساءل هل عمل اليهود والنصارى بما

---

(١) الكتاب المقدس العهد الجديد ص١٨ (١٠ : ٣٤)

(٢) المرجع السابق ص١١٨ لوقا (١٢ : ٤٩ ـ ٥١)

(٣) المرجع السابق ص٦٥ مرقص (٦ : ٨)

(٤) المرجع السابق العهد الجديد ص١٣٨ لوقا (٢٢ : ٣٥ ، ٣٦)

يؤكد قولهم فى الإسلام بأنه دين سيف وعدوان ؟ كلا فواقعهم اعتداء على الأبرياء وسفك للدماء بلا استحياء فلم يترفعوا عن الغدر ، ولم يسموا بأنفسهم عن البغى والظلم ومافعله اليهود بالنصارى فى حروبهم ، ومافعله النصارى باليهود حين لمع نجمهم وما ارتكبته طوائف بعضهم مع بعض تشيب له الولدان ويمقته كل من كان عنده ذرة من الإيمان ، وماحدث منهم ضد أهل الإسلام لايغيب عن الأذهان خصوصا جرمهم فى هذا الزمان ، وهذا سلامهم سحق وتحطيم لمن لايتبعهم وهم بتجنيهم على الإسلام واتهامهم له بأنه دين عدوان يحاولون أن يوقفوا زحفه بالقضاء على نخوة الرجولة فى أبنائه وهذا مرادهم ، الذى من أجله يبذلون جهدهم . وهم فى مسعاهم هذا يضللون الناس بقولهم إن المسيحية دين محبة ترفض الحرب ولقد رد عليهم محمد حسين هيكل بما اختصاره " التاريخ أمامنا شاهد عدل فمنذ فجر المسيحية إلى يومنا هذا وأقطار الأرض مخضبة بالدماء باسم السيد المسيح ، ولقد ظلت جيوش النصارى تتدفق من أوربا قاصدة أقطار الشرق الإسلامية ، تسفك الدماء وفى كل مرة يبارك البابوات هذه الجيوش الزاحفة للاستيلاء على بلاد الإسلام ، فهل كان هؤلاء البابوات جميعا هراطقة ، أم كانوا جهالا لايعرفون أن المسيحية تنكر القتال ؟ (١)

---

(١) حياة محمد " صلى الله عليه وسلم " ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ بتصرف

المبحث الثاني

اتهام الإسلام بأنه دين السيف والرد عليه

تعالت صيحات المستشرقين بأن الإسلام دين سيف وعنف وان ووضعوا لترويج هذه الفرية برنامجاً من الدعاية مستغلين الصحف العالمية المسخرة لخدمتهم ، ودور النشر العالمية الميسرة لمهمتهم ، فنادراً ما نقرأ كتاباً لمستشرق يخلو من مثل هذا الافتراء وذلك " ليقروا فى أذهان الشباب أن الإسلام دين وحشى لا يعرف أهله سوى ذرائع القهر وسفك الدماء لفرض سيطرتهم بأسه •

قال نلسون : وأخضع سيف الإسلام شعوب افريقيه وآسية شعباً بعد شعب[٢] ويزعم لطفى ليفونيان أن تاريخ الإسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح أما واشنجتون أرفنج فيقول : ولكننا نلاحظ أن محمداً فى بعض مراحل حياته كان (رسول السيف) وهم لا يسأمون من ترديد هذه الفرية ، ومن أعجب المناقضات أنهم وأممهم يحتلون بلاد الإسلام وغير الإسلام بحكم القهر ، ويشهرون السلاح فى وجه كل من يطالب بالحرية ممن نكب باحتلالهم لبلاده •

لاإكـــراه فى الدين :

تبين لنا فيما تقدم من أقوال خصوم الإسلام مدى الافتراء على دعوة الإسلام ووصمها بأنها انتشرت بالقسر والاكراه وهى فى الحقيقة قائمة على العدل ، ومنتشره فى كل أرجاء الأرض بالحكمة والموعظة الحسنة • وقبل أن أفند زعم المستشرقين أجد لزاماً على أن أوضح المراد من قول الله تعالى : (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لانفصام لها والله سميع عليم)[٢] يقول ابن كثير : يقول الله تعالى (لا اكراه فى الدين ")

---

(١) التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ص ٤١

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦٩

أى لاتكرهوا أحدًا على الدخول فى دين الإسلام فإنه بين واضح جلى دلائله وبراهينه لايحتاج الى أن يكره أحد على الدخول فيه بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لايفيده الدخول فى الدين مقسورا (١) فالنفى بمعنى النهى ، وهو ماذهب إليه فى تأويل الآية كثير وذهب آخرون إلى أنه خبر محض (٢) والمعنى ليس فى الدين اكراه من الله تعالى بل مبنى أمر الإيمان على الاختيار قال القفال موضحا له : لما بين تعالى دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للعذر أخبر بعد ذلك أنه لم يبق بعد ايضاح هذه الدلائل للكافر عذر فى الإقامة على الكفر إلا أنه يقسر على الإيمان ويجبر عليه وذلك مما لايجوز فى دار الدنيا التى هى دار الابتلاء إذ فى القهر والاكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان ونظير هذه الآية قوله تعالى : (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (٣)) وللعلماء فى معنى الآية آراء ذكرها القرطبى فى تفسيره نوجزها :

الأول : قيل إنها منسوخة ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قد أكره العرب على دين الإسلام وقاتلهم ولم يرض منهم إلا بالإسلام ، قاله سليمان ابن موسى ، وقال نسختها يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم .

الثانى : ليست بمنسوخة وإنما نزلت فى أهل الكتاب خاصة ، وأنهم لايكرهون على الإسلام إذا أدوا الجزية ، والذين يكرهون أهل الأوثان فلايقبل منهم إلا الإسلام

---

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام اسماعيل بن كثير المتوفى ٧٧٤هـ المجلد الأول ص ٣١٠ طبع دار احياء الكتب العربية

(٢) تفسير القاسمى " محاسن التأويل - محمد جمال الدين القاسمى تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ج ٣ ص ٦٦٤ ط ١ طبع دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه ١٣٣٢هـ = ١٩١٤م .

(٣) تفسير القاسمى ج ٣ ص ٦٦٥

هذا قول الشعبي وقتادة والحسن والضحاك .

الثالث والرابع :

أنها نزلت في حالة خاصة كما في أولاد الأنصار .

الخـــامس :

لاتقولوا لمن أسلم تحت السيف هذا مجبر مكره .

السادس :

وهي أنها وردت في السبي متى كانوا من أهل الكتاب لم يجبروا إذا كانوا كبارا وإن كانوا مجوسا صغارا أو كبارا أو وثنيين فإنهم يجبرون على الإسلام (١) ونستخلص من هذه الاقوال مانرجحه بالدليل : فالرأي الخامس لايؤدي إلى المعنى المراد من الآية فحكم من أسلم في حالة القتال بل والسيف مسلط على عنقه وضحته آية سورة النساء وفيها تظهر حقيقة الاسلام السمحة في قبول اسلامه على حسب ماظهر منه يقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولاتقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا (٢))

وكذلك الرأي السادس وهو أنها وردت في السبي غير مراد لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل هذا في أسرى بدر بل أطلق سراح البعض وقبل الفداء عن البعض الآخر

---

(١) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن جـ ٣ ص ١٠٨٨ ، ١٠٨٩

(٢) سورة النساء آية ٩٤

يقول ابن تيمية :

والآية نص عام أننا لانكره أحدا على الدخول فى الدين فلو كان الكافر يقتل حتى يسلم لكان هذا أعظم الاكراه على الدين [١] ولذا نرجح قول من يقول بنزول الآية فى خاص من الناس مع عموم حكمها فى كل ماجانس المعنى الذى أنزلت فيه .

يقول ابن كثير رحمه الله :

وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية فى قوم من الأنصار وإن كان حكمها عاما [٢] فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : " كانت المرأة مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده ، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا لاندع أبناءنا فأنزل الله عز وجل (لااكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى [٣]) قال أبو داود : المقلاة التى لايعيش لها ولد ولامعنى لقول من زعم أن الآية منسوخة الحكم ، بالإذن بالقتال فإن سورة البقرة مدنية كلها ، وفيها غير آية تأمر بالجهاد وفيها (٢ : ٢١٦ كتب عليكم القتال) فكيف يقال : إنها قبل الأمر بالقتال ثم سبب نزول الآية يدل على أن هذا كان بعد الأمر بالجهاد بمدة [٤]

ويؤيد هذا ماحكاه الطبرى فإن قال قائل فما أنت قائل فيما روى عن ابن عباس وعمن روى عنه من أنها نزلت فى قوم من الأنصار أرادوا أن يكرهوا أولادهم على الإسلام ؟ قلنا ذلك غير مدفوعة صحته ، ولكن الآية قد تنزل فى خاص من الأمر ، ثم يكون حكمها عاما فى كل ماجانس المعنى الذى أنزلت فيه فالذين أنزلت فيهم هذه الآية على

---

(١) مجموعة رسائل ابن تيمية (٦٦١ ــ ٧٢٨ هـ) تحقيق محمد حامد الفقى ص١٢٣ بدون عدد للطبعة ــ مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م.)

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٣ ص٣١٠

(٣) سنن أبى داود للإمام أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى (٢٠٢ــ٢٧٥هـ) تعليق عزت عبيد ، عادل السيد جـ ٣ ص١٣٢ ط ١ طبع دار الحديث بحمص بسوريا ١٣٩١هـ ، ٧١م

(٤) مجموعة رسائل ابن تيمية ص١٢٤ بتصرف

ماذكر ابن عباس وغيره إنما كانوا قوما دانوا بدين أهل التوراة قبل ثبوت عقد الإسلام لهم ، فنهى الله تعالى ذكره عن اكراههم على الإسلام ، وأنزل بالنهي عن ذلك آية يعم حكمها كل من كان في مثل معناهم ، ممن كان على دين من الأديان التي يجوز أخذ الجزية من أهلها ، وإقرارهم عليها على النحو الذي قلنا في ذلك (١) .

فظهر من كل ماتقدم أنه لانسخ في الآية ، وأننا لانكره أحدا على الدخول في الدين إلا المحاربين فلنا تخييرهم إن كانوا أهل كتاب ومن على شاكلتهم ممن لهم شبهة كتاب بين ثلاثة أمور . الإسلام ، الجزية ، القتل ، وإن كانوا وثنيين فلنا تخييرهم بين أمرين الإسلام أو القتل وبذا وضح الحق من الباطل وتميز الرشاد من الغواية يقول القاسمي : فعلم من هذه الآية أن سيف الجهاد المشروع في الإسلام والذي لايبطله عدل عادل ولاجور جائر لم يستعمل للاكراه على الدخول في الدين ولكن لحماية الدعوة إلى دين الله والإذعان لسلطانه وحكمه العدل (٢) وبذا زال الضباب وبان الصواب ، ولو حدث اكراه في الدين لبطل الثواب والعقاب ، ولايعقل الاكراه في الدين لأنه في الواقع الزام للغير بأمر لايرى فيه خيرا يدفعه على اعتناقه والدين خير كله يقول الشيخ عبد العزيز جاويش : وماكان الإسلام وهو دين الفطرة ومجموع الكمالات والآداب الربانية ، أن يساق إليه الإنسان بالقهر والغلظة ، وأن ينتشر في العالم بالسيوف والنيران (٣)

---

(١) تفسير الطبري جـ ٥ ص ٤١٥

(٢) تفسير القاسمي جـ ٣ ص ٦٦٥

(٣) الإسلام دين الفطرة والحرية ص ١٥٢ بدون عدد للطبعة ـ مطابع دار المعارف بمصر ١٩٦٨م . بتصرف

الدافع إلى القتال :

علم مما تقدم أنه لا اكراه فى الدين ولا اعتداء على المسالمين ولو كانوا غير مسلمين وهذا ما أجمع عليه رأى فقهاء الإسلام على توالى الأزمان مستدلين بنصوص القرآن وسنة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى : (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين) (١)

يقول الآلوسى : والآية تنهى عن الاعتداء (ولاتعتدوا) أى لاتقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير ولامن ألقى إليكم السلم وكف يده فإن فعلتم فقد اعتديتم رواه ابن أبى حاتم عن ابن عباس أو لاتعتدوا بوجه من الوجوه كابتداء القتال أو قتال المعاهد أو المفاجأة من غير دعوة أو قتل من نهيتم عن قتله قاله بعضهم ، وأيد بأن الفعل المنفى يفيد العموم (٢) وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (لاتمنوا لقاء العدو فاذا لقيتموهم فاصبروا) (٣) . فواضح من الآية الكريمة والحديث النبوى الشريف أنه لااعتداء من جانب المسلمين ولذا يقرر الفقهاء أن سبب القتال فى الإسلام هو الاعتداء من جانب أعدائه أو توقعه منهم يقول ابن الهمام أثناء حديثه عن النهى عن قتل الشيوخ والنساء والولدان لأن المبيح للقتل عندنا هو الحراب (٤) فالمسالم لايقتل وإنما يسالم فليس القتال لمجرد الكفر فقط وماورد فى القرآن الكريم فى قول الله عز وجل (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (٥)

---

(١) البقرة آية ١٩٠ (٢) روح المعانى جـ ٢ ص ٧٥

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٢ ص ٤٥ (كتاب السير والجهاد ـ باب كراهية تمنى لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء) (٤) شرح فتح القدير للامام كمال الدين محمد بن عبد الواحد (المعروف بابن الهمام) الحنفى المتوفى سنة ٨٦١ جـ ٤ ص ٢٩ مطبعة مصطفى محمد بمصر . (٥) سورة التوبة آية ٢٩ .

يشير إلى هذا المعنى فغاية القتال دفع الجزية كما أشارت الآية الكريمة ولو كان المراد منها أنهم يقاتلون لكفرهم لكان غاية القتال إسلامهم ، ولما كان هناك داع للجزية وعن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)(١).

فالحديث المذكور يوضح بجلاء أنه ينبغى قبول من دخل فى الإسلام بامتثاله لأركانه التى أولها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ولا ينقب عن باطنه فأمره وحسابه إلى الله ولنا الظاهر والله يتولى السرائر ويقول ابن تيمية فى معنى الحديث : هو ذكر للغاية التى يباح قتالهم إليها بحيث إذا فعلوها حرم قتالهم والمعنى إنى لم أومر بالقتال إلا إلى هذه فإن هذا خلاف النص والإجماع فإنه لم يفعل هذا قط ، بل كانت سيرته أن من سالمه لم يقاتله(٢).

ولو كان القتال لسبب الكفر فقط لما حرم الإسلام قتل الراهب ، والشيخ الكبير والمريض والمرأة والعاجز عن القتال لمرض أو كف بصر ، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين شاهدة بكل هذه المعانى الإنسانية فلم يرغموا أحدا على الدخول فى الدين ولم يعتدوا على المسالمين أو ينقضوا عهد المعاهدين وإنما كان قتالهم حماية للدعوة الإسلامية من المعتدين ، وصونا لدعاتها من المجرمين وضمانا لوصول الدعوة إلى الناس أجمعين ، ونشرا للعدل والحق المبين

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١ ص ٢١٠ ، ٢١١ (كتاب الإيمان ـ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، صحيح البخارى : ج ١ ص ١٣ (كتاب الإيمان ـ باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة) كتاب الشعب

(٢) مجموع رسائل ابن تيمية ص ١١٧

الجهاد فرض عين أم فرض كفاية :

معنى فرض الكفاية أنه إذا قام به البعض سقط الوجوب عن الباقين وإن لم يقم به البعض أثم الجميع أما فرض العين فواجب على الجميع لا يكفي فيه تأدية البعض عن الكل

متى يتعين الجهاد :

ويتعين الجهاد في ثلاثة مواضع :

أحدهما : إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الإنصراف وتعين عليه المقام لقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) ..

الثاني : اذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم .

الثالث : اذا استنفر الإمام قوما لزمهم النفير معه لقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض) الآية والتي بعدها ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم " اذا استنفرتم فانفروا "[1]

معنى الكفاية في الجهاد :

لمدلول الكفاية في الجهاد خصوصية ، وهي أن يشترط في البعض الذي يقوم بالجهاد أن يكونوا من القوة والكثرة التي تمكنهم من مجابهة العدو ، ويشير ابن رشد في الجهاد الى هذا المعنى بقوله : " فأما حكم هذه الوظيفة فأجمع العلماء على أنها فرض على الكفاية لا فرض عين ، ومعنى الكفاية في الجهاد أن ينهض للجهاد قوم

---

(١) المغني لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ، المتوفى سنة ٦٢٠ هـ على مختصر أبي القاسم عمر بن حسين بن عبد الله بن أحمد الخرقي ، بتصحيح الدكتور / محمد خليل هراس مطبعة الامام . المنشية بالقلعة بمصر جـ ٩ ص ١٧٩ (كتاب الجهاد) باختصار

يكون فى قتالهم ،إما أن يكونوا جندا لهم دواوين من أجل ذلك أو يكونوا قد أعدوا أنفسهم له تبرعا بحيث إذا قصدهم العدو حصلت المنفعة بهم ويكون فى الثغور من يدفع العدو عنها (١) .

والذين ذهبوا إلى أن الجهاد فرض كفاية : استدلوا بقول الحق تبارك وتعالى : (وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) (٢)

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يبعث السرايا وينتظرهم مقيما مع بعض أصحابه حتى يعودوا ،ولم يخرج للغزو إلا وترك " صلى الله عليه وسلم " البعض لحين العودة من القتال .

أما من ذهبوا إلى أن الجهاد فرض عين :

فقد استدلوا بقول الله عز وجل : (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون) (٣)

وبقوله تعالى : (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (٤) فلا أحد من الناس إلا خفيف أو ثقيل .

وحديث أبى هريرة ،عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق (٥) "

ونستخلص من كل هذا أنه لاتعارض بين أدلة الفريقين فالجهاد فى عمومه فرض عين وفى حالة خاصة يكون فيها فرض كفاية وهذا ما أشار إليه الإمام ابن قيم الجوزية

---

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد (٥٢٠ ــ ٥٩٥ هـ) جـ ١ ص ٣٨٠ (كتاب الجهاد) ط٤ مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥م .

(٢) سورة التوبة الآية ١٢٢ (٣) سورة البقرة الآية ٢١٦

(٤) سورة التوبة الآية ٤١ (٥) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٢ ص ٥٦ (كتاب الإمارة - باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو)

بقوله : والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب وإما باللسان وإما بالمال وإما باليد فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع أما الجهاد بالنفس ففرض كفاية (١) ويكون الجهاد باللسان وبالمال كجهاد النفس في الحكم فاذا جاهد العالم بلسانه في بلاد الكفر وفي غيرها سقطت المسئولية عن الباقين من المسلمين واذا جاهد الغني بماله بما يغطي احتياج المعركة فقد سقط الاثم عن الباقين من الاغنياء وهكذا أما جهاد القلب فعام وعين على الجميع حتى عند العاجز عن القتال .

محاولة الغاء الجهاد :

إن فكرة نسخ الجهاد يهودية حاول دعاتها بواسطة تثبيتها في الأذهان وقف المد الإسلامي وشل حركته ، ففي القرن التاسع عشر ظهرت فرقتا البهائية (ه) والقديانية (ه) ، والاولى بكستانية النشأة ، والثانية هندية النبتة ، ودفع بهما الاستعمار في تيار الإسلام لتنفيذ خططه ، ونشر أفكاره فقامت كلتا الطائفتين تنادي بالغاء الجهاد وبعض الشرائع الإسلامية . قال البهاء : البشارة الأولى التي منحت من أم الكتاب في هذا الظهور الأعظم لجميع أهل العالم محو حكم الجهاد من الكتاب (٢) وتبعه نجله (عباس أفندي) على نفس الدرب مع محاولة توجيه الدعوة لكل الأديان ، فقال في

---

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد محمد صلى الله عليه وسلم جـ ٢ ص ٥٨

(ه) المؤسس للبابيه رجلان من أهل الشرق وهما : الباب ، وبهاء الله ، والباب من أهل شيراز عاصمة فارس اسمه ميرزا على محمد ولد في غرة المحرم ١٢٣٥ هـ ــ ١٨١٩ م . (البهائية تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية : عبد الرحمن الوكيل ص ٥٧ ط ١ مطبعة السنة المحمدية ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ وأما بهاء الله واسمه ميرزا " حسين على " ولد في ٢ محرم سنة ١٢٣٣ هـ ــ ١٨١٧ م بطهران (المرجع السابق ص ١٢٥ عهد البهاء والبهائية : سليم قبعين ص ١٣ مطبعة العمران بمصر ١٩٢٢)

(ه) مبتدعها " ميرزا غلام أحمد قادياني " المولود في سنة ١٨٩٩ م في بلدة قاديان في ولاية بنجاب في الهند الشمالية الغربية تقع نصف هذه الولاية الآن في الهند والنصف الآخر في باكستان الغربية وعاصمتها لاهور . (القاديانية عرض وتحليل د / محمد اسماعيل النووي ص ٩ (سلسلة البحوث الاسلامية العدد ١٠٩ السنة العاشرة) ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م)

(٢) البهائية تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية ص ٢٦٦

الخطاب الذى ألقاه فى المجمع اليهودى بسان فرنسيسكو : بعد دعوته إلى تقارب الأديان يمكننا أن نرفع الحرب والتنازع والقتال والحصول على الألفة بين جميع الأديان (١) ونادى القاديانى فى أمته قائلا : وليس الوقت وقت السيوف والأسنة بل أوان تزكية النفوس (٢)

وهذه النداءات لها أثرها فى إضعاف عزيمة المسلمين ، وتمكين المستعمرين من السيطرة عليهم بأيسر السبل ، والغرب بما أوتى من قوة مادية وبما لديه من أسلحة فتاكة يرغب فى تحقيق أهدافه ، وفى استنزاف خيرات بلاد الإسلام بدون التعرض لأقل الخسائر ، بل من غير مقاومة من المسلمين ، يقول الدكتور / وهبه الزحيلى :

يخاف الغربيون لاسيما الإنجليز من ظهور فكرة الجهاد فى أوساط المسلمين حتى لاتتوحد كلمتهم فيقفوا أمام عدوانهم ولذلك يحاولون الترويج لفكرة نسخ الجهاد ويذكر حديثا تم بينه وبين المستشرق الانجليزى "اندرسن" ملخصه أنه قابله (*) وسأله فى موضوع الجهاد فكان من نصيحته له أن يقول : إن الجهاد اليوم ليس بفرض بناء على مثل قاعدة "تتغير الأحكام بتغير الأزمان" اذ أن الجهاد فى رأيه لايتفق مع الأوضاع الدولية الحديثة لارتباط المسلمين بالمنظمات العالمية والمعاهدات الدولية ولأن الجهاد هو الوسيلة لحمل الناس على الإسلام وأوضاع الحرية ورقى العقول لاتتقبل فكرة تفرض بالقوة (٣) ومثل هذا الكلام لايحتاج لبرهان لكشف زيفه ، وخداعه فالأجدر (بأندرسن) أن ينصح قومه بهذه النصيحة فهم الذين حاربوا المسلمين واستولوا على الكثير من بلادهم وقد مر زمن كانت الإمبراطورية الإنجليزية لاتغرب الشمس عنها والقاعدة التى ذكرها لاتنطبق على ماورد فيه نص من الكتاب والسنة والمعاهدات فى الإسلام لها نظامها

---

(١) عبد البهاء والبهائية ص ٥٩ (٢) القاديانية ص ٦٢

(*) تمت المقابلة فى مساء يوم الجمعة ٣ يونيو ١٩٦٠م .

(٣) آثار الحرب فى الفقه الاسلامى الدكتور / وهبه الزحيلى ص ٧٩ بالهامش بدون عدد للطبعة طبع دار الفكر بدمشق ـ ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢م . باختصار

وجهاد الإسلام ليس لحمل الناس على الدين كرها كما ذكرت في معنى قول الله تعالى لا اكراه في الدين والإسلام دعوة سلام تحفظ الانسان أيا كان لونه وتحميه من الطغيان والظلم ، وحين يتعرض السلام للخطر ، ويظهر الاعتداء من البشر فلامفر من تدخل قوة السلام لتحسم الأمر " فقاتل في سبيل الله لاتكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا [١] " ويكون الحض على القتال والتوبيخ على التقاعس ، للحفاظ على العدل والحق وهزيمة الباطل .

(يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل [٢])

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من أصل الايمان : الكف عن قال لا اله الا الله لا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل ، والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والإيمان بالأقدار [٣] يقول الشوكاني : (قوله والجهاد ماض) الخ فيه دليل على أن الجهاد لا يزال مادام الإسلام والمسلمون إلى ظهور الدجال [٤])

فلا نكال عن الحرب ، ولا زهد في الجهاد ، في شرع الإسلام ومادامت الحرب في الإسلام تجارة رابحة سيظل المسلم الصادق محبا لها (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون [٥])

---

(١) سورة النساء الآية ٧٤ (٢) سورة التوبة الآية ٣٨

(٣) نيل الاوطار : جـ ٧ ص ٢١٣ كتاب الجهاد والسير باب أن الجهاد فرض كفاية وأنه شرع مع كل بر وفاجر (٤) المرجع السابق ص ٢١٤

(٥) سورة الصف الآيتان ١٠ ، ١١

وعن ابن المبارك عن محمد بن يسار عن قتادة أنه تلا هذه الآية الكريمة (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فقال ثامنهم الله فأغلى لهم الثمن) (١)

فالجهاد فى الإسلام تجارة رابحة ، لأنه فى سبيل الله وليس حرفة لسلب الأموال وسفك الدماء ، وإنما هو عمل مشروع لإقامة الحق ونشر السلام .

---

(١) جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ١١ ص ٣٥

كيفيــــــة انتشـــــار الإســـلام

ذاع بين الناس أن الإسلام انتشر بحد السيف ، بينما تؤكد الحقائق الثابتة أن المسلمين تحملوا من أذى أعدائهم ماتنوء به الجبال فصبروا ، ووصل الأمر بهم إلى الهجرة الى الحبشة مرتين ، ثم الى يثرب حيث استقبلهم الانصار بالمحبة والإيثار كما وصفهـــــم القرآن الكريم (والذين تبوءو الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهـــــــم ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصـــــة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم الفلحون)(١)

وفى البداية لم يتأقلم المهاجرون بجو المدينة المغاير لجو مكة الصحو وهوائهـــــا النقى ، فاشتاقوا إلى مكة وزاد حنينهم إلى ديارهم مما جعل النبى صلى الله عليـــه وسلم يدعو ربه أن يحبب إليهم المدينة فيقول : " اللهم حبب إلينا المدينة كحبنــــا مكة أو أشد وصححها وبارك لنا فى صاعها ومدها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة " واستجاب الله تعالى دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم وعاش المهاجرون مع الأنصار بالمدينة

وتحملوا سويا المصاعب ، واجتازوا الازمات فى صورة من الإيثار لم تعهدها البشرية من قبل فكان الرجل من الأنصار يتنازل عن إحدى زوجاته ليتزوجها أخوه المهاجر ولقد بينت السنة النبوية صمود هؤلاء النفر الميامين ، وما كانوا عليه من تقشف ، عن عروة عن عائشة أنها كانت تقول : " والله ياابن اختى إن كنا للننظر إلى الهلال ثـــم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلـــم نار قال قلت ياخالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء إلا أنه قد كـــــان

---

(١) سورة الحشـــــر الآية ٩

لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقيناه (١) "

وعن عائشة رضى الله عنها قالت ماشبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعا حتى قبض (٢) " حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن اسماعيل حدثنا قيس قال سمعت سعدا (ه) يقول : "إنى لأول العرب رمى بسهم فى سبيل الله ورأيتنا نغزو ومالنا طعام إلا ورق الحبلة (ه) وهذا السمر وإن أحدنا ليضع كما تضع الشاة ما له خلط ثم أصبحت بنو أسد تعزرني على الإسلام خبت إذا وضل سعى (٣) " وتمر هذه الأوقات الشديدة الضيق على المسلمين بينما يستمتع القرشيون فى مكة بأموالهم ، ويكون قبضتهم على المستضعفين من المسلمين الذين عجزوا عن الهجرة ، ويعدون عدتهم للانقضاض على المسلمين بأرض المهجر ، وأصبح المسلمون حيال هذا الموقف أمام أمرين :

١ـ إما أن يستكينوا ويرضوا بهذا الهوان ولا مفر من هجوم عدوهم .

٢ـ وإما أن ينتصروا للحق ، ويستعدوا لاستخلاص أموالهم ، ونصرة الضعفاء من أخوانهم وهم بهذا يجبرون قريشا أن تفكر فى أمر الدعوة الاسلامية من جديد وهذا مااختاره النبى صلى الله عليه وسلم فمهد للجهاد ونشر الدعوة ، بإقامة جبهة داخلية متماسكة يسودها الإخاء والمساواة ثم بمعاهدة جوار مع اليهود المجاورين له بالمدينة .

المعاهدة بين الرسول صلى الله عليه وسلم واليهود :

بعد الهجرة إلى يثرب آخى النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار بأخوة فاقت أخوة النسب ، فكانوا قلبا واحدا ويدا واحدة ولم يقتصر الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا الأمر من الأخوة الإسلامية وإنما أقام صلة المسلم بغيره على

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٨ ص ١٠٧ و ١٠٨ (كتاب الزهد) ، البخارى بحاشية السندى جـ ٤ ص ١٢٣ (كتاب الدعوات ـ باب كيف كان عيش النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتخليهم عن الدنيا) (٢) البخارى بحاشية السندى جـ ٤ ص ١٢٣

(ه) سمعت سعدا : أى سعد بن أبى وقاص (ه) الحبلة بضم الحاء المهملة وإسكان الموحدة والسمر بفتح السين وضم الميم وهما نوعان من شجر البادية كذا قاله أبو عبيدة وآخرون (صحيح مسلم بشرح النووى الهامش جـ ١٨ ص ١٠١ . (٣) البخارى بحاشية السندى جـ ٤ ص ١٢٣

أساس الوشيجة الإنسانية العامة التى تربط الانسان بأخيه الانسان ، وجمل دليلها (أحب للناس ماتحب لنفسك) فالناس فى حاجة إلى التعاون على قضاء الحوائج وتبادل المنافع والمصالح ولا يتم هذا الا فى ظل السلام والمحبة .

ولقد كان اليهود يعيشون بجوار المسلمين فى يثرب وهم يهود بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة ، فبدأهم النبى صلى الله عليه وسلم بالمودة ، وبسط لهم يد الرحمة فكتب كتابا بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه اليهود وعاهدهم ، وبين فيه حقوق المسلمين وواجباتهم ، وحقوق اليهود وواجباتهم وكان الغرض من هذا الميثاق :

١ـ حصول التعاون التام بين الفريقين ؟

٢ـ الدفاع عن يثرب اذا تعرضت للخطر .

وقد جاء فى هذه المعاهدة ما اختصاره :

١ ـ أن المؤمنين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس .

٢ـ أن اليهود أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم .

٣ـ أن اليهود يفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين .

٤ـ أن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم .

٥ـ أن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم .

٦ـ أن من ظلم وأثم فانه لايوتغ (ه) الا نفسه وأهل بيته .

٧ـ أن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة .

٨ـ مايحدث بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخشى منه الفساد فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم . (١)

(ه) يوتغ : يهلك

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ٢ ص ١٠٦ ـ ١٠٨ بتصرف

السرايا والغزوات قبل غزوة بدر :

وهى بمثابة إعلان للدعوة الإسلامية فى أرجاء الجزيرة العربية وفى نفس الوقت تنبيه للطامعين فى النيل من المسلمين ، بأن دعوتهم لها قوة وشكيمة ، تحميها من كل من أرادها بسوء ، ثم هى فى النهاية تهديد لأمن قريش ، التى عددت أمن المسلمين وماتزال .

سرية حمزة بن عبد المطلب :

ولذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب على رأس ثلاثين رجلا من المهاجرين فى شهر رمضان فى الشهر السابع من الهجرة ، ليعترض عيرا للمشركين عائدة من الشام فى اتجاه شاطئ البحر من ناحية العيص ، يقودها أبو جهل بن هشام فى ثلثمائة من أصحابه ، وتقابل الفريقان ، وهما بالقتال لولا تدخل مجدى بن عمرو الجهنى ، وكان حليفا للفريقين جميعا ، فحجز بينهم فلم يقتتلوا (١)

سرية عبيدة بن الحارث :

ثم أرسل النبى صلى الله عليه وسلم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف مع ستين رجلا من المهاجرين فى شهر شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة فلقى أبا سفيان بن حرب فى مائتى رجل عند بطن رابغ على عشرة أميال من الجحفة وجرت مناوشة بين الفريقين ولم تشهر فيها السيوف إلا أن سعد بن أبى وقاص قد رمى بسهم فى سبيل الله ، فكان أول من رمى بسهم فى سبيل الله ثم انصرفوا بدون قتل

---

(١) زاد المعاد ـ جـ ٢ ص ٨٣ بتصرف

لأحد أو قتال . ويقول الأستاذ /حسن فتح الباب : ويتبين من الظروف التى لابست هذه السرية أن مقصدها لم يكن الحرب وإنما تحقيق الأغراض الآتية :

١ـ التلويح باستخدام القوة للدفاع عن النفس اذا سولت قريش لنفسها غزو المدينة

٢ـ إقناع المشركين أن المسلمين يملكون القوة الكفيلة بدحرهم وأنهم على أهبة الاستعداد لمقابلة القوة بالقوة (١)

سرية سعد بن أبى وقاص :

أرسله صلى الله عليه وسلم إلى الخرار من أرض الحجاز فى الشهر التاسع من الهجرة وكان معه عشرون راكبا ليعترضوا عير قريش ،فلما وصلوا المكان وجدوا العير قد مرت فعادوا الى المدينة (٢) .

غـزوة ودان (ه) :

هى أول غزواته صلى الله عليه وسلم خرج فيها بنفسه ،قال ابن اسحاق : " حتى بلغ ودان ،وهى غزوة الأبواء يريد قريشا وبنى ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة فوادعه فيها بنو ضمرة وكان الذى وادعه منهم مخشى بن عمرو الضمرى ،وكان سيدهم

---

(١) القيم الخلقية والإنسانية فى الغزوات ص ٢٩ ـ الكتاب السادس والثلاثون ـ السنة الثالثة ـ سلسلة البحوث الإسلامية ١٣٩١هـ= سبتمبر ١٩٧١م

(٢) زاد المعاد جـ ٢ ص ٨٣ بتصرف

(ه) ودان : بفتح الواو وتشديد الدال ،ويقال لها " الأبواء " بفتح الهمزه وسكون الموحدة ممدودا منصوب على المفعولية ،وهى قرية من عمل الفرع بينها وبين الجحفة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلا

فى زمانه [١] وقد رجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بدون قتال بعد أن كتب بينه وبينهم كتابا اشترط فيه أن لاتغزوه بنو ضمرة ولا يغزوها ، ولا يعينوا عليه أحدا ولا يكثروا عليه جمعا .

غزوة بـــواط [٥] :

وفيها استعمل النبى صلى الله عليه وسلم على المدينة السائب بن عثمان ابن مظعون وخرج فى مائتين من أصحابه حتى بلغ بواطا وقابل هناك مائة رجل من قريش فيهم أمية بن خلف الجمحى ومعهم ألفان وخمسمائة بعير ، ولما لم يجد مناوشة منهم آثر السلم وعاد فى شهر جمادى الأولى إلى المدينة أى بعد خمسة عشر شهرا من الهجرة [٢] .

غــزوة العشــيرة [٥] :

وفيها خرج النبى صلى الله عليه وسلم فى جماعة من أصحابه ليعترض عير قريش الذاهبة إلى الشام ، يقول ابن قيم الجوزية فوجد صلى الله عليه وسلم العير قد فاتته بأيام وهذه العير خرج فى طلبها أثناء عودتها من الشام ، وهى التى وعده الله إياها أو المقاتلة ، ووفى له بوعده ، وفى هذه الغزوة وادع بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة [٣]

---

(١) السيرة النبوية جـ ٢ ص ١٧٠ ، ١٧١ . بتصرف

(٥) بواط بضم الموحدة وفتحها وتخفيف الواو ، جبلان فرعان أصلهما واحد من جبال جهينة مما يلى طريق الشام وبين بواط والمدينة أربع برد (زاد المعاد جـ ٢ ص ٨٣)
زاد المعاد : جـ٢ص٨٣ .

(٢) المرجع السابق ، السيرة النبوية لابن هشام جـ٢ ص ١٧٦ بتصرف

(٥) العشيرة : بالشين المعجمة والتصغير ببطن ينبع ، ويقال لها العشير والعسيرا والعشيراء (البخارى بحاشية السندى جـ٣ ص٣ ، السيرة النبوية جـ٢ ص١٧٦)

(٣) زاد المعاد : جـ٢ ص ٨٤ بتصرف

غزوة سفـــوان :

وتسمى : غزوة بدر الأولى

عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة العشيرة إلى المدينة ولم يمكث بهـــــا سوى ليال معدودات لاتبلغ العشر ، حتى أغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدينة فاستاقه وكان يرعى بالحمى ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه حتى بلغ واديا يقال له : سفوان ، من ناحية بدر فلم يدركه فرجع الى المدينة (١) وهذه الغزوة تبين لنا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان محقا فى بعث السرايا الأولى ولولا ذلـــك لدلمع الأعداء وحاربوه داخل المدينة .

سرية عبد الله بن جحـش :

كانت سرية عبد الله بن جحش أول بدء للقتال بين المؤمنين والكافرين فقد أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رجب من السنة الثانية للهجرة عقب بدر الأولى ، ومعــه جماعة من المهاجرين ، وأعطاه كتابا وأمره أن لاينظر فيه الا بعد مسيرة يومين ، وأن ينفذ ما أمره ولا يستكره أحدا من أصحابه ، وفتح عبد الله الكتاب بعد يومين من المسير يقول ابن القيم فوجد فيه : اذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلـــة بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم ، فلما نظر عبد اللـــه بن جحش فى الكتاب قال : سمعا وطاعة (٢)

ثم قرأ على أصحابه الكتاب ، وقال لهم من كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيهــا فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فساروا معه لم يتخلف منهم أحد ، وأثناء سيرهـــم

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٢ ص ١٧٨ بتصرف

(٢) زاد المعاد .. جـ٢ ص٨٤

إلى نخلة ، شرد بعير لسعد بن أبى وقاص ، وعتبة بن غزوان كانا يتعقبانه فتخلفا عن الركب فى طلبه ، ومضى بقية الركب إلى نخلة وإذا بعير قريش تمر حاملة تجارتها بما فيها من الأدم والزبيب فتشاور القوم وقال بعضهم والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم به ولئن قاتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام ، وأجمعوا أمرهم على قتالهم فرمى واقد بن عبد الله التميمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله وأسر المسلمون عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان ، وظفروا بعير قريش ، فلما قدموا على رسول الله قال لهم ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام ، ووقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا وسقط فى أيدى القوم وظنوا أنهم قد هلكوا .(١)

استغلال قريش واليهود لهذا الموقف :

اعتبرت قريش واليهود ما حدث فرصة كبيرة للتشنيع بالمسلمين ، فقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال وتفاءل اليهود بذلك ، وظنوا أن الحرب ستستمر بين المسلمين ومشركى العرب ولما أكثر الناس فى التقول على أصحاب هذه الغزوة نزل قول الله تعالى : (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)(١) فكانت هذه الآية تقرير الجهاد السرية ، ودفاعا عن المؤمنين

---

(١) المرجع السابق بتصرف

(١) سورة البقرة الآية ٢١٧

فقد ارتكب المشركون ماهو أشد جرما وأثما من القتال فى الشهر الحرام فقد صدوا عن سبيل الله ، وكفروا بالله ، ومنعوا المسلمين من دخول المسجد الحرام ، وأخرجوا أهله منه ، وفتنوا المسلم فى دينه ليردوه إلى الكفر ثم هم مستمرون فى كيدهم لايألون جهدا فى محاربة المسلمين ليردوهم عن دينهم ، وهذا منتهى الجرم ، وأفظع الإثم ، يقول أمين دويدار : لقد فعلت قريش بالمسلمين الأفاعيل ، ولكنها تناست كل مافعلت ، ولم تذكر الا حادثة ابن الخضرمى واستلاب العير ، وحاولت اثارة العرب بها على الإسلام واتباعه ولكن الله تعالى رد كيدهم فى نحورهم ، وجعل هذه الحادثة مفتاحا من مفاتيح الخير ، وسببا من أسباب النصر والتأييد الذى ظفر به المسلمين فى واقعة بدر[1] وكان نزول الآية الكريمة فرجا من الله للمسلمين ، وتأييدا لعمل المجاهدين وماكان من قريش إلا أن بعثت فى فداء الأسيرين ولم يجب النبى صلى الله عليه وسلم طلبها حتى عاد سعد وعتبة فأفدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسيرين ـ عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان يقول ابن اسحاق : ولما تجلى عن عبد الله بن جحش ورفاقه ماكانوا فيه من حرج ، ولوم حين نزل القرآن الكريم طمعوا فى الأجر ، فقالوا : يارسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين ، فأنزل الله عز وجل فيهم (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم فوضعهم الله عز وجل من ذلك على أعظم الرجاء[2] .

---

(١) صور من حياة الرسول ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ط ٤ طبعة دار المعارف بمصر ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٢ ص ١٨١ بتصرف

الهدف من هذه السرايا والغزوات المدنية :

١ـ يلاحظ أن السرايا والغزوات التى تمت قبل غزوة "بدر الكبرى" لم يحدث فيهما قتال اللهم إلا ماكان من سرية "عبد الله بن جحش" .

٢ـ أن من بين أهدافها اعتراض قوافل التجارة الخاصة بقريش .

٣ـ إعلام مشركى مكة أن المسلمين على استعداد للتضحية .

٤ـ وسيلة لنشر الدعوة الإسلامية وتبليغها للقبائل العربية فالقتال لم يكن غرضا من أغراضها الأساسية وإنما كان القصد منها إرهاب العدو وتهديد أمنه ، وإظهار دعوة الإسلام فى قوتها أمام قبائل العرب المجاورة للمدينة حتى لاتطمع فى الإغارة على المسلمين بالإضافة إلى تمرين الجماعة الإسلامية على المناورة ، والمحاورة بهذه الطلعات الاستطلاعية ، والدوريات المنتظمة ومعرفة منافذ الطرق ، ثم جس نبض القبائل العربية المحيطة بالطرق بين المدينة وشاطىء البحر الأحمر ليعلم مدى ولائهم لقريش ، وهذه كلها أمور من قبيل الحيطة والحذر والعمل لها واجب وبعد ذكر الهدف من السرايا والغزوات الأولية سأتعرض فى إيجاز لأهم الغزوات الباقية والبارزة فى تاريخ الدعوة ، لنرى من خلالها أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرض بالقتال وسيلة للإقناع ولم يستعمل الحرب مع أعداء الله ، والدعوة إلى الله تعالى إلا لرد بغيهم ودفع عدوانهم فكانت حروبه صلى الله عليه وسلم دواء لأمراض مستفحلة وقضاء على أوبئة فتاكة ، وكانت بداية الاستئصال للشرك والوقاية من شره " .

" غـــزوة بدر الكبرى "

في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة علم الرسول صلى الله عليه وسلم أن عـــير قريش مقبلة من الشام ، وهي العير التي خرج المسلمون في طلبها وهي متوجهة إلى الشام فلم يدركوها في غزوة العشيرة ، وكانوا أربعين رجلا فيهم أبو سفيان بن حرب فقصدهم الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلثمائة وبضعة عشر رجلا من المهاجريـــن والأنصار ، وساروا في اتجاه بدر ، ولم يكن معهم إلا فرسان ، وسبعون بعيرا — يتعقبونها في طريقهم ، وعلم أبوسفيان بأن المسلمين خرجوا في اتجاه بدر ، وقد يعترضون القافلة ، فأرسل إلى قريش ضمضم بن عمرو الغفاري يطلب النجدة ، ونهضت قريـــش مسرعة لانقاذ عيرها حين علمت بنبأ العير وخرج مايقرب من ألف رجل لكن أبا سفيـــان حول سير تجارته عن بدر إلى ساحل البحر الأحمر ، يقول ابن القيم الجوزية : ولما رأى أن العير قد نجت ، وبعدت عن قبضة المسلمين كتب إلى قريش أن ارجعوا فإنكـــم إنما خرجتم لتحرزوا عيركم وتنقذوا تجارتكم وأموالكم وهاهي قد نجت فأتاهم الخبر وهم بالجحفة فهموا بالرجوع لكن أبا جهل قال والله لانرجع حتى نقدم بدرا فنقيم بهـــا ونطعم الطعام لمن يحضرنا من العرب وتخافنا العرب بعد ذلك (١) .

وعلم الرسول صلى الله عليه وسلم بقدوم قريش ونجاة العير فاستشار أصحابه فـــي ملاقاة القوم قائلا " إن الله وعدني إحدى الطائفتين إما العير وإما النفير ، وقد أفلت العير فلم يبق إلا النفير . وأبدى أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم استعدادهـــم للجهاد في سبيل الله فقد أذن الله تعالى لهم فيه بعد أن أخرجوا من ديارهـــم

---

(١) زاد المعاد جـ ٢ ص ٨٦ بتصرف

بغير حق ، وعاهم القرشيون يهددونهم ويعلنون تسفههم على مقربة منهم ..

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها إسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز)(١) وفى صبيحة يوم الثلاثاء فى السابع عشر من شهر رمضان تلاقى الجيشان فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين وماهى إلا ساعات معدودات تشابكت فيها السيوف ، وحصدت سيوف الحق الكثير من رؤس الشرك وانجلت المعركة بنصر القلة المؤمنة وهزيمة الكثرة المجرمة فقد " جاء النصر ، وأنزل الله جنده وأيد رسوله والمؤمنين ومنحهم أكتاف المشركين أسرا وقتلا فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين "(٢) واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلا وعقب الغزوة استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فى الأسرى عملا بقول الله تعالى (وشاورهم فى الأمر) وقبل رأى الأغلبية فعفى عن البعض ، وقبل من كثير منهم الفداء ، ولم يقتل منهم سوى اثنين النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبى معيط فكانا مجرما حرب وألداء للدعوة ، لم يدعا مسلكا فيه إيذاء للنبي وصحبه ، وتعويق للإسلام ، وطعن فى القرآن إلا سلكاه ، ويظهر لكل راء من هذه الغزوة أن المسلمين خرجوا لملاقاة العير بادىء ذى بدء ، ولما أفلتت العير ماكان من أبى جهل إلا أن قاد ركب الشرك إلى بدر مظهرا الفسق ومصرا على الفجور، ومعلنا التحدى للمسلمين بأنه لن يعود حتى تسمع بهم العرب وبما يونهم . فهل مثل هذا الموقف يستدعى التخاذل من جانب المسلمين ؟

---

(١) سورة الحج الآيتان ٣٩، ٤٠

(٢) زاد المعاد .. جـ٢ ص٨٨

كلا ماكان للنبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه الكرام أن يقفوا مكتوفى الأيدى أمام هذه القوة الغاشمة وإن مافعله المشركون بقيادة أبي جهل هو سبب القتال .

نتيجة غـــزوة بدر :

تركت غزوة بدر آثارها بالنسبة للمسلمين ،فازدادوا إيمانا على إيمانهم ،وأصبحـــوا لايبالون بقوة أعدائهم ،ورفعوا من نفوس إخوانهم بمكة فتنفس المسلمون بها الصعداء وترقبوا في ثبات يوم النصر المبين والفتح العظيم .

وبالنسبة للمشركين : توجعوا لقتلاهم ،وعزموا على استرداد كرامتهم ،واسترجـــاع هيبتهم بين العرب ،فبدأوا يستعدون للقتال .

وبالنسبة للمنافقين : فكانوا أهل نفاق على دين أبائهم من الشرك إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره ،واجتماع قومهم عليه ،فأعلنوا الإسلام واتخذوه جنة من القتل ونافقـــوا في السر ،وكان هواهم مع أعداء الإسلام من المشركين واليهود[1] . وتذبذب هـــؤلاء المنافقون في موقفهم بعد غزوة بدر أيعلنون شركهم ؟ وحينئذ سيتعرضون لقوة الإسلام الكاسحة ولاطاقة لهم بها أم يسلمون حقا وصدقا ؟ فيكونون ضمن المؤمنين المنتصرين ويخسرون صداقة المشركين واليهود لقد استقر رأيهم على أن يتقوا عداوة المسلمين بإظهار الإسلام وإبطان الكفر (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلـــى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون)[2] وقد ازداد حقدهم على مر الأيام وكشف القرآن الكريم مخازيهم وتوعدهم بالعذاب الأليم .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ٢ ص١١٥ بتصرف

(٢) سورة البقرة الآية ١٤

وبالنسبة لليهود :

ماكادوا يرون المسلمين ،وقد عادوا من بدر منتصرين تغمرهم فرحة النصر ،وتكسوا وجوههم عزة الإسلام حتى غلت قلوبهم من الحقد ،فطفحت بما في داخلها من بغضاء فجاهروا بما أسروا ، يقول ابن قيم الجوزية : وذهب كعب بن الأشرف إلى مكة وجعل يؤلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين (١) .

غزوة بني قينقاع :

عاش يهود بني قينقاع بجوار المسلمين بالمدينة في وئام وسلام ومضى عام على هجرة المسلمين ،واليهود بعهدهم آمنين ،وحين تم النصر في بدر تحركت نزوات الشر في نفوسهم وظهر الحقد في تصرفاتهم ،يقول ابن اسحاق :

كان من أمر بني قينقاع أن أمرأة من العرب قدمت إلى سوق بني قينقاع ومعها حليـة تريد بيعها ،فجلست إلى صائغ منهم فجعل اليهود يجبرونها على كشف وجهها فأبت ،فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ،فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا بها ،فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله ،واجتمعت اليهود على المسلم فقتلوه ،فغضب المسلمون ووقع الشر بينهم وبين بني قينقاع (٢) .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم رساءهم وجمعهم بسوق بني قينقاع وحذرهم عاقبة أمرهم فقالوا يامحمد ،إنك ترى أنا قومك ؟ لايغرنك أنك لقيت قوما لاعلم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس (٣) .

---

(١) زاد المعاد جـ ٢ ص ٩١

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ٣ ص ٥ بتصرف

(٣) المرجع السابق

فأنزل الله تعالى : (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار)[(١)]

وحينئذ سار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك بعد غزوة بدر بشهر وحاصرهم خمسة عشر يوما حتى نزلوا على حكمه ، وكانوا حلفاء الخزرج جميعا بما فيهم من بنى عوف .. فمشى عبادة بن الصامت إلى النبى صلى الله عليه وسلم وتبرأ إلى الله تعالى وإلى رسوله من حلفهم وولايتهم ، وذلك بالنيابة عن بنى عوف وقال أتولى الله ورسوله والمؤمنين . وقام عبد الله بن أبى سلول وأمسك بدرع النبى صلى الله عليه وسلم قائلا : لا والله لاأرسلك حتى تحسن إلى فى موالى أربعمائة حاسر ، وثلثمائة دارع قد منعونى من الأحمر والأسود ، تحصدهم فى غداة واحدة إنى والله أخشى الدوائر ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم لك[(٢)] .

وفى موقف عبد الله بن أبى سلول ، وعبادة بن الصامت نزل قول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لايهدى القوم الظالمين فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين)[(٣)] وقوله تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)[(٤)] .

---

(١) سورة آل عمران الآيتان ١٢ ، ١٣ (٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ٣ ص٦

(٣) سورة المائدة الآيتان ٥١ ، ٥٢ (٤) سورة المائدة الآيتان ٥٥ ، ٥٦

جـــلاء بني قينقـــاع :

ولما أصاب الرعب بني قينقاع وعجزوا عن الدفاع عن أنفسهم نزلوا على حكم رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ، فأخلى سبيلهم على أن يخرجوا من المدينة بنسائهم وذريتهم إلى أذرعات بها الشام وأخذ المسلمون أموالهم وسلاحهم ، وتم رحيلهم باشراف عبادة بن الصامت وهكذا نهاية الخائنين .

سبب جلائهـــم :

ذكرت أن النبي عقد معاهدة جوار بين المسلمين واليهود ضمنت هذه المعاهدة الأمان لمن يلتزم بشروطها والتي من بينها :

١ـ أن بين (المتعاهدين) النصح والنصيحة والبر دون الإثـــم .

٢ـ أن من ظلم وأثم فانه لا يوقع إلا نفسه وأهل بيته .

ولم يعمل اليهود بالبندين المذكورين فانتهكوا حرمة الإسلام بإيذائهم لسيـــدة من نساء المسلمين . ولما ذهب النبي صلى الله عليه وسلم إليهم ليعاتبهم علـــى جرمهم ظاهروا بالعداوة والبغضاء وكان من قولهم له كما ذكرت ، إنا والله لئـــن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس . وهم بقولهم هذا قد كشفوا عما في صدورهم من الكيد للإسلام والاستعداد لحربه فجلاءهم كان نتيجة لارتكابهم الإثم ، ونكثهم العهد ثـم الاصرار على السير في طريق العدوان .

ولفنسون يسدل الستار على جرائم اليهود :

ويحاول ولفنسون بدهاء أن يسدل الستار عن هذه الجرائم فيجعل أسباب الجلاء في أمور لا أساس لها من الواقع العملي أو التاريخي فيرجع بأسباب الجلاء إلى :

١ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد تطهير المدينة من كل من يخالف دينه ويهود بني قينقاع ألصق بالمسلمين من غيرهم حيث يعيشون معهم في حي واحد .

٢ـ طمع النبي صلى الله عليه وسلم في أموالهم فهم أغنى طوائف اليهود .

٣ـ قلة عددهم أغرت المسلمين بهم .

٤ـ أيضا ماكان بينهم وبين إخوانهم اليهود من عداء (١) .

وهذه الأسباب التي ذكرها لا وجه لها من الصحة ولا واحد منها مبرر للجلاء وإلا فقد وجد بالمدينة المنافقون وهم ألصق بالمسلمين من هؤلاء اليهود ولم يتخلص النبي صلى الله عليه وسلم منهم .

ولو كان المقصود أموال القوم كما يدعي ولفنسون لاكتفى المسلمون بأخذها وتركوهم يجمعون أموالا أخرى ليبتزوا أموالهم أولا بأول فهم قلة لا تأثير لها كما قال والمسلمون بحاجة للمال . أما عن العداء بينهم وبين يهود بني النضير وبني قريظة فهذا أمر دائم وبين كل اليهود أخبر به القرآن : (لايقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لايعقلون (٢)) وليس من دأب المسلمين الصادقين استغلال مثل هذه الفرص

---

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ص ١٢٨ بتصرف واختصار

(٢) سورة الحشر الآية ١٤

غزوة أحـــد :

ماحل بقريش في غزوة بدر أثار حمية الكفر ، فكثير من أصيب آباؤهم وأبناؤهم وأقرباؤهم في بدر طلبوا بالثأر لهم . وكان أبو سفيان بن حرب رئيس المشركين في تلك الحين يتألم لانتصار المسلمين ، وهزيمة أتباعه يقول ابن قيم الجوزية : فأخذ يؤلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين فجمع قريبا من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء والأحابيش وجاءوا بنسائهم لئلا يفروا ليحاموا عنهن ثم أقبل بهم نحو المدينة فنزل قريبا من جبل أحد بمكان يقال عينين (٥) وذلك في شوال من السنة الثالثة للهجرة (١) ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبقى المسلمون بالمدينة فإن أقام الأعداء أقاموا بشر مكان وإن دخلوا عليهم قاتلوهم لكن الشباب الذين لم يشهدوا بدرا ، استعظموا ذلك وألحوا في الخروج لمقابلة الأعداء خارج المدينة فوافقهم النبي صلى الله عليه وسلم تلبية لرغبتهم ، فتحرك ألف رجل إلى ميدان المعركة وفي منتصف الطريق بين أحد والمدينة تخلف عبد الله بن أبي (زعيم المنافقين) مع ثلثمائة من أخوانه ، وأثر هذا في صفوف المسلمين لكن الله سلم وأتم سبعمائة رجل من المؤمنين المخلصين المسيرة إلى أحد ونظم الرسول صلى الله عليه وسلم الجند ووزع كل جماعة في مكان مناسب له ورهم في القتال ، فوضع خمسين رجلا من الرماة على شعب في جبل أحد وراء الجيش لحمايته من الخلف ، وقال لهم احموا لنا ظهورنا فإننا نخاف أن يجيئوا من ورائنا ووضع جماعة في الميمنة وأخرى في الميسرة وابتدأت المعركة بإشارة منه صلى الله عليه وسلم وتقدم المسلمون في البداية إلا أن الرماة نسوا تعاليم الرسول لهم

---

(٥) عينين : جبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة (روح المعاني جـ ٣ ص ٤١)

(١) زاد المعاد جـ ٢ ص ٩١

ونزلوا أرض المعركة ، اعتقادا منهم قرب نهاية نصرهم وأملا في مساعدة إخوانهم في جمع الغنائم ، وسرعان ما انتهز العدو الفرصة وصعدت جماعة منه إلى الجبل فانكشف ظهر المسلمين وفاجأهم العدو من خلفهم ، ودخل بين صفوفهم فسادت الفوضى في جموعهم ، وبعد أن كانوا يقاتلون في صفوف متراصة كل في موقعه بانتظام وخطة محكمة صاروا مبعثرين ، وأشاع المشركون أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فطار لب المسلمين وتمكن عدوهم من توجيه ضربات متلاحقة بينما الصحابة يبحثون عن الرسول ولما وجدوه حيا التفوا حوله وقد أصيب ببعض الجروح فعن أنس " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته (٥) وهو يدعوهم إلى الله فأنزل الله عز وجل (ليس لك من الأمر شيء) (١)

واضطر المسلمون إلى الانسحاب والعودة إلى المدينة برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قتلوا اثنين وعشرين رجلا واستشهد منهم سبعون شهيدا وكان مما نزل في هذه الموقعة قول الله تعالى : (وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (٢) فقد همت طائفتان بالضعف حين رأوا انخذال عبد الله بن أبي بن سلول مع جماعته ، وعن جابر رضي الله عنه قال : نزلت هذه الآية فينا إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا بني سلمة وبني حارثة وما أحب أنها لم تنزل والله يقول والله وليهما (٣) .

---

(٥) (كسرت رباعيته) : هي بتخفيف الياء وهي السن التي تلي الثنية (أي تلي الناب) من كل جانب وللانسان أربع رباعيات " صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٢ ص ١٤٨ (بالشرح)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي جـ١٢ ص١٤٦ (كتاب الجهاد والسير ـ باب غزوة أحد)

(٢) سورة آل عمران الآيات ١٢٠ ، ١٢٢ (٣) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٤٠٠ بتصرف

العبرة من غزوة أحـــد :

١ـ أخذ المسلمون د رسا مفيدا من هذه الغزوة ،فعلموا أن من الواجب الركون إلى رأى القائد المجرب فى مثل هذه الأمور ،خصوصا وأنه المصطفـــــى صلى الله عليه وسلم ٠

٢ـ الخلل الذى حدث بعودة المنافقين أثناء السير إلى أرض المعركة وما وقـــع من بلبلة لبنى سلمة وبنى حارثة (٥) لولا أن عصم الله ٠

كل ذ لك يوجب تطهير صفوف الجيش من كل منافق وخائن قبل بدء المعركـــة

٣ـ مخالفة تعاليم القائد ومالها من أثر سيء كما حدث مع الرماة ٠

٤ـ النظر إلى الغنيمة قبل انتهاء المعركة عامل من عوامل الهزيمة ٠

ولقد كانت هذه الغزوة مرآة كشفت المنافقين وميزت أهل اليقين من ضعـــاف المسلمين الذين طمعوا فى متاع الدنيا الزائف ولذا يقول الله تعالى : (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبأذ ن الله وليعلم المؤمنين ٠ وليعلم الذين نافقوا وقيـــــل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أ و ادفعوا قالوا لونعلم قتالا لاتبعناكم هـــــم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم والله أعلـــــم بما يكتمون) (١) ٠

وبعد هذا العرض الموجز أقول للمتهمين للإسلام بالعدوان من السبب فى القتال فى هذه المعركة ؟ المسلمون أم المشركون ؟ إن الذين خرجوا من د يارهـــــم أولا إلى أحد هم السبب الأول فى القتال ،وهم الذين جعلوا المؤمنين يخرجون لملاقاتهم وحربهم ٠

---

(٥) بنو سلمة وبنو حارث قبيلتان من الأوس

(١) سورة آل عمران الآيات ١٦٦ ، ١٦٧

غــزوة بنى النضـــير :

سبب الغزوة : عقد رسول الله صلى اللهعليه وسلم عهد أمان للعامريين لـــم يعلم به عمرو بن أمية فقتل رجلين من بنى عامر اعتقادا منه أن بنى عامر هــــم الذين قتلوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند بئر معونة ــ وكانوا سبعين من القراء ــ علما بأن بنى عامر لم يقدموا على هذا الفعل ،والذين أقدموا عليـــه قبائل من بنى سليم من (عُصَيَّة ورِعلٍ وذَكوان) يقول ابن اسحاق : ولذا لما علم رسول الله بما ارتكبه عمرو بن أمية عزم على دفع ديتهما [(١)] وبحكم العهد السارى ــ المفعول بين المسلمين وحلفائهم اليهود يشترك اليهود مع المسلمين فى دفـــع الدية يقول ابن اسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النضـير يستعينهم فى دية القتيلين من بنى عامر ،اللذين قتلهماعمرو بن أمية الضمرى ،للجوار الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما ،وكان بين بنى النضير وبـــين بنى عامر عقد وحلف ،فلما أتاهم رسول فى دية القتيلين ،قالوا نعم ، نعينـــــك على ما أحببت ،ثم خلا بعضهم إلى بعض،فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثـــل حاله هذه ،فقد كان " صلى الله عليه وسلم " جالسا إلى جنب جدار من بيوتهـــم فى نفر من أصحابه ،فانتدبوا أحدهم وهو عمرو بن جحاش بن كعب ليلقى عليـــه صخرة من عل ،وحين قام لينفذ ماوكل به أتى الخبر من السماء بما فعل القوم فرجـــع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ،ولحق به أصحابه فأخبرهم بمؤامرة اليهود ضده وأمرهم بالتهيؤ للسير إليهم وحربهم [(٢)] ثم أرسل الرسول صلى الله عليه وسلـم

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٣ ص ١٠٥ بتصرف

(٢) المرجع السابق ص ١٠٨ بتصرف

إليهم محمد بن مسلمة يقول لهم إن الرسول أرسلني إليكم : أن اخرجوا من بلدى لقد نقضتم العهد وهممتم بالغدر ، وقد أجلتكم عشرا فمن رؤى بعد ذلك ضربت عنقه ، وبينما هم فى حيرة من أمرهم أرسل لهم عبد الله بن أبى بن سلول مع رهط من بنى عوف بن الخزرج " أن اثبتوا وتمنعوا ، فإنا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم (١) " فلما وصلتهم الرسالة أملوا فى البقاء وانتظروا نصرة المنافقين ، ومرت المهلة المضروبة لهم ، ولم يأت أحد لنجدتهم وسجل القرآن الكريم موقف المنافقين : ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون . لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لاينصرون (٢) .

حصار الرسول صلى الله عليه وسلم لبنى النضير :

ولما انقضت المدة المحددة لهم ، سار النبى صلى الله عليه وسلم بأصحابه إليهم ، وأمر على المدينة ابن أم مكتوم ، ولما وصل المسلمون إلى بنى النضير تحصنوا فى حصونهم ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله تعالى فحاصرهم المسلمون ست ليال ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقطع نخيلهم وتحريقها " فنادوه : أن يامحمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها (٣) "

---

(١) المرجع السابق جـ ٣ ص ١٠٩ (٢) سورة الحشر الايتان ١١ ، ١٢

(٣) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٣ ص ١٠٩

علما بأنه لم يحرق من نخلهم إلا ماليس فيه قوت للناس وأنزل الله تعالى فى ذلك (ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين)[1]

جلاء بنى النضير :

لما يئس اليهود من نصرة المنافقين ، وقذف الله تعالى فى قلوبهم الرعب سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الجلاء مع حقن الدماء ، على أن لهم ماحملت إبلهم من أموالهم إلا الحلقة ، فأجابهم إلى طلبهم ، واحتملوا من الأموال مااستقلت به الإبل ، وانطلقوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام وتم جلاؤهم وكان هذا بديلا لقتلهم : (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار)[2] وبعد ذكر هذه الغزوة وبيان سببها ، من حقنا أن نتساءل أين اعتداء الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

إن بنى النضير عقدوا العزم على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم غدرا وهو بجوار منازلهم ، ولم يمنعهم من تنفيذ خطتهم إلا قيام الرسول حين جاءه الوحى بالخبر فأى خيانة تفوق هذه ؟

ولفنسون يبرئ جنسه من تهمة الخيانة :

أراد ولفنسون أن يبرئ بنى جنسه وأجداده الاقدمين من تهمة الخيانة فزعم أن النبى غضب على يهود بنى النضير لانهم لم يعاونوه فى غزوة أحد فقال : (وكان انذار الرسول لهم بمثابة انتقام منهم على عدم اشتراكهم فى واقعة أحد)[3] وهذا

---

(١) سورة الحشر الآية ٥ (٢) سورة الحشر الآية ٣

(٣) تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ص١٣٥

الزعم لا سند له أو دليل يؤيده ، فلم تذكر كتب السير والتواريخ أن النبى طلب من اليهود الخروج مع المسلمين للاشتراك فى موقعة حربية ولقد حارب المسلمون فى غزوة بدر ، واليهود أجمعون بالمدينة ولم يغضب لأنهم لم يخرجوا معه ، بل إنه لم يطلب منهم الخروج فى بدر وقد عاد منتصرا ، وإن يهود بنى قريظة ويهود بنى النضير ، كانا بالمدينة فى غزوة أحد فلماذا غضب على يهود بنى النضير بالذات ؟ وفى اعتقادى أن اللف والدوران فى مثل هذه الأمور لحجب الحقيقة عبث يضر بالإنسانية التى تريد معرفة الحقيقة فى نورها لتأخذ منها العبرة وإن يهود بنى النضير خانوا العهد ومن نكث فإنما ينكث على نفسه .

غزوة الخندق :

فى العام الخامس من الهجرة النبوية ، والدعوة الإسلامية تسير فى طريقها المرسوم لترسى قواعد العدل وترفع راية التوحيد فى أرجاء الجزيرة العربية وإذا بيهود بنى النضير يسعون جاهدين فى تأليب العرب على المسلمين ونسوا رأفة الرسول بهم وسماحة الإسلام معهم بقبول جلائهم بدلا من قتلهم فخرج عدو الله حيى بن أخطب النضرى فى زمرة من أخوانه سلام بن أبى الحقيق ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع ، وقاموا بدور فعّال فى تحريض قريش وقبائل العرب على حرب المسلمين . (١) وظل حيى بن أخطب يغرى كعب بن أسد القرظى حتى نقض العهد الذى بين يهود بنى قريظة وبين الرسول صلى الله عليه وسلم وهكذا انقض يهود بنى قريظة العهد فى لحظة حاسمة فقد اجتمع الأحزاب حول المدينة لغزوها واليهود على اتفاق معهم لمساندتهم ضد المسلمين وأراد الرسول أن

---

(١) زاد المعاد جـ ٢ ص ١١٧ بتصرف ، والسيرة النبوية لابن هشام جـ ٣ ص ٢٣١ ، ١٣٢

يستوثق من صحة ما وصله عنهم من نقض العهد ، فبعث سعد بن معاذ بن النعمان وسعد بن عبادة بن دُليم ، وعبد الله بن رواحة إليهم فوجدهم على أخبث ما بلغهم عنهم ـ فقد تجاهلوا الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد [١] واستمروا فى دورهم إلى أن تجهزت قريش وكثير من قبائل العرب من غطفان وكنانة ، وتبعهم بنو سليم ، وبنو أسد ، وبنو فزارة وأشجع ، وبنو مرة حتى بلغ جيش الشرك الذى وافى الخندق عشرة آلاف رجل يقودهم أبو سفيان وأمام هذا الجيش المدجج بالسلاح والمتاد والمتفوق عدديا وماديا ، أشار سلمان الفارسى بحفر الخندق من حول المدينة واقتنع الرسول صلى الله عليه وسلم بفكرة سلمان وقام بنفسه يباشر العمل ، فاختار شمال المدينة وهى الجهة التى كانت عورة يستطيع العدو أن يأتى من قبلها ، وتم حفر الخندق بروح الإيمان العالية وزحف جيش الشرك إلى المدينة ، وكانت المفاجأة مذهلة ، حيث وقف الجيش المسلح أمام هذا الخندق الحائل الكبير فى حيرة واضطراب ، ومر شهر ولم يحدث قتال سوى بعض التراشق بالنبال وانتظر المسلمون كشف هذه الغمة وازالة الحصار فما كان من النبى صلى الله عليه وسلم إلا أن استشار السعدين [*] فى مصالحة غطفان على ثلث ثمار المدينة بشرط انصرافها عن القتال فقالا : يا رسول الله إن كان الله أمرك بهذا فسمعا وطاعة ، وإن كان شىء تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٢ بتصرف

(*) سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة

بك نعطيهم أموالنا والله لانعطيهم إلا السيف (١) .

موقف نعيم :

وفى هذا الوقت العصيب ، أقبل من غطفان رجل يقال له نعيم بن مسعود بن عامر ، فقال لرسول الله إنى أسلمت فمرنى بما شئت فقال له النبى صلى الله عليه وسلم إنما أنت رجل واحد فخذل عنا مااستطعت فان الحرب خدعة ، وكان هذا الرجل معروفا لليهود ولقريش ، فذهب إلى بنى قريظة وهم لايعلمون بإسلامه فقال لهم إنكم قد حاربتم محمدا وان قريشا إن أصابوا فرصة غنموها وإلا عادوا إلى بلادهم سالمين ، وتركوكم لمحمد ، ولا طاقة لكم بحربه ، قالوا : ماالعمل يانعيم ؟ قال : لاتقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن تضمنوا بها استمرارهم معكم ، فاستحسنوا رأيه ، ثم مضى من عندهم إلى قريش وقال : لهم تعلمون ودى لكم قالوا : نعم قال : إن اليهود ندموا على ماكان منهم من نقض عهد محمد وخافوا أن ترجعوا وتتركوهم وحدهم ولذا راسلوه أن يأخذوا منكم رهائن يدفعونها إليه ، ثم أتى غطفان وأخبرهم ماأعلم به قريشا وتأكدت قريش من كلام نعيم حيث أرسلت إلى بنى قريظة أن هلموا للقتال معنا فى الغد فقال اليهود إنه يوم السبت ولايمكننا أن نقاتل فيه ، ومع هذا لانقاتل معكم حتى تعطونا رهائن منكم وعند ئذ تفرق جمعهم وتنافرت قلوبهم ، وخاف بعضهم بعضا .. .

جنود الله تأتى بالفرج :

ويتوجه النبى صلى الله عليه وسلم إلى ربه عز وجل بالدعاء : (اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم) وأتى فرج الله

---

(١) زاد المعاد جـ ٣ ص ١١٨ .

الذى ينصر من ولاه ،والذى يجيب المضطر إذا دعاه ـ فساق الرياح بقدرته في منطقة الكفر وحدها عاصفة ممطرة . اقتلعت خيام الكفر وكفأت قدورهم وبثت الذعر فى قلوبهم فرحلوا فى الظلام وهم يجرون أذيال الخيبة والحسرة (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) (١) وقد صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا) (٢) فمن الذى اعتدى فى هذه الغزوة ؟ .

غــزوة بنى قريظــة :

بدت سماحة الإسلام فى كل خطوة من خطوات أتباعه ،وظهر واضحا غدر أعدائه وانكشف دور اليهود فى غزوة الخندق فقد نكثوا عهدهم ونبذوا مواثيقهم ،وأطبقوا الخناق على المسلمين فى هذه الغزوة فكانت يثرب بين فكين ،أو بين المطرقة والسندان كما يقال ،قبائل العرب من الشمال ، واليهود من الجنوب ،إنها صدمة قاسية لجيش الإسلام فابتلى المسلمون وزلزلوا زلزالا شديدا ،وزاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ،وأظهر المنافقون ضغائنهم السوداء وقالوا : ماوعدنا الله ورسوله إلاغرورا . وانسحبوا من الميدان مثبطين ، وماهى إلا لحظات ـ وانكشفت هذه السحب وجاء مدد السماء ،وصرف الله تعالى الأعداء وما كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقر فى بيته بعد العودة من غزوة الخندق حتى أتاه جبريل عليه السلام يناديه بالخروج إلى بنى قريظة عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما رجع النبى صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٥

(٢) سورة الأحزاب الآية ٩

عليه السلام فقال : قد وضعت السلاح والله ماوضعناه فاخرج إليهم قال فإلى أين قال ها هنا وأشار إلى بنى قريظة فخرج النبى صلى الله عليه وسلم إليهم (١) •

وبعد أن بعث الرسول مناديا ينادى فى الناس : " لايصلين أحد منكم العصر إلا فى بنى قريظة " سار جند الإسلام إليهم وكان عددهم ثلاثة آلاف يتقدمهم الرسول وشاهدت بنو قريظة قدوم جيش الإسلام فاختبأوا فى حصونهم •فحاصرهم المسلمين خمسا وعشرين ليلة •ولما اشتد الضيق بهم طلبوا من الرسول أن يعاملهم معاملة أخوانهم من بنى النضير فأبى عليهم ذلك •فنزلوا فى نهاية الإمر على حكمه صلى الله عليه وسلم ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم ترك يهود بنى قينقاع لعبد الله بن أبى بن سلول الذى شفع فيهم كلم الأوس رسول الله فى حلفائهم يهود بنى قريظة فقال : صلى الله عليه وسلم " ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا : بلى قال فذاك إلى سعد بن معاذ (٢) "

وكان ممن شاهدوا الخندق •وأبلى بلاء حسنا فيها حيث جرح فى هذه الغزوة فجاءوا به ليذيع الحكم : عن سعد بن إبرهيم قال سمعت أبا سعيد الخدرى قال : نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ •فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد فأتاه على حمار فلما دنا قريبا من المسجد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار قوموا إلى سيدكم أو خيركم ثم قال إن هؤلاء نزلوا على حكمك قال تَقتل مُقاتِلتِهم وتَسبى ذُرِيَتَهم قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم قضيت بحكم الله وربما قال قضيت بحكم الملك (٣) "

---

(١) البخارى بحاشية السندى جـ٣ ص٣٤ "كتاب المغازى ـ باب مرجع النبى صلى الله عليه وسلم ومخرجه إلى بنى قريظة ومحاصرته إياهم)

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ٣ ص١٤٥

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٢ ص٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ (كتاب المسير والجهاد ـ باب جواز قتال من نقض العهد) ١٤ البخارى بحاشية السندى جـ٣ ص٣٤

نحفرت الخنادق لدى سوق المدينة ،وأخرج اليهود أرسالا فضربت أعناقهم جماعة تلو جماعة ،ولاقوا مصيرهم المحتوم جزاء خيانتهم البشعة .

وكانت هذه العقوبة العادلة مدعاة للتقول على الإسلام دون انصاف ،ومن غير دراسة متأنية . فيقول واشنجتون آرفنج :

عامل محمد اليهود معاملة تنطوى على القسوة ،فقد جعل محمد مصيرهم فى يد رجل قاس ولذا تعتبر تلك المذبحة التى شهدتها سوق المدينة نقطة سوداء فى تاريخ محمد (١) لقد تغاضى عن مساوىء بنى قريظة وتناسى أنهم كانوا يعيشون فى سلام بمقتضى عهد الأمان وأنهم بدءوا بنقض العهد فظاهروا قريشا وقبائل العرب على حرب المسلمين ،واشتركوا معهم فى القتال تناسى أرفنج كل هذه الجرائم ،ولم يتذكر غير المذبحة التى شهدتها سوق المدينة والتى عبر عنها بأنها نقطة سوداء فى تاريخ الإسلام .

والواقع يشهد بأن ما ارتكبه يهود بنى قريظة خيانة عظمى ،وجهوها إلى معاهد مسالم يأمن حلفاءه فأتاه الروع من مأمنه ،فهؤلاء أعداء شر من كل الاعداء ،إذ بيتوا الغدر لمن يأمنوهم بالمعاهدة وبحقوق الجوار وموقفهم يختلف من موقف إخوانهم الذين أجلاهم المسلمون . فبنو قينقاع أظهروا البغضاء بأفواههم ،وأشاعوا الريب والشكوك بألسنتهم وقلوبهم ،وبنوا النضير ائتمروا على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم وتحالفوا مع المنافقين على محاربة الإسلام لكن لم تسمح لهم الفرص بتنفيذ مخططهم ولست أهون من جرم الطائفتين فما فعلوه عقوبته القتل وإنما قصدت الإشارة إلى الفرق بين جريمتين جريمة أخذت حيز التنفيذ فكان جزاء مرتكبيها القتل

---

(١) حياة محمد ص ١٩١

وجريمة لم تهيء لها الظروف الظهور وقاكفت ساحة الإسلام بجلاء مدبريها

وهم بنو قينقاع والنضير الذين لم ينفع معهم عفو الإسلام فحزبوا الأحزاب وألبوا

القبائل العربية لحرب المسلمين فى موقعة الخندق ، وعملهم هذا أعطى المسلمين

درسا ، وحتم عليهم أن يستأصلوا شأفتهم وعلى الذين يستفظعون حكم سعد على

هؤلاء اليهود ، أن يعودوا إلى التوراة وسيجدون الحكم فيها مطابقا تماما لما

فعله الرسول صلى الله عليه وسلم ونطق به الصحابى الجليل : " ومن فمك

أدينك يا إسرائيل " فقد ورد فى سفر التثنية " وإن لم تسالمك أى مدينة أو قرية "

بل عملت معك حربا فحاصرها . وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع

ذكورها بحد السيف "(١) فعلى من يلومون الإسلام ويعيبونه فى هذا الموقف من

اليهود أو النصارى أن يتوجهوا إلى الكتاب المقدس لهم ويقرؤوا هذا النص بصوت

عال وعندئذ ستكون الإشادة بعدالة الحكم ، ويكون ماحدث نقطة بيضاء فى جبين الإسلام .

وحدثت غزوات بعد غزوة الخندق والقضاء على بنى قريظة لها شأنها فى التاريخ

كله ، وقد يطول بى الحديث لو سردت أسبابها وبينت أدوارها ، فسأكتفى بالإشارة

الموجزة لكبرى هذه المواقع لبراءة الإسلام مما رماه به خصومه .

غزوة بنى المصطلق :

حدثت فى شعبان سنة ست من الهجرة وسببها أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم بلغه أن الحارث بن ضرار سيد بنى المصطلق يجمع قومه لحرب المسلمين ،

فخرج صلى الله عليه وسلم ليهاجمهم قبل أن يهاجموه ، فقابلهم عند المريسيع

---

(١) الكتاب المقدس ص ٣١١ (٢٠ : ١٢ ، ١٣)

من ناحية قديد إلى الساحل ، وحاربهم وانتصر عليهم وأخذ المسلمون أموالهم وأبناءهم ونساءهم غنيمة ، وكان من بين الغنيمة ، برة بنت الحارث التي تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وكان من نتيجة زواجه بها أن مَنّ أصحابه بالعتق على قومها وكان هذا العمل فاتحة خير للإسلام فهدى الله تعالى بني المصطلق ودخلوا في دين الله أفواجا وصاروا من جنود الإسلام .

وكانت هذه الغزوة الدليل التام على سماحة المسلمين .

عمرة الحديبية :

في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة توجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة معتمرا لا محاربا ، ومعه من أصحابه ألفا وأربعمائة بسيوفهم المغمدة في الجراب ، وتأكدت قريش بواسطة خالد بن الوليد من أن المسلمين لا يريدون شرا لكنها مع هذا رفضت دخول المسلمين مكة لأداء العمرة ، وبعد أخذ ورد وتبادل للسفراء بينها وبين الرسول صلى الله عليه وسلم عرضت شروطا للصلح في ظاهرها الاجحاف بالمسلمين وهي :

١ـ أن توقف الحرب بين المسلمين وبين قريش عشرة أعوام .

٢ـ أن يعود النبي وأصحابه إلى المدينة من غير عمرة في هذا العام على أن يعودوا لأداء العمرة في العام القابل ، وسيوفهم في الجراب .

٣ـ من أراد أن يدخل في عهد مع المسلمين دخل فيه ومن أراد أن يدخل في عهد مع قريش دخل فيه

٤ـ يلتزم المسلمون برد من جاءهم من قريش مسلما ومن كان عند قريش من المسلمين لا تلتزم برده . ويسمع عمر بن الخطاب الشروط ، فيذهب إلى أبي بكر

شاكيا ويقول له : أليس برسول الله ؟ ألسنا بالمسلمين ؟ لماذا نعطى الدنية فى ديننا ؟ لماذا نرد إليهم من جاءنا منهم مسلما ، ولا يردون إلينا من جاءهم مرتدا فيقول أبو بكر " رضى الله عنه " ياعمر الزم غرزه (ه) فإنى أشهد أنه رسول الله فيقول عمر وأنا أشهد أنه رسول الله (١) ويشرح الرسول لاتباعه وجهة نظره فى هذا الشرط فيقول : أما من ذهب إليهم كافرا فقد أبعده الله ومن جاء منهم مسلما فسوف يجعل الله له مخرجا وفرجا ويؤثر السلام صلى الله عليه وسلم على الحرب ويعود بأصحابه إلى المدينة ، فأى إيثار للسلام أكبر من هذا ؟ .

من صلح الحديبية الى فتح مكة :

هذه الفترة تشتمل على اثنين وعشرين شهرا من الزمان ، تبدأ فى شهر ذى القعدة من العام السادس الهجرى وتنتهى فى شهر رمضان من العام الثامن الهجرى من أهم الفترات فى تاريخ الإسلام ودعوته فقد تغيرت فيها موازين القوى فى الجزيرة العربية وما حولها من بلاد الروم ، وأول أحداث هذه الفترة :

غزوة خيبر : فهى ضربة قاضية وجهت لآخر معاقل اليهود فى الجزيرة العربية وبها غنم المسلمون وأمنوا مكر هؤلاء ، وضمنت الدعوة تحركا واسعا فى كل الاتجاهات ثم كان إرسال الكتب إلى الملوك والأمراء . فقد كتب صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام فكتب إلى هرقل عظيم الروم وإلى المقوقس أمير مصر وإلى النجاشى ملك الحبشة ، وإلى كسرى ملك الفرس ، وإلى أمير بصرى وإلى غيرهم

(ه) الزم غرزه : أى أمره

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٠٣

فمنهم من رد ردا جميلا ، ومنهم من أفحش القول ، وشذ واحد منهم فارتكب جريمة كبرى يقول ابن القيم :

فقد بعث صلى الله عليه وسلم الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى الشام إلى ملك الروم أو بصرى فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فأوثقه رباطا ثم قدمه فضرب عنقه [1] وواصل نصارى الشام بعد ذلك عداوتهم للإسلام يقول ابن تيمية : فعمد النصارى بالشام فقتلوا بعض من قد أسلم من كبائرهم بمعان ، فالنصارى هم حاربوا المسلمين أولا وقتلوا من أسلم منهم بغيا وظلما ، والا فرسله أرسلهم يدعون الناس إلى الإسلام طوعا لاكرها [2] فلم يكن من دأبه صلى الله عليه وسلم إرغام أى فرد على الإسلام ولكن لمابدأ النصارى بالعدوان كان الرد عليهم بغزوة مؤتة .

غـــزوة مـــؤتة :

ولذا أرسل " صلى الله عليه وسلم " جنده إلى مؤتة فى جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال إن أصيب فجعفر بن أبى طالب فإن أصيب فعبد الله بن رواحة ، وكان هذا أول قتال مع الروم أبلى فيه المسلمون بلاء حسنا ، فقد استشهد القواد الثلاثة المذكورين ، وحمل خالد بن الوليد الراية وكان قد أسلم بعد صلح الحديبية ، فسلم الله المسلمين وبالرغم من أن هذه الغزوة لم يتحقق فيها النصر على الروم إلا أنها أكدت أن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم على استعداد للتضحية وأنهم ماضون فى نشر الإسلام مهما كلفهم

---

(١) زاد المعا جـ٢ ص١٥٥ بتصرف يسير

(٢) مجموعة رسائل لابن تيمية : ص١٢٦

الأمر من مشقة ،وأنهم سيمنمون كل عقبة تقف فى طريق الدعوة الإسلامية — وبعد موتة — كان فتح مكة :

فلقد نقض القرشيون عهدهم ،فذهب إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فى عشرة آلاف من جند الإسلام • فى شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة وعمل كل مافى استطاعته لتجنب القتال وتم لهم فتح مكة ودخلوها منتصرين بعد أن أخرجوا منها مضطهدين • ويتوجس القرشيون خيفة من رسول الله فهم الذين آذوه وأخرجوه من بلده ،لكن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لهم : يامعشر قريش ماترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ،بهذا العفو الكريم نال الإسلام حظوة فى قلوب الناس أجمعين ••

أما غزوة حنين فهى بمثابة تأديب لهوازن وثقيف اللذين جمعا الجموع لحرب المسلمين وانتصر المسلمون فى النهاية وكان من نتيجة هذه الغزوة أن أعلنت هوازن إسلامها ثم كانت غزوة تبوك فى السنة التاسعة من الهجرة لتأديب التجمعات الرومية الموجودة فى طريق المسلمين وتبوك خاتمة غزوات النبى صلى الله عليه وسلم وبعدها أقام النبى بالمدينة مغتبطا بما أفاء الله عليه مطمئنا بنصره • وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم ،قام الخلفاء الراشدون باتمام مسيرة الفتح فى عزم واصرار فاتجهوا إلى مصر وفتحوها ومنها انطلقوا إلى فتح افريقيا واتجهوا إلى بلاد المغرب العربى ومنها عبروا البحر الأبيض المتوسط ونشروا الإسلام فى بلاد الأندلس كما اتجهوا إلى بلاد الفرس وفى كل بلد فتحوها نشروا التعليم والعدل فكانوا منارة للعالم •

فتح العراق وفارس :

علمنا مما تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل سرية مؤتة فى العام الثامن الهجرى ، وأمر عليها زيد بن حارثة وقال : إن أصيب فجعفر بن أبى طالب فإن أصيب فعبد الله بن رواحة واستشهد الثلاثة وظل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إلى أن كانت غزوة تبوك آخر غزواته صلى الله عليه وسلم وهى فى شهر رجب سنة تسع من الهجرة ثم كانت حجة الوداع فى العام العاشر من الهجرة .

يقول ابن اسحاق : ثم قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم ، وصفر وضرب على الناس بعثا إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة ابن زيد بن حارثة مولاه وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم (*) من أرض فلسطين ، فتجهز الناس وأوعب (*) مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون (١) . وبينما يتأهب الجيش للخروج من المدينة مرض النبى صلى الله عليه وسلم وازداد مرضه يوما بعد يوم ، فشغل الناس بأمره عن أمر الجيش لكن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يعانى سكرات الموت أدرك هذا فأمرهم نفاذ بعث أسامة ، وهذا يبين لنا مبلغ حرصه صلى الله عليه وسلم على الجهاد فى سبيل الله ، ولذا خرج أسامة ومعه الجيش حتى نزلوا الجرف من المدينة على فرسخ فضرب به عسكره ، وتتام إليه (*) الناس وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام أسامة والناس لينتظروا ما الله قاض

(*) البلقاء والداروم مدينتان فى أطراف الشام من ناحية الحجاز .

(*) أوعب أجمع (١) السيرة النبوية لابن هشام جـ٤ ص١٨٧

(*) تتام إليه الناس : أى تكاملوا

فى رسول اله صلى الله عليه وسلم .(١)

ولما لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، وبايعت الأمة أبا بكر الصديق بالخلافة ، نفذ بعث أسامة كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وشيع الجيش بنفسه وهو ماش على قدميه ، وأسامة راكب فقال له أسامة : ياخليفة رسول الله والله لتركبن و لأنزلن . قال أبو بكر رضى الله عنه : والله لاتنزل والله لاأركب وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة . وقبل أن يعود الصديق إلى المدينة وصاهم : بالا يخونوا ، ولايغدروا ، ولايمثلوا ، ولايقتلوا طفلا ولاشيخا كبيرا ولاامرأة ولايذبحوا ماشية إلا لمأكلة ، ولايتعرضوا لمن فرغوا أنفسهم فى الصوامع ، وسار الجيش بقيادة أسامة حتى بلغ البلقان حيث تقع مؤتة ، وقضى على كل من وقف فى وجهه وكان لبعث أسامة إلى مؤتة أثر كبير فى نفوس المسلمين كما كان له أثر فى نفوس أعداء الدعوة فى الجزيرة العربية وخارجها فقد تردد أعداء الإسلام فى الهجوم على المسلمين وكفوا عن كثير من أذاهم وخصوصا العرب ، الذين بالقرب من المدينة أما العرب الموجودون فى أطراف شبه الجزيرة فقد حرضهم أعداء الإسلام فسارعت بعض قبائلهم إلى اعلان الردة عن الإسلام ، وبلغ من حكمة أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه لم يتهاون فى قتالهم ، فبعد عودة جيش أسامة جمع الجنود وقسمهم إلى فرق وأمر كل فرقة أن تتوجه بقائدها إلى جماعة من الخارجين وبقى فى مركز القيادة يأمر بما يراه صوابا إلى أن تم اخماد هذه الحركة الخطيرة ، وخضعت شبه الجزيرة العربية للإسلام مرة أخرى ، وعاد للدين مجده كما كان فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٤ ص ٢١٩

يقول الدكتور / عبد الحميد بخيت :

وكان من وراء هذه الحركة ، أباطرة الفرس والروم وأحبار اليهود ، وكهان العرب الذين ادعوا النبوة وحاولوا هدم شريعة الإسلام ، وقد وُفِّق أبو بكر إلى اخمادها في مدة وجيزة أذهلت الذين اشتركوا فيها وكانوا من ورائها.(١)

توجه جيش الإسلام إلى بلاد الفرس :

رأى أبو بكر خطورة دولة فارس وتربصها بالإسلام ، بتحريضها لبعض القبائل العربية على الردة ، فاختار اثنين من أحسن قواده ، خالد بن الوليد ليغزو بلاد الفرس من أسفلها من الأيلة ثغر الهند ، وعياض بن غنم ليغزوها من أعلاها من الشمال ويبدأ بالمصيح . وكتب إليهما كتابا بذلك جاء فيه "إذا اجتمعتما بالحيرة ، وقد فضضتما مسالح فارس ، وأمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم ، فليكن أحدكما ردءًا للمسلمين ولصاحبه بالحيرة وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من أهل فارس دارهم ومستقر عزهم المدائن".(٢) ولما وصل الكتاب إلى خالد بالتأمير على العراق ما كان منه إلا أن كتب إلى أربعة من الأمراء أن ينتظروه بما معهم من جنود عند الأيلة ليوم سماه لهم . يقول الطبري : فحشر ثمانية آلاف من ربيعة ومضر إلى ألفين كانا معه ، فقدم في عشرة آلاف على ثمانية آلاف ممن كان مع الأمراء الأربعة يعني بالأمراء الأربعة : المثنى ، ومذعورا ، وسلمى ، وحرملة فلقى هرمز في ثمانية عشر ألفا .(٣)

---

(١) المجتمع العربي والإسلامي جـ ٢ ص٢٢ ط ٢ دار المعارف بمصر ١٩٦٧م بتصرف

(٢) تاريخ الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد أبو الفضل جـ٣ ص٣٤٧ بدون عدد للطبع مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٢م.

(٣) المرجع السابق جـ٣ ص٣٤٧ .

ونزل ببلاد العراق مدينة تلو مدينة ،فمن طلب الصلح أجابه ومن حاربه انتصر عليه ،وقد صالح أهل بانقيا (ه) ،وباروسما ،وأليس على دفع الجزية ،وقبل خالد منهم ذلك فى مقابلة تركهم بدون قتال ولما خرج أهل الحيرة (ه) يستقبلونه كان من نصيحته لهم : إنى أدعوكم إلى الله وإلى عبادته وإلى الإسلام ، فإن قبلتم فلكم مالنا وعليكم ماعلينا ،وإن أبيتم فالجزية ،وإن أبيتم فقد جئناكم بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم شرب الخمر . فقالوا : لاحاجة لنا فى حربك فصالحهم على تسعين ومائة ألف درهم فكانت أول جزية حملت إلى المدينة من العراق . (١)

ولما فرغ خالد من صلح الحيرة توجه إلى الأنبار وعين التمر واشترط على الأنبار أن يسلموه المدينة ،وينجو بأرواحهم بدون متاع أو مال وتم له ما أراد ،ثم تغلب على أهل عين التمر فحاصرهم بجند الإسلام بعد أن فروا إلى حصنهم ،وأحكم الخناق عليهم حتى نزلوا على حكمه ،فضرب أعناق المقاتلين من أهل الحصن وأخذ مابداخله من الأموال والأطفال غنيمة ويقول الدكتور عبد الفتاح على شحاتة :

(ه) بانقيا : بكسر النون : ناحية من نواحي الكوفة ،باروسما : الواو والسين ساكتان ناحيتان من سواد بغداد يقال لهما باروسما العليا ،وباروسما السفلى من كورة الأستان الأوسط واليس قرية فى أول أرض العراق من ناحية البادية .*

(ه) الحيرة :بالكسر ثم السكون وراء مفتوحة ،مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على النجف وتقع جنوبى الأنبار وبينهما نحو ٩٠ ميلا وبها قصر الخورنق على ميل منها من جهة الشرق والسديرفى وسط البرية التى بينها وبين الشام كانت ـ مسكن ملوك العرب فى الجاهلية ،النعمان وأباؤه (تاريخ الأمة العربية دراسات فى عصر الخلفاء الراشدين / الدكتور / عبد الفتاح على شحاته ص٩٥ بدون عدد للطبعة ــ مطبعة الزهران بمصر ١٣٩٠هـ=١٩٧١م . بالهامش

(١) تاريخ الطبرى جـ٣ ص٣٤٥

* معجم البلدان للحموى المجلد الأول ص ٣٣١ ، ٣٢٠ ، ٢٤٨ بالترتيب طبع بيروت بدون تاريخ

وجد خالد فى بيعتهم أربعين غلاما يتعلمون الإنجيل عليهم باب مغلق فتحه وأخرجهم فقسمهم فى أهل البلاد منهم : نصير أبو موسى بن نصير فاتح الأندلس ، وسيرين أبو محمد بن سيرين ، ويسار جد محمد ابن اسحاق صاحب كتاب سيرة الرسول عليه السلام وغيرهم (١) وبعث بعد ذلك إلى أبى بكر رضى الله عنه يعلمه بالخبر ويعطيه الأخماس مع الوليد بن عقبة ، وحين قدم الوليد وأخبر أبا بكر بما كان من خالد ابن الوليد أرسله إلى عياض بن غنم بدومة الجندل (٥) ، فقدم الوليد فرأى عياضا محاصرا لهم وهم محاصرون له فأشار عليه أن يبعث إلى خالد بن الوليد يطلب المدد ، ففعل فجاءه خالد بن الوليد من عين التمر مسرعا ولما نزل بدومة الجندل جعلها بينه وبين جيش عياض وأعملوا سويا سيفهم فى أهل دومة حتى تم اخضاعها للمسلمين ولما ثار أهل العراق لمقتل أخوانهم بدومة وأجمعوا جموعهم لحرب المسلمين طار إليهم خالد بجنده ، وانتصروا عليهم وطاردوهم من مكان لآخر حتى وصلوا إلى الفراض (٥) فدارت معركة حامية انهزم فيها أهل العراق وكانت هذه المعركة فى رمضان سنة اثنى عشرة هجرية ، وهى آخر معركة أدارها خالد ببلاد العراق وبعدها استدعاه الخليفة ليحارب أهل اليرموك فأتم المثنى بن حارثة المسيرة بعد رحيل خالد .

وقد اقتسم خالد الجند مع المثنى ، وأصبح المثنى أمير الفتح فى فارس بعد خالد الذى جاهد أربعة عشر شهرا من المحرم سنة ١٢ هـ إلى صفر ١٣ هـ ، وانتزع فيها من الفرس حوض الفرات من الأبلة جنوبا إلى الفراض شمالا (٢) .

---

(١) تاريخ الأمة العربية ـ دراسات فى عصر الخلفاء الراشدين ص ١٠٢

(٥) دومة الجندل : بضم أول وفتحه وهى على سبع مراحل من دمشق بينها وبين المدينة وهى مبنية بالجندل .　　(٥) الفراض بكسر الفاء فى شرق الفرات على حدود الشام والعراق

(٢) تاريخ الأمة العربية دراسات فى عصر الخلفاء الراشدين ص ١٠٦

فتح الشـــام :

في الوقت الذي تقدم فيه جيش الإسلام في بلاد العراق وقارس محققا النصر تلو النصر ، وجه الخليفة أبو بكر رضى الله عنه ــ خالد بن سعيد بن العاص بجيش إلى مشارف الشام ، فنزل خالد بن سعيد تيماء (ه) ، وقد أمره أبو بكر أن لا يبرحها وأن يدعو القبائل التي حولها إلى الانضمام إليه إلا من أرتد منهم وألا يقاتل إلا من قاتله حتى يأتيه أمر الخليفة ، ونفذ خالد بن سعيد أوامر الخليفة ، والتفت حوله جموع كثيرة من القبائل المجاورة للموقع ، ولما بلغت أنباء هذه الجموع الروم ، أعدوا عدتهم ، وانضمت إليهم بعض قبائل العرب ، فبعث خالد يستأذن أبا بكر في منازلتهم قبل أن يأخذوه على غرة ، ونظر أبو بكر في الطلب المقدم من خالد ثم جمع أصحابه وخطبهم ، واستشارهم في جهاد الروم فكان من قولهم له : ياخليفة رسول الله مرنا بأمرك ووجهنا حيث شئت ، فكتب أبو بكر إلى خالد بن سعيد ، أن أقدم ولاتحجم واستنصر الله فسار إليهم خالد فلما دنا منهم تفرقوا واعروا منزلهم فنزله ، ودخل أكثر من كان تجمع له في الإسلام وكتب خالد إلى أبى بكر بذلك فأجاب بكتاب جاء فيه أقدم ولاتقتحمن حتى لاتؤتى من خلفك (١) وخدعت الروم خالد بن سعيد فأخلوا الطريق أمامه فتقدم حتى بلغ مرج الصفر (ه) ، فأطبقت عليه وعلى جنوده قوى الروم وضيقت الخناق عليه فحاصروه وقتلوا ابنه سعيدا ، ولم ينقذه من أيديهم

(ه) تيماء : بفتح وسكون الياء في الجنوب الشرقي من تبوك

(١) تاريخ الأمة العربية ــ دراسات في عصر الخلفاء الراشدين ص ١١٢

(ه) مرج الصفر : هو السهل الوقع جنوبي نهر الأعوج في شمال حوران .

سوى وصول عكرمة بن أبي جهل على رأس جيشه ، فأدركه وقد أحدق به العدو من كل جانب ، وقتلوا كثيرا من رجاله وما حدث من خالد بن سعيد كان حافزا لفتح الشام فقد صمم أبو بكر على الصمود في مواجهة الروم ، وتحقيق النصر ومحو آثار الهزيمة التي وقعت بجيش خالد بن سعيد . وكانت كتب الخليفة إلى أهل مكة واليمن ، وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد في سبيل الله .

يقول محمد الواقدي : وكانت الكتب فيها نسخة واحدة وهي بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليكم أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد عزمت أن أوجهكم إلى بلاد الشام لتأخذوها من أيدي الكفار والطغاة فمن عول منكم على الجهاد فليبادر إلى طاعة الملك العلام ثم يكتب انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله الآية ثم بعث الكتب إليهم وأقام ينتظر جوابهم وقدومهم (١) وما أن وصلت هذه الرسالة إلى البلدان والقبائل اليمنية حتى جاءوا مواكبا بدروعهم وسيوفهم ، وسر أبو بكر رضي الله عنه بقدومهم فعقد ثلاثة ألوية لثلاثة رجال : عمرو بن العاص ، ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل ابن حسنة (ه) وذلك في صفر سنة ثلاث عشرة هجرية وخرج كل قائد في طريقه وتابعوا مسيرتهم حتى وصلوا بلاد الشام عمرو إلى فلسطين ، وشرحبيل إلى الأردن ، ويزيد بن أبي سفيان إلى دمشق ، وكان الخليفة يرسل إليهم النجدات والإمداد من حين لأخر

---

(١) فتوح الشام جـ ١ ص ٢ ، ٣ - بدون عدد للطبع - المطبعة الأزهرية المصرية بالقاهرة ١٣٠٢ هـ .

(ه) (شرحبيل فيما ذكر الواقدي) ابن عبد الله بن المطاع الكندي ، وحسنة أمه وهي مولاة لمعمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح .

ورأى ارسال جيش رابع بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح ومهمته فتح حمص فلما رأى الروم جيش الإسلام على الحدود تهيئوا لقتالهم ، يقول البلاذري وجمع هرقل جموعا كثيرة من الروم وأهل الشام وأهل الجزيرة ، وأرمينية تكون زهاء مائتي ألف وولى عليهم رجلا من خاصته ، وبعث على مقدمته جبلة بن الأيهم الغساني في مستعربة الشام من لخم وجذام وغيرهم وعزم على محاربة المسلمين (١) وأمام هذا الجيش الجرار رأى أمراء المسلمين أن يجتمعوا في جهة واحدة ، وأن يطلبوا المدد من الخليفة فمددهم كما ذكر البلاذري أربعة وعشرون ألفا ولذا كتبوا إلى أبي بكر يطلبون النجدة فقال أبو بكر : والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد وكان خالد إذ ذاك يلي حرب العراق فكتب إليه أبو بكر أما بعد فدع العراق وخلف فيه أهله الذين قدمت عليهم وهم فيه وأمض مختفيا في أهل القوة من أصحابك الذين قدموا عليك العراق من اليمامة وصحبوك في الطريق وقدموا عليك من الحجاز حتى تأتي الشام فتلقى أبا عبيدة ومن معه من المسلمين فإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة والسلام (٢) .

ولما وصل الكتاب إلى خالد قدم العراق قاصدا الشام وسار في طريق غير مألوف ليختصر المسافة ، والزمن ، وليفوت على الأعداء فرصة الاستعداد له أو الغدر به . يقول الدكتور / عبد الفتاح على شحاته : ولما وصل إلى سوى (*) قبيل الصبح أغار على أهلها من بهراء ، واستلم أهل تدمر بعد مقاومة يسيرة ، ومن سوى تابع

---

(١) فتوح البلدان القسم الأول ص ١٦٠

(٢) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس . للعالم الشيخ حسين بن محمد بن الحسن الديار ـ جـ ٢ ص ٢٣٩ بدون عدد للدليل . طبع بيروت . بدون سنة

(*) سوى : مدينة تقع بالقرب من السبع بيار الحديثة والى الشمال الشرقي من دمشق

السير إلى حوارين (من قرى حلب) ، ومنها انحدر إلى أذرعات (٥) ، ومنها إلى مرج راهط (٥) حيث أوقع ببني غسان ، ثم إلى بصرى حيث اتصل بمعسكر الجيش الإسلامي (١)

وتقدم خالد بجيشه ففتح بصرى وصالح أهلها على الجزية ، ثم مدينة دمشق وكان خالد قد أعطى أمانا لأحد أساقفتها حين أقام عنده في بدأ الأمر ونصه :

" بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذا دخلها أعطاهم أمانا على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لا يهدم ولا يسكن شيء من دورهم لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم والخلفاء والمؤمنين لا يعرض لهم إلا بخير إذا أعطوا الجزية " (٢) فلما فتحوا دمشق جاء الأسقف إلى خالد بن الوليد وسأله أن يجدد له كتابا ويشهد عليه أبا عبيدة والمسلمين ففعل خالد ذلك وتوجهوا بعد ذلك إلى حمص . يقول البلاذري : فلما توافوا بحمص قاتلهم أهلها ، ثم لجأوا إلى المدينة وطلبوا الأمان والصلح ، فصالحوه على مائة ألف وسبعين ألف دينار (٣) . وعلم هرقل بفتوحات المسلمين ووصولهم حمص ، فجمع جنوده من أقاصي الروم ، وجعل يوصيهم بالصبر في القتال ويحضهم على لقاء المسلمين ويقول أين لكم هذا الخذلان ، وقد كنتم قوة مرهوبة من قبل الفرس وغيرهم ، وظل يحرضهم على القتال حتى جمعوا جيشهم ونزلوا في سهل فسيح داخل منحنى اليرموك . ونزل جند الإسلام عند اليرموك بقيادة خالد بن الوليد ، وخرج الروم من معسكرهم

---

(٥) اذرعات : يظن أنها المسماة الآن درعا . (٥) مرج راهط : موضع في الغوطة من دمشق في شرقيه . (١) تاريخ الأمة الإسلامية ـ دراسات في عصر الخلفاء الراشدين ص ١٠٢

(٢) فتوح البلدان . القسم الأول ص ١٤٤

(٣) فتوح البلدان جـ ١ ص ١٥٥

لضرب المسلمين وكان خالد قد علم بما فعله القوم فنظم الجند والتحم الجيشان فى معركة حامية انتهت بنصر المسلمين وهزيمة الروم ..

وتعد هذه الموقعة من أعظم المواقع التى انتصر فيها الاسلام .

فتح بيت المقدس :

عمت موجة الفتح الاسلامى بلاد الشام ،ومن بين مافتحه المسلمون منها بيت المقدس ، فقد حاصرها عمرو بن العاص وظلت محاصرة حتى قدم أبو عبيدة الى فلسطين ونزل ايلياء ،فطلب أهلها منه الصلح على مثل ماصولح عليه أهل الشام ، من أداء الجزية والخراج بشرط أن يتولى عمر بن الخطاب عقد الصلح ،فكتب أبو عبيدة الى عمر بذلك فقدم عمر فنزل الجابية من دمشق ،ثم صار الى ايلياء ،فانفذ أهلها وكتب لهم به وكان فتح ايلياء فى سنة سبع عشرة (١) .

فتح مصر :

كانت مصر قبل الفتح الاسلامى مباشرة تحت امرة الروم ،وكان أميرها من قبل هرقل هو " المقوقس " وألح عمرو بن العاص على الخليفة أن يقوم بفتح مصر واقتنع الخليفة فى نهاية الأمر بطلب عمرو ،فسار عمرو الى مصر فى سنة تسع عشرة من الهجرة النبوية "فنزل العريش ثم أتى الفرماء وبها قوم مستعدون للقتال فحاربهم فهزمهم وحوى عسكرهم ومضى قدما الى الفسطاط، وبعد اتمام فتح مصر توجه الى الاسكندرية يقول الشيخ الشرقاوى : فلما وصل إليها وحاصرها حصارا شديدا حتى أشرف على أخذها أرسل اليه المقوقس يسألهم فى الصلح وأن يجعل لهم عليه

---

(١) فتوح البلدان للبلاذرى القسم الأول ص ١٦٤ بتصرف

الجـزية (١) لكن عمروا تمكن من فتحها ،وتابع فتوحاته حتى برقه (ه) فلما كان عهد عثمـان مد عبد الله بن أبى سرح فتوحه أكثر إلى الغرب وأخضع جزءا من أفريقية ود انـــت له قرطاجنة بدفع الجزيـــة .

فتح افريقيـــا :

ظل عمرو بن العاص واليا على مصر فترة خلافة عمر بن الخطاب ،فلما توفـــــى عمر وولى عثمان بن عفان الخلافة ،ولى عبد الله بن أبى سرح على مصر بدل عمـــرو بن العاص ،فبعث السرايا لغزو افريقيا ،فتوغلت فى البلاد وأصابت الكثير من المغانم وتمكن عبد الله بن الزبير من قتل ملك افريقيا (جرجير) واستمر التقدم الإسلامـــى فى القارة حتى جاء عهد يزيد بن معاوية . يقول الدكتور / عبد الفتاح على شحاته فقد استعمل يزيد عقبة بن نافع الفهرى على افريقيا ،فافتتح بلاد المغرب حتى وقف على المحيط الأطلسى فى حركة عسكرية خاطفة وأنشأ مدينة القيروان لتكون مركـــزا إسلاميا وله الآن بالجزائر مسجد (٢) وبعد موته خلفه حسان بن النعمان الغسانـــى من قبل عبد الملك بن مروان فكان لحسان الفضل الأكبر فى استعادة افريقيـــا وطرد الروم منها سنة ٧٨هـ ــ ٦٩٨م . فقد فتح قرطاجنة ،وتونس ،وحمل علـــى البربر فقتل الكاهنة ملكتهم ثم خلفه موسى بن نصير وفى عهده ،بعث القائد طارق بن زياد سنة ٩٣هـ (٧١٢م) لفتح بلاد الأندلس ،وواصل المسلمون الفتح حـــتى

---

(١) فتوح الشام (بالهامش ــ تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين للامام الشيخ : عبد الله الشرقاوى ص ٥٠

(ه) برقه ــ مدينة فى أنطابلس ،وهى بين مصر وافريقيا

(٢) تاريخ الأمة العربية ــ دراسات فى تاريخ الامويين جـ٢ ص ٩٢ ط١ مطبعة زاهران بالقاهرة ١٣٨٨هـ = ١٩٦٦م .

جبال الألب بفرنسا وقد توغل العرب في شجاعة إلى أن وصلوا إلى قلب فرنسا عند مدينتي تور وبواتيه (١)

وفتح الأندلس تمت آخر حملات العرب الإسلامية الكبرى وأروعها في الجبهة الغربية وازدادت رقعة الإسلام ، وكان أثر الفتح واضحا في بلاد الأندلس حيث تغير حالها فعم الخير البلاد ونعم الناس في ظل الإسلام أما الجبهة الشرقية فسارت الفتوحات فيها قدما إلى الأمام في عهد الحجاج وواصل قتيبة بن مسلم ، ومحمد بن القاسم الفتوحات فقتيبة كان معينا قائدا للجيش من قبل الحجاج الذى كان حاكما لخرسان سنة ٨٥هـ ، فتحرك من العاصمة مرو في جيش يقرب من أربعة وخمسين ألفا وعبر بالقوات نهر جيحون فاستولى على بخارى وما جوارها كما استولى على سمرقند ، واستمر في تقدمه حتى وصل الى جدران الصين ، أما محمد بن القاسم فاتجه بجيشه المؤلف من ستة آلاف جندى إلى الجنوب الشرقي قاصدا الهند وكان ذلك في سنة ٩١هـ = ٧١٠م فأخضع مكران بلوخستان ثم السند وفتح النبرون (حيدر آباد) وامتدت الفتوحات (سنة ٩٤هـ = ٧١٣م) إلى ملتان شمالا في جنوب البنجاب (٢) ولم يقتصر الأمر على الفتوحات البرية فقد غزا المسلمون شواطئ أوربا وبعض الجزر في البحر الأبيض ، فاستولوا على قبرص وصالحهم أهلها على دفع الجزية في عهد عثمان بن عفان ، وفي عهد معاوية .

غزا جنادة بن أبي أمية جزيرة كريد (أقريطش) وهكذا كانت فتوحات الإسلام في نشاطها تفوق الخيال ففي أقل من قرن من الزمان انتشر الإسلام وعمت دعوته

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية مجلد ٦ (مادة الاندلس) ص: ٦

(٢) تاريخ الأمة العربية " دراسات في تاريخ الأمويين جـ٢ ص ١٣٠ بتصرف

بقاع الأرض على يد أبطال تربوا فى مدرسة النبوة ، التى خرجت الصحابة ، وتتلمذ عليهم التابعون فكانوا أمة عزيزة فيها من أصحاب البهم العالية والعزائم القوية من أمثال أبى بكر ، وعمر ، وخالد ، ومعاذ رضوان الله عليهم أجمعين عشرات الألوف وكانت هذه الأمة قدوة فى ظلها عرف الإنسان قدر الإنسان وظهرت الوحدانية على الوثنية ، والإنسانية على العصبية ، والإسلام على الجاهلية ، ونعم العالم بانتشار الخير ونمائه من المشرق إلى المغرب وسرى العدل فى كل مكان ، فوصل إلى جدران الصين شرقا وعبر حوائط الاندلس غربا على يد هؤلاء الفاتحين الذين انتشروا فى البلاد مصلحين ، فحققوا السلام الحقيقى ، وطهروا القلوب ، وربوا الارادات القوية ، وكونوا مجتمعات تجرد من ماديات الحياه ، استمد النور والهدى من الخالق عز وجل واستعان بالله فى كل أمره ، فسعدت بهم البلاد ، وأحبهم العباد .

أسباب سرعة انتشار الإسلام :

لقد انتشر الإسلام بالجزيرة العربية فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، ولم يلحق الرسول بالرفيق الأعلى إلا وكلمة الله أكبر تدوى فى شبه الجزيرة فى جميع أجزائها وحمل الراية من بعده أصحاب أوفياء ثم من بعدهم أتباع مخلصون فلم ينته القرن الأول الهجرى إلا وقد عم الإسلام بقاع الأرض فى المشارق والمغارب ويمكن أن أوجز الأسباب التى أدت إلى انتشاره فى العالم بهذه السرعة التى لايوجد لها مثيل ، وذلك فيما يأتى :

١ـ سلامة العقيدة الإسلامية ومطابقتها للفطرة السويه فتعاليم الإسلام خالية مما يكدر صفو النفس البشرية ، ويحط من قدر الإنسانية وهى تنهض بالإنسان ماديا وروحيا يقول الأسقف " دى ميستيل " فى مؤلفه (البعثات التبشيرية) ما يأتى ومع ذلك فإن الاسباب العميقة لتوسع الإسلام المذهل لاتزال مشكلة من مشاكل الغرب لم يرتد مسيحيون عن الدين المسيحى ويعتنقوا الإسلام؟

لما وجدوه من تعظيم لذى الجلال القدوس ، وكذلك لما وجدوا فى فروض الصلاة ، وتجرد المسلم عند مخاطبته لله سبحانه وتعالى (١) .

٢ـ قوة الإيمان ، فالمؤمن يجاهد فى سبيل الله وهو واثق من فوزه بإحدى الحسنيين إما النصر ، وإما الشهادة .

٣ـ ثقة المسلمين بما وعدهم الله به من الفوز المبين والنصر العظيم (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) (٢)

٤ـ التنفيذ الدقيق لوصايا الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولوصايا الخلفاء الراشدين فلاتجد غدرا فى حروبهم ، ولاقتلا لأطفال أبرياء أو مدنيين غير محاربين أو زهاد متعبدين ، يقول ميشو فى تاريخ الحروب الصليبية ، منع محمد قواده من قتل الرهبان

---

(١) الغرب والشرق من الحروب الصليبية إلى حرب السويس المرحلة الاولى / ٧٣

(٢) سورة النور ٥٥

لأنهم رجال صلاة ، ولما استولى عمر على القدس لم يمس النصارى بسوء ، ولما صار الصليبيون سادة هذه المدينة المقدسة ذبحوا المسلمين بلا رحمة وأحرقوا اليهود (١)

٥ـ اخلاص الدعاة من أصحاب وأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فكانوا يبلغون رسالة الله تعالى كاملة ، فمنهم من هدى الله على يديه القبائل بالقول الحسن .

يقول غوستاف لوبون :

ولم ينتشر القرآن بالسيف اذن بل انتشر بالدعوة وحدها وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخرا كالترك والمغول وبلغ القرآن من الانتشار في الهند ، التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل ، مازاد معه عدد المسلمين على خمسين مليون نفس فيها . (٢)

٦ـ هذا بجانب ما كان عليه المسلمون من سلوك فاضل وبعد عن الشهوات الفانية مما جعلهم قدوة للأمم .

---

(١) مجالى الاسلام : تأليف حيد ربامات (ج . ريفوار) ترجمة عادل زعيتر / ٣٨ بدون عدد للطبع : طبع دار احياء الكتب العربية عيسى الحلبي ١٩٥٦م

(٢) حضارة العرب . ص١٢٨ .

المبحث الثالث

الجزية

وهى مايؤخذ من الكتابى نظير إقامته بدار الإسلام ويقول ابن منظور : والجزية مايؤخذ من أهل الذمة والجمع الجزى مثل لحية ولحى وقد تكرر ذكر الجزية فى غير موضع وهى عبارة عن المال الذى يعقد الكتابى عليه الذمة وهى فعله من الجزاء كأنها جزت عن قتله (١) والأصل فيها قول الله تعالى :(قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون (٢))

وما رواه بريدة حيث قال مامعناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث أميراأوصاه ثم قال له : إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى خصال ثلاث ادعهم إلى الإسلام ،فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ،فان أبوا فادعهم إلى اعطاء الجزية ،فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ،فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم .

وأجمع المسلمون على جواز أخذ الجزية من أهل الكتاب ،ومن لهم شبهة كتاب واختلف الفقهاء فى مقدارها وأقلها دينار ،وأكثرها مايقع به التراضى عند بعضهم وقال البعض على الغنى ثمانية وأربعون درهما ،والمتوسط أربعة وعشرون والفقير اثنا عشر .

---

(١) لسان العرب جـ ١٨ ص ١٥٩ (فصل الجيم ـ حرف الواو والياء)
مطابع كوستاتسوماس بالقاهرة .

(٢) سورة التوبة الآية ٢٩ .

الجزية وسيلة لنشر الدعوة الإسلامية :

فهي من أعم وسائل نشر الإسلام ، فمن انطبقت عليه شروط دفع الجزية حين يدفعها من كل عام ، لابد له أن يفكر في أمر هذا الدين القوي في بنيانه المتين بأركانه ، وعندئذ ستزداد الحقائق وضوحا أمامه ، وقد يهتدي للإسلام فهي من مصادر قوة الإسلام وشموخ أتباعه ، وليست من مصادر احتياجه ويظهر هذا واضحا في اعفاء الإسلام للنساء والأطفال والشيوخ الكبار من الجزية بل في تكفل بيت مال المسلمين بالعاجزين من أهل الذمة الذين يعيشون في كنف الإسلام ، فجعل لهم من بيت المال مايكفيهم : عن أبي بكر رضي الله عنه قال مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل شيخ ضرير البصر فضرب عضده من خلفه وقال : من أي أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهودي قال : فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال : أسأل الجزية والحاجة والسن قال : فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له (*) بشيء من المنزل ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال : انظر هذا وضرباءه فوالله ماأنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم إنما الصدقات للفقراء والمساكين والفقراء : هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب ، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه قال : قال أبو بكر أنا شهدت ذلك من عمر ورأيت ذلك الشيخ (١)

(*) رضخ له رضخا من باب نفع ورضيخا أعطاه شيئا ليس بالكثير .

(١) كتاب الخراج : للقاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب الإمام أبي حنيفة ص ١٥٠ ، ١٥١ ـ المطبعة السلفية ـ بالقاهرة ١٣٤٦هـ

الجزية ليست وسيلة للاكراه على الإســـلام :

دأب كثير من المفكرين غير الإسلاميين علَى تحويل أى نظام شرعه الإسلام إلـى وجه غير مراد، من وضعه ، وكان نظام الجزية الإسلامى محل بحث عندهم وهـــم يركزون جهدهم ليجعلوه سببا هاما فى قبول أهل الذمة فى الإسلام بدعوى أنــه مرهق لهم ، فهم يدخلون فى الإسلام فرارا من دفع الجزية ، ولقد نقل الدكتور / عبد الجليل شلبى رأى المستشرق ماكس ٠ ف ٠ بريشم ٠ فقال : فقد انتهـــى فيه إلى أن هذا النظام (قد اضطر الكثيرين أن يدخلوا فى الإسلام تخلصـــا من الضرائب الثقيلة التى فرضت عليهم وأعفى منها المسلمون)(١) وهذا ادعـــاء مجرد عن الصواب ، وخال من الدليل ، فالذمى إذا دخل فى الإسلام سقطـــت عنه الجزية ، وفى مقابل ذلك يتحمل تبعات الإسلام التى من بينها دفع الزكاة وبذل الصدقات ، والجهاد فى سبيل الله فبالإسلام زادت مسئولياته، وكثرت واجباتـــه وهذا كاف فى الرد على " ماكس " وأمثاله ٠

وهناك من يدعى فى أسلوب ملتو أن المسلمين بقانون الجزية يعيشون على جهود — الذميين ، يقول الدكتور / أ ٠ س ترتون معللا رأيه فى أن عمر ومشاوريه ٠٠ لـــم يخططوا لمستقبل الأحداث " والدليل على صحة هذا الرأى وارد فى القوانـــين المتعلقة على جهود الذميين الذين أدى إسلام الجمهور الكبير منهم فيما بعـــد إلى تدهور مالية الدولة تدهورا فجائيـــا عظيمـــا "(٢) فلم تشرع الجزيـــة

---

(١) الإسلام والمستشرقون — ص٩٧

(٢) أهل الذمه فى الإسلام ترجمة وتعليق الدكتور / حسن جبش ص٦ ط ٢ مطبعة الشامى بالقاهرة ١٩٦٧م٠

فى الإسلام للعنت والارهان أو لجمع المال والإثراء به على حساب أهل الأديان الأخرى ، وإنما كانت فى مقابلة الزكاة التى يدفعها المسلم كما علمنا ، ويدفعها الذمى يدفعها الحماية والرعاية والدفاع من قبل المسلمين ، وهى دليل أمان ممن التزموا بدفعها وعاهدوا المسلمين على ذلك ، فالإسلام لم يتطفل على غيره ولم يبن أصحابه الأوائل أمورد ولتهم على جهد غير المسلمين وقد حدث فى عهد عمر بن عبد العزيز أن دخل كثير من أهل الكتاب فى الإسلام وخشى عامله على الحيرة من تأثير ذلك على بيت المال ، فقد غاب عنه أن من أسلم منهم تجب الزكاة عليه فى أمواله فكتب إلى عمر بن عبد العزيز بذلك : وهذا ماقاله شيخ من علماء الكوفة جاء كتاب من عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى عبد الحميد بن عبد الرحمن " كتبت إلى تسألنى عن أناس من أهل الحيرة يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس وعليهم جزية عظيمة ، وتستأذننى فى أخذ الجزية منهم وإن الله جل ثناؤه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم ، داعيا إلى الإسلام ولم يبعثه جابيا ، فمن أسلم من أهل تلك الملل فعليه فى ماله الصدقة ولاجزية عليه ..) (١)"

وحيث كانت تعاليم الإسلام مقامة كترد خول أهل الذمة فيه طواعية لا اجبارا واكراها ، ولما طبق عمر بن عبد العزيز تعاليم الإسلام وعامل أهل الذمة بالقرآن وسنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، كتب إليه حيان عامله على مصر : " أما بعد يا أمير المؤمنين فإنه إن دام هذا الأمر فى مصر أسلمت الذمة وبطل مايؤخذ منهم

---

(١) كتاب الخراج لأبى يوسف . ص ١٥٧

فأرسل إليه رسولا وقال : اضرب حيان على رأسه ثلاثون سوطا أدبا على قولـــه وقل له من دخل فى دين الإسلام فضع عنه الجزية فوددت لو أسلموا كلهم فإن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا لاجابيا (١) .

متى تسقط الجزيـــة ؟

تسقط الجزية بالإسلام وبالموت على الراجح وهو ما اختاره الحنفية والمالكيـة والزيدية ، وبالعجز عن أدائها لغير قادر بل يصرف له من بيت المال ، أمـــا المستطيع لدفعها فلاتسقط عنه . ولا يحل للوالى أن يدع أحدا من النصارى واليهود والمجوس والصابئين والسامرة إلا أخذ منهم الجزية ولا يرخص لاحد منهم فى ترك شىء من ذلك ولايحل أن يدع واحدا ويأخذ من واحد ولايدع ذلك لأن دماءهم وأموالهم إنما أحرزت بأداء الجزية والجزية بمنزلة الخراج (٢) .

الذميون القاطنون فى بلاد الإسلام وموقفهم من الجزية :

تعالت صيحات فى هذا الزمان تطالب باسقاط الجزية عن أهل الذمـــة وتقرر شرعية ذلك وبرز من الباحث مايبيح سقوطها ماداموا يلتزمون بالخدمة العسكريه وهذا نص ماقاله الدكتور / وهبه الزحيلى فى رسالته آثار الحرب فى الفقه الإسلامى . وإذ رضى أهل الذمة الاشتراك فى الدفاع الوطنى والانخراط فى صفوف المجاهدين فتسقط عنهم الجزية (٣) ووجه القارىء أن يعود إلى كتاب شرح النيل ج ١٠ ص ٤٠٨

---

(١) كتاب المذمة فى استعمال أهل الذمة للإمام أبى إمامه محمد بن على بن النقاش ورقة ٦ مخطوطة مصوره بدار الكتب المصرية تحت رمز " تاريخ ـ ٤٣١٥ " ومصنفه سنة عشرين وسبعمائة هـ (٢) كتاب الخراج لأبى يوسف ص ١٤٧

(٣) ص ٦٧٩ ، بدون عدد للطبع ـ طبع دار الفكر بدمشق ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ م .

ثم تابع الحديث بقوله : وبهذا يظهر أن الذميين القاطنين اليوم فى بلاد الإسلام والذين يلتزمون بالخدمة العسكرية ، ويشتركون فى الحرب ضد الاعداء أو يكونوا عرضة لذلك ، لاتجب عليهم الجزية (١)

وقبل أن أرد عليه أنقل نص عبارة كتاب شرح النيل ..

" وأن يخفف عنهم (أى عن أهل الذمة) ان استغنى المسلمون عنهم وان بتركها كلها ان أعانوهم على عدوهم وان بسلاح (٢) ولا أدرى كيف اعتبر صاحب الرسالة ذلك دليلا على سقوط الجزية عن أهل الكتاب القاطنين فى ديار الإسلام علما بأن العبارة تشير إلى التخفيف عنهم ولايكون هذا إلا فى حالة ثقل الجزية عليهم ثم شرط استغناء المسلمين عنهم فى القوت ، واللباس ، ومؤنة الجيش ونحو ذلك ثم شرط أيضا معاونتهم للمسلمين بالسلاح ، ونحوه على عدوهم ، وفى هذه الحالة يجوز تخفيف الجزية عنهم ولو بتركها مع وجود الشروط المذكورة ، على رأى صاحب كتاب شرح النيل – ونسأل الدكتور وهبة الزحيلى هل تحققت هذه الحالة بشروطها فى أهل الذمة فى عصرنا الحاضر ؟

وهل صاحب شرح النيل قال بسقوط الجزية ؟ أو أفادت عبارته هذا ؟ بالتأكيد لم تتحقق الشروط المذكورة فى أهل الذمة فى زماننا كما أننا نستفيد من الجزية أكثر من استفادتنا منهم فى الدفاع الوطنى وعن رضاهم الاشتراك فى الدفاع الوطنى والانخراط فى صفوف المجاهدين فذلك لانحبذه خصوصا وأن المسلمين فى كثرة

---

(١) المرجع السابق ص ٦٧٦

(٢) شرح النيل وشفاء العليل الشيخ محمد بن يوسف اطفيش جـ ١٠ ص ٤٠٨ المطبعة السلفية بالقاهرة ١٢٤٣ هـ .

عددية لابأس بها كما وأن أهل الذمة يتربصون بالمسلمين الدوائر فى كل مكان والحوادث شاهدة بذلك ، فتدريبهم على السلاح ومعرفتهم بأسرار الدولة الحربية والسياسية فيه خطورة على المسلمين فقد ينقضون علينا مهاجمين ، وخصوصا قبط مصر الذى يقول ابن النقاش : فى صفتهم : " فانهم الذين زعموا أنهم ليس عليهم فى الأميين سبيل وأن لهم أخذ أموالهم وأنفسهم مجانا فى مقابلة ما أخذوا من أموال النصارى وأنفسهم فى الزمان الغابر " (١)

أما عن عبارة صاحب شرح النيل فإنها لم تفد سقوط الجزية ، ولو كان قصده منها سقوط الجزية فرأيه رأى مجتهد يصيب ويخطئ وعلى الباحث أن يوافقه فى الصواب ويجانبه فى الخطأ وإن المسلم ليعجب حين يسمع بهذا الرأى الجرئ من باحث مثل الدكتور / وهبه الزحيلى فليس هناك مايدعوه للقول بسقوط الجزية عن أهل الكتاب فى هذه الأيام وأظنه يبرر مايحدث الآن فى بلاد الإسلام من تركهم لأهل الذمة بدون جزية أو عشور وما إلى ذلك وهذا من ضعف المسلمين العام فلقد تحققت نبوءة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسلمى هذا الزمان

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : منعت العراق درهما وقفيزها (ه) ومنعت الشام مدبها (ه) ودينارها ومنعت مصر اردبها (ه) ودينارها وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم يشهد على ذلك لحم أبى هريرة ودمه . (٢)

---

(١) كتاب المذمة فى استعمال أهل الذمة ورقة ٤

(ه) اما القفيز : فمكيال معروف لأهل العراق قال الأزهرى هو ثمانية مكاكيك والمكوك صاع ونصف

(ه) اما المدى فبضم الميم على وزن قفل وهو مكيال معروف لأهل الشام قال العلماء يسع خمسة عشر مكوكا (ه) واما الاردب فمكيال معروف لأهل مصر قال الأزهرى وآخرون يسع أربعة وعشرين صاعا .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٨ ص ٢٠ (كتاب الفتن وأشراط الساعة)

يقول الإمام النووى فى شرح الحديث ماملخصه وفى معنى منعت العراق وغيرها قولان مشهوران ، أحدهما لاسلامهم تسقط عنهم الجزية ، وهذا قد وجد الثانى وهو الأشهر . أن العجم والروم يستولون على بلاد الإسلام فى آخر الزمان فلايدفعون جزية ، وقيل معناه أن الكفار الذين عليهم الجزية تقوى شوكتهم فى آخر الزمان - فيمتنعون مما كانوا يؤدونه من الجزية والخراج وغير ذلك وهذا هو المشاهد فى زماننا ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ويستمر الدكتور / وهبه فى تدعيم رأيه بحوادث فردية لاتصح أن تكون دليلا منها ماحدث من أحد قواد عمر بن الخطاب لأهل دهستان وسائر أهل جرجان وغيرها كما ذكر الدكتور وهبه : (إن لكم الذمة) وعلينا المنعة على أن عليكم الجزاء فى كل سنه على قدر طاقتكم ، على كل حالم ومن استعنا به منكم فله جزاؤه فى معونته عوضا عن جزائه .

وهذا الكلام لايدل على اسقاط الجزية عنهم بل يدل على أن من احتجنا إليه فى المساعدة الحربية تسقط عنه الجزية فى العام الذى احتجنا إليه فيه وله أجر فقط نظير هذا العمل ، ومنها ماذكره بالنسبة لحبيب بن مسلمة الفهرى الذى ولاه أبو عبيدة أمر انطاكية فغزا الجرجومه فلم يقاتله أهلها ولكنهم بادروا بطلب الأمان والصلح ، فصالحوه على أن يكونوا أعوانا للمسلمين وعيونا ومسالح فى جبل اللكام ، وأن لايؤخذوا بالجزية ، وأن ينفلوا أسلاب من يقتلون من عدو المسلمين إذا حضروا معهم حربا فى مغازيهم وأقول له : إن ماحدث مع أهل الجرجومه كان صلحا

٢- إنهم لم يقاتلوا وبادروا بطلب الأمان .

٣- أن المسلمين لم يحموهم من أعدائهم بل طلبوا منهم أن يكونوا أعوانا لهم .

٤- أن ماحدث مع أهل الجرجومه لم يستمر فأخذت منهم جزية فى عهد الوليد بن عبد الملك كما هو مذكور فى فتوح البلدان للبلازرى (١)

٥- إن الجزية تؤخذ فى مقابلة الحماية ولقد رد المسلمون فى عهد عمر بن الخطاب الجزية لأهل حمص لما شغلوا عن نصرتهم والدفاع عنهم بمحاربة الروم عند اليرموك (٢) .

فما حدث مع أهل الجرجومه يعتبر من هذا القبيل .

وبعد هذا لانجد دليلا يعتمد عليه فى سقوط الجزية عن أهل الذمة إذا رضوا بمعاونتنا فى الحرب كما يقول صاحب آثار الحرب فى الفقه الإسلامى ولقد سأل أبو يوسف الإمام أبا حنيفة عن مسلم أعتق عبدا نصرانيا فهل عليه خراج أم لا فقال (أى الامام أبو حنيفة) عليه خراج ولايترك ذمى فى دار الإسلام بغير خراج رأسه قال أبو يوسف وقول أبى حنيفة أحسن مارأينا فى ذلك والله أعلم (٣) .

وقد أعفى الإسلام أهل الذمة من الانخراط فى سلك الخدمة العسكرية وفرض عليهم الجزية فهى ليست دليل الطاعة منهم فقط بل هى أيضا بدل الإعفاء لهم .

---

(١) جـ١ ص ١٩١

(٢) المرجع السابق ص ١٦٢

(٣) كتاب الخراج لأبى يوسف ص ١٥٧

الخاتمة

لما كانت شبهات المستشرقين كثيرة لاتستوعبها رسالة محدودة الصفحات ركزت على أهمها وفندته بالأدلة والبراهين ، وتركت من الشبهات مايدخل فى الشبهات المهمة ضمنا حتى لاأتعرض للإطالة المملة . ويكفى أن نشير إلى بعض ماتركته على سبيل المثال : دعوى أن العبادات فى الإسلام قد تأثرت بما جاورها من الديانات الأخرى كدعوى أن اليهود والمسيحيين يصلون ، والمسلمون أخذوا عنهم الصلاة أو أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ عن اليهود شريعة الوضوء ، أو شريعة الأضحية أو فكرة الأعياد وما إلى ذلك . ومن الشبه ماتركته لأنه لاأثر له فى حياة المسلمين اليوم كشبه الرق علما بأن الاسلام حلّ بنوره والرق موجود فى العالم عند اليونان وعند الرومان وعند اليهود والمسيحيين ، وعند العرب وعند الفراعنة الأقدمين وجاء الإسلام بعلاج ناجح لهذه الظاهرة ... حيث ضيق باب الرق بقدر الإمكان ، ثم أوصى بالعناية التامة بالأرقاء ، وفتح باب التحرر على مصراعيه ، فكان إيذانا بتكريم الإنسانية حتى وهى فى درجة العبودية ، وليس يُعرف من قبل أن نظاما صنع مثل هذا مع الأرقاء وكان مقتضى هذا الاعتراف بفضل الإسلام ، ولكن الملحدين والحاقدين من المستشرقين رموا الإسلام بإباحة الرق فى صورة تجعل من لايعلم شيئا عن الاسلام يعتقد أن الاسلام هو الذى أوجده ، وقد تناسوا أن أممهم هى التى أوجدت الرق فى أبشع صوره فهناك الرق الفكرى والرق الاقتصادى ، وهاهى الأمم الضعيفة تشقى من هذا الرق الخالى من الشفقة والرحمة ، علما بأن الإسلام ما أباح استرقاق الأفراد إلا فى الحالة القصوى وفى هذه الحالة طالب المسلمين بالعطف عليهم والرأفة بهم ، وحضهم على فك رقابهم بأنواع الكفارات والقربات .

أهم نتائج البحث :

١- الاستشراق حلقة فى سلسلة تحيط بالإسلام وتكيد لأهله .

٢- الشبه الاستشراقية فى الوحى والنبوة لم تتعد ماأثاره المشركون من قبل وما أثاره أعداء القرآن والسنة ،وكل مازاد أنهم يحاولون إلباسها ثوب العلم .

٣- الشبهات المثارة حول حياة النبى قبل البعثة وادعاء خفائها وعدم العلم بها مراد به إثبات أن النبى تعلم بواسطة البشر .

٤- لزواج النبى صلى الله عليه وسلم حكمة سامية ،فهو تربية وتعليم .

٥- زواج النبى صلى الله عليه وسلم من السيدة زينب بنت جحش " رضى الله عنها " تشريع من الله تعالى .

٦- مبادئ الدعوة الإسلامية ثابتة لم تتغير مع الزمن .

٧- موقف القرآن من أهل الكتاب وأماكن عباداتهم كما هو فى مكة والمدينة

٨- خرافة الغرانيق لا أساس لها من الصحة .

٩- القرآن المكى والمدنى تعرض لقضية الجبر والاختيار وحدد دائرة أعمال الإنسان الاختيارية .

١٠- موقف الإسلام من خصوم الدعوة كان حكيما .

١١- الهجرة النبوية إلى المدينة كانت إرساء للدعوة وعلامة لقوة أتباعها ولم تكن فرارا من أعداء الدعوة .

١٢- الحرب مشروعة فى الإسلام ومشروعة فى كل الأديان .

١٣- الإسلام لم يكره أحدا على قبوله .

١٤- الإسلام حارب القوة التى تصد الدعوة وتمنع الإنسان من أن يكون حرا يعبد مايراه مستحقا للعبادة .

١٥ـ سرايا النبى قبل بدر كانت إنذارا لأعداء الدعوة ليفكروا فى هـــذا الديـــن٠

١٦ـ غزوات النبى صلى الله عليه وسلم خلت من كل المآرب الدنيوية وكان الجهاد فيها خالصا للـــــه ٠

١٧ـ اليهود هم السبب فى جلائهم ، وقتل بعضهم ٠

١٨ ـ سرعة انتشار الإسلام دليل أنه لم ينتشر بالقوة ٠

١٩ـ الإسلام انتشر فى العالم كله فى أقل من قرن مـــن الزمان ٠

٢٠ ـ الجزية عامل لنشر الدعوة وليست وسيلة للإكراه على الدخول فى الدين ٠

٢١ ـ أسباب سرعة انتشار الاسلام توضح أنه لم يكن السيف هو السبب فى ذلك ٠

التوصيات والقرارات :

علمنا فى التمهيد أن الأمم الغير اسلامية تستخدم كل أسلحتها فى غزوهـــــا الفكرى للأمة الإسلامية ، من كتب ، ومجلات ، واذاعة مرئية أو مسموعة ، وكل وسائل الإعلام ٠

١ـ وعلينا أن نواجه غزوهم باستخدام الوسائل السابقة وتوجيهها توجيها علميـــا ومبادئه العالم بالفكر الإسلامى أولا بأول ولا ننتظر حتى يقوموا بالهجوم علينا فكريـــا أو ماديـــا ثم نرد عليهم بعد ذلك

٢ـ العودة إلى الإعلام الاسلامى :

فلقد أدرك الاستعمار والشيوعية والصهيونية خطورة وسائل الإعلام ومالها من تأثير فاستخدموها لتحقيق أهدافهم ، وتمكنوا بواسطتها من ترويج الأفكار الهدامة فـــى دول الإسلام وأتت جهودهم الثمرة المرجوة وذلك لغياب الاعلام الاسلامى وابعاده عـــن الميدان ولكى تتبوأ الأمة الاسلامية مكانتها وتعود سيرتها الأولى يلزمها حتما العودة

إلى التعاليم الإسلامية ويتأتى ذلك بالإعلام الديني ، وهذا لا يكلفنا سوى الإيمان بهذا المبدأ السليم وتنفيذه ، فالوسائل موجودة ، وأصحاب الفكر السليم على استعداد لتقديم مايطلب منهم والتضحية براحتهم من أجل خدمة الإسلام ولقد قدم بعض علماء الإسلام نماذج لهذا النوع من الإعلام الإسلامي ، ومن هذه النماذج (المدخل لدراسة الإعلام الاسلامي) للأستاذ الدكتور عماره نجيب ولقد ركز فيه على دور الإعلام في التغيير ويقول : والتغيير يتم بطريقين أحدهما طريق الإقناع العقلي والإرضاء الوجداني . وثانيهما : طريق الإكراه والضغط والتزيين والتضليل . والأول طريق الفطرة (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) والثاني طريق التهويد والتنصير والتمجيس والإلحاد ... الخ[1]

ثم يذكر بعد هذا بصفحات صورة إجمالية للوظائف الإعلامية متناولا الإعلام الإخباري والثقافي ، ورعد القارئ باللقاء المرتقب مع كتابة (وظائف الإعلام في ضوء الإسلام) ومن النماذج الإسلامية التي نحتاج تطبيقها في مجتمع الإسلام رسالة الدكتوراه للدكتور / محمد محمود متولي بعنوان (الإعلام في العصر الحديث ودوره في تبليغ الدعوة الإسلامية)[2] ولقد وضح فيها تأثير وسائل الإعلام في الأدب والثقافة والأخلاق ثم ركز على وظائف الإعلام الديني وأوجب أن يسير في خطين :

الأول : توعية الأمة وتبصيرها بماضيها وحاضرها ومستقبلها وماينفع أو يضر

---

(١) المدخل لدراسة الإعلام الإسلامي الدكتور / عماره نجيب ص ٢٢٧ ط ١ مطبعة الفاروق الحديثة للطباعة والنشر بالقاهرة ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م . بتصرف

(٢) رسالة الدكتوراه في الإعلام من كلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة ١٤٠١ هـ = فبراير ١٩٨١ م .

والثاني التنمية ومعناها توظيف جميع مقدرات الأمة في رفع شأنها ودعم تقدمها وحماية نفسها وفي التوعية والتنمية تدخل جميع وظائف الإعلام المدني والديني جميعا [١]

٣- من بين الأسلحة التي تستخدمها الأمم الأجنبية لطلاب الذين ترشحهم دولهم لإكمال التعليم في الخارج أو الإفادة من التخصصات الغير موجودة فيها •

وفي الجامعات الشيوعية والأوربية يواجه الطلاب خططا منظمة لإبعادهم عن تعاليم الدين ، أو لتعليمهم مبادئ هدامة ، وللوقاية من سقوط هؤلاء الطلاب في فخاخ المستشرقين والملحدين وأفكارهم ، أرى أن تخصص لجنة علمية من كبار الأساتذة المتخصصين لإختيار الشباب الصالح المثقف دينيا وأخلاقيا ثم تختار المشرفين على البعثة من المعروفين بالصلاح والعلم والنشاط في الدعوة ، ليشرفوا على البعثة ويراعوا أفرادها ، ويوجهوهم التوجيه السليم ، ويفندوا ما قد يعرض عليهم من شبهات •

٤- عقد دورات تدريبية للمبعوثين ، قبل ارسالهم لبيان المشاكل التي ستواجههم ثم عرض نماذج من شبهات خصوم الإسلام والرد عليها وبيان موقف الشريعة الإسلامية منها •

٥- ولقد وضح من البحث أن أكبر مصادر تمويل الاستشراق والتبشير بعد الحكومات ، المؤسسات الكبيرة ، والافراد ذوي الثراء لذا نوصي المؤسسات الاسلامية الكبيرة والاثرياء بالتبرع بفائض المال أو بعضه لتدعيم الدعوة الإسلامية لتجابه مايعتريها من شبهات بأساليب عصرية ، ولتتمكن من نشر تعاليم الإسلام في كل بقاع الأرض •

٦- تكوين لجنة عامة من جميع الدول الإسلامية تتولى الدفاع عن الإسلام وتعاليمه ضد الالحاد ، وضد الأفكار الغربية المشوهة لتعاليم الإسلام •

٧- التبشير بالإسلام في البلدان الغير إسلامية • فقد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا • ولقد قام النبي بهذا خير قيام فأرسل الرسائل إلى الملوك والرؤساء

---

(١) المرجع السابق ص ٣٦٠ بتصرف

يدعوهم للإسلام • وكل مسلم يعلم حقيقة دينه مأمور بالدعوة إلى الله تعالى " قـــل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني " وسبحان وما أنا من المشركين " والله عز وجل بشرنا بإسلام العالم وظهور هذا الدين •وعلى المسلم أن يعلم أن انتشار الدين لايتم والمسلمون فى مكانهم لايتحركون فلابد من السعى لتوصيل هذا الدين • ويتم بالاتـــى :

أ ــ التعاون مع الاخوة المسلمين الموجودين بالدول الاجنبية لوضع البرامج والخطــط لنشر تعاليم الاسلام •

ب ــ العمل على الاتصال بالعلماء والأدباء العالمين من كافة الشعوب واطلاعهـــم على الاسلام ونظافة دعوته •

جـ ــ تأليف الكتب والنشرات المبسطة عن الاسلام وترجمتها الى اللغات المختلفــة وتوزيعهـــا فى العالم •

د ــ الاتصال بالذين أسلموا بالدول الأخرى والتعاون معهم لنشر الاسلام •

هـ ــ سفارة دينية فى كل دولة للتعريف بالاسلام ونشر مبادئه السمحة •

و ــ انشاء مدارس ومساجد بدول العالم للتعريف بالاسلام من خلالها • وحين يقوم المسلمون بهذا العمل سيحدث مابشر به الرسول صلى الله عليه وسلم فعن ابن جابــر قال سمعت سليم بن عامر قال سمعت المقداد بن الأسود يقول سمعت رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم يقول : لايبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر الا أدخله اللـــه كلمة الاسلام بعز عزيز أو ذل ذليل اما يعزهم الله عز وجل فيجعلهم من أهلها أو يذلهم فيدينون لها • (١)

---

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل المجلد السادس ص٤ (مسند الأنصار) بدون عدد للطبعة ــ المطبعة الميمنية بمصر ــ بيروت ١٣١٣هـ • وأخرجه الهيثمي بلفظ متقارب في مجمع الزوائد جـ ٥ ص ١٦ (كتاب المغازي والسير باب علو الاسلام على كل دين ما [illegible] وظهوره عليه) قال الهيثمي رواه الطبراني ورجال الطبراني رجال الصحيح .

ومنذ عام قامت وزارة الأوقاف بتدريب بعض الأئمة على اللغات لبعثهم إلى الخارج لتبليغ الرسالة ٠

وانتهى التدريب ولم يبعث أحد منهم ، وجدنا لزاما إرسال هؤلاء إلى دول العالم ليخاطبوا الناس بلغتهم ويبينوا محاسن الإسلام بأعمالهم وسلوكهم ٠٠ فالمستقبل للإسلام فالعالم يريد السلام وهو دين السلام ٠

وسلام على كل المرسلين ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ٠

" مصادر البحث "

اسم الكتاب	اسم المؤلف
١ــ القرآن الكريم	

كتب التفسير وعلوم القرآن

أولا فى التفسير

اسم الكتاب	اسم المؤلف
٢ــ جامع البيان عن تأويل آى القرآن ط٢ : مطبعة مصطفى الحلبى بمصر ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤ م	لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ ــ ٣١٠ هـ)
٣ــ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل الطبعة الأخيرة : مطبعة مصطفى وأولاده بمصر ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦م	لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى (٤٦٧ ــ ٥٣٨ هـ)
٤ــ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ط٢ : المطبعة العامرة الشرقيـة ١٣٢٤هـ	لأبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التميمى الرازى الملقب بفخر الدين (٥٤٤ــ٦٠٦هـ)
٥ــ الجامع لأحكام القرآن ط ٢ : مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م .	لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح القرطبى (المتوفى ٦٧١هـ)
٦ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل بدون عدد للطبعة : مطبعة المدنى بالقاهرة ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦م	لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى المتوفى سنة (٧٠١ هـ)
٧ــ التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط وبهامشه (النهر الماء من البحر) ط١ : مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨هـ	لأثير الدين أبى عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسى الشهير بأبى حيان (٦٥٤ ــ ٧٥٤ هـ)
٨ــ تفسير القرآن العظيم بدون عدد للطبعة . طبع دار إحياء الكتب العربية بدون تاريخ	للإمام عماد الدين أبى الفداء اسماعيل بن كثير (المتوفى سنة ٧٧٤هـ)

اسم الكتاب	اسم المؤلف
٩ ــ روح المعانى : فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ط٢ طبع ادارة الطباعة المنيرية ببيروت بدون تاريخ	للإمام : أبى الفضل شهاب الدين محمود الألوسى البغدادى (١٢١٧ ــ ١٢٧٠ هـ)
١٠ ــ تفسير القاسمى (محاسن التأويل) ط١ طبع دار إحياء الكتب العربيــة عيسى البابى الحلبى وشركاه ١٣٣٢ هـ = ١٩١٤م	محمد جمال الدين القاسمى تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى
١١ ــ (تفسير القرآن الحكيم) المشهور بتفسير المنــــار ط٢ اصدار المنار ١٣٦٩هـ = ١٩٥٠م	للشيخ / السيد رشيد رضـــا (١٢٨٢ ــ ١٣٥٤ هـ)
١٢ ــ فى ظلال القـــرآن ط٢ طبع دار الشروق بالقاهرة وبيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م.	الشيخ / سيد قطب
ثانيا علوم القــــرآن :	
١٣ ــ تأويل مشكل القرآن بدون عدد للطبعة مطبعة دار إحياء الكتب العربية ــ عيسى البابى الحلبى وشركاه بدون تاريخ	لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣ ــ ٢٧٦ هـ)
١٤ ــ كتاب المصاحف ط١ المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦م.	لابن أبى داود (المتوفى سنة ٣١٦هـ) نقله من نسخة خطيه المستشرق آرثر جفـــرى
١٦ ــ المفردات فى غريب القرآن الطبعة الاخيرة مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ١٣٨١هـ = ١٩٦١م.	لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف (بالراغب الأصفهانى المتوفى سنة ٥٠٢ هـ) تحقيق / محمد سيد كيلانى
١٥ ــ المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط بدون عدد للطبعة ــ استانبول مطبعة الدولة ١٩٣٢م	للإمام أبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى المتوفى سنة ٤٤٤ هـ نشر جمعية المستشرقين الألمانية.
١٧ ــ مقدمتان في علوم القرآن (مقدمة كتاب المبانى ومقدمة ابن عطية) من المخطوطات في دار الكتب المصرية) ودار الكتب ببرلين	ابن عطية ... عبد الحق بن أبى بكر بن عبد الله المتوفى سنة ٥٤٣ هـ تحقيق آرثر جفرى

اســــم الكتاب	اسم المؤلـــف
١٨ـ الإتقان فى علوم القرآن بدون عدد للطبعة ـ الهيئة العامه للكتاب ١٩٧٤م	للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (٨٤٩ ـ ٩١١هـ) تحقيق / محمد أبو الفضل ابراهيم
١٩ـ كتاب لطائف الإشارات فى علم القراءات مخطوطة بدار الكتب المصرية رمز (قراءات رقم ٤٩)	لأبى أحمد بن محمد بن أبى بن عبد الملك القسطلانــى (٨٥١ ـ ٩٢٣ هـ)
٢٠ـ اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الاربعة عشر مخطوطة بدار الكتب المصريه (قراءات ٣)	عبد الغنى الدمياطى (الشهير بالبنا) المتوفى سنة ١١١٧ هـ
٢١ـ مناهل العرفان فى علوم القرآن ط٣ مطبعة عيسى الحلبى بالقاهرة	للشيخ / محمد عبد العظيم الزرقانى
٢٢ـ النبأ العظيم (نظرات جديدة فى القرآن) ط٢ طبع دار القلم بالكويت ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠م .	الدكتور / محمد عبد الله دراز
٢٣ـ الظاهرة القرآنية ط٣ مطبعة دار الفكر ببيروت ١٩٦٨	مالك بن بنى ترجمة / عبد الصبور شاهين
٢٤ـ أثر القراءات فى الدراسات النحوية (السنة التاسعة ـ العدد ٩٩) اصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩م .	للدكتور / عبد العال سالم
٢٥ ـ مع القرآن الكريم بدون عدد للطبعة مطبعة دار الاتحاد العربى بالقاهرة ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م .	الدكتور / شعبان محمد اسماعيل

اسم الكتاب	اسم المؤلف
كتب الحديث وعلومه	
أولا كتب الحديث	
٢٦- المسند بدون عدد للطبعة المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٣هـ وبهامشه منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال	لأبى عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانى (١٦٤ ـ ٢٤١)
٢٧- صحيح البخارى بدون عدد للطبعة ـ مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ	لأبى عبد الله محمد بن اسماعيل ابن ابراهيم ابن المغيرة بن بردزبه البخارى (١٩٤ ـ ٢٥٦ هـ)
٢٨- صحيح البخارى بهامشه حاشية السندى بتمامها وتقريرات من شرحى القسطلانى وشيخ الإسلام ط١ المطبعة العامرة المليجية بمصر ١٣٣٤هـ	السندى وهو : أبو الحسن بن عبد الهادى السندى توفى ١١٣٦هـ القسطلانى وهو : أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك ... القسطلانى (٨٥١ ـ ٩٢٣ هـ)
٢٩- البخارى بحاشية السندى .	
٣٠- سنن أبى داود ط١ طبع دار الحديث بحمص بسوريا ١٣٩١ هـ = ١٩٧١م.	للإمام أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى (٢٠٢ ـ ٢٧٥هـ)
٣١ ـ صحيح مسلم بشرح النووى بدون عدد للطبعة ـ المطبعة المصرية ومكتبتها ١٣٤٩هـ	للإمام ابن الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابورى (٢٠٤ ـ ٢٦١هـ) • والنووى هو : الإمام محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى (٦٣٠ ـ ٦٧٦هـ)

اسم الكتاب	اسم المؤلف
٣٢- المستدرك على الصحيحين فى الحديث بدون عدد للطبعه • مطابع النصر الحديثة بالرياض بدون تاريخ	للإمام أبى عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابورى المتوفى (٤٠٥ هـ)
٣٣- السنن الكـــبرى ط١ مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند (١٣٥٦هـ)	للإمام أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى المتوفى (٤٥٨ هـ)
٣٤- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة • ط١ ط بعدار النصر بالقاهرة ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م •	للامام أبى بكر بن الحسين البيهقــى تحقيق / عبد الرحمن محمد عثمان
٣٥- مشكاة المصابيـــح ط١ طبع منشورات المكتب الإسلامى للطباعة والنشر • ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م •	للشيخ / ولى الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمرى التبريزى وتوفى بعد سنة ٧٣٧ هـ • تحقيق / ناصر الدين الالبانى
٣٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائــد بدون عدد للطبعه نشر مكتبة القدس بالقاهره ١٣٥٣ هـ	للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى المتوفى سنة (٨٠٧ هـ) بتحريـــر الحافظين العراقى وابن حجر
٣٧- التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح بدون عدد للطبعه المطبعه الميمنيه بمصر ١٣٢٣هـ	للإمام أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجى الزبيدى (فرغ من تجريده ٨٨٩هـ)
٣٨- فيض القدير شرح الجامع الصغير ط١ مطبعة مصطفى محمد بمصر ١٣٥٦هـ = ١٩٣٨م •	للعلامة محمد المدعو بعبد الرؤف المناوى (٩٥٢ ـ ١٠٢٩) هـ
٣٩- شرح موطأ الإمام مالك ط١ مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٢٢ هـ = ١٩٥٥م •	لأبى عبد الله محمد بن عبد الباقـــى ابن يوسف الزرقانى (١٠٥٥ ـ ١١٢٢) هـ تحقيق / إبراهيم عطوه

اسم الكتاب	اسم المؤلف
٤٠- فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى بدون عدد للطبعه مط بمة حجازى بالقاهره ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦م.	للشيخ / عبد الله الشرقاوى (١١٥٠ ـ ١٢٢٧)
٤١- نيل الأوطار (شرح الأخبار من أحاديث سيد الأخيار) ط١ المطبعة العثمانية المصرية ١٣٥٧هـ	للإمام محمد بن على بن محمد الشوكانى المتوفى سنة (١٢٥٥ هـ)
٤٢- الفتح الربانى بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ط١ مطبعة الإخوان المسلمين ١٣٧٥ هـ	للشيخ / أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتى
٤٣- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم بدون عدد للطبعة ـ مطبعة المدنى بالقاهره ـ ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧م.	للإمام محمد حبيب الله بن الشيخ سيدى عبد الله المشهور بما يأبى الجكنى المتوفى سنة (١٣٦٣هـ)

ثانيا علوم الحديث

اسم الكتاب	اسم المؤلف
٤٤- تأويل مختلف الحديث بدون عدد للطبعه طبع دار الجيل ببيروت ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م.	للإمام أبى عبد الله بن مسلم بن قتيبه (٢١٣ ـ ٢٧٦ هـ) تصحيح محمد زهرى النجار
٤٥- الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم بدون عدد للطبعة إدارة الطباعة المنيرية بمصر بدون تاريخ	للإمام أبى عبد الله محمد بن ابراهيم الوزير اليمانى المتوفى (٨٤٠ هـ)
٤٦- تهذيب التهذيب ط١ مطبعة مجلس دائرة المعارف بالهند حيدر آباد الدكن ١٣٢٧ هـ	لأبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى سنة (٨٥٢ هـ)
٤٧- تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ط٢ مطبعة السعادة بمصر ١٣٥٨ هـ = ١٩٦٦م.	للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (٨٤٩ ـ ٩١١هـ) تحقيق / عبد الوهاب عبد اللطيف

اسم الكتاب	اسم المؤلف
٤٨- السيرة النبوية لابن هشام بدون عدد للطبعة ـ طبع شركة الطباعة الفنية المتحدة ١٣٩١هـ = ١٩٧١م.	لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام المعافري المتوفى سنة (٢١٣ هـ) تحقيق / طه عبد الرؤف سعد
٤٩- الطبقات الكبرى بدون عدد للطبعة ـ طبعة بيروت ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠م.	محمد بن سعد بن منيع البصري (١٦٨ ـ ٢٣٠) هـ
٥٠- فتوح الشام ـ بدون عدد للطبعة المطبعة الأزهرية المصرية ١٣٠٢ هـ	للإمام محمد الواقدي
٥١ تاريخ الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك بدون عدد لطبع . مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٢م	لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ) تحقيق / محمد أبو الفضل ابراهيم
٥٢- فتوح البلدان ـ بدون عدد للطبع مطبعة لجنة البيان العربي بالقاهره ١٩٥٦م	أحمد بن يحيى بن جابر بن داود المعروف بالبلاذري تحقيق الدكتور / صلاح الدين المنجد
٥٣- الروض الأنف طـ دار النصر للطباعة بالقاهرة ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م.	للإمام عبد الرحمن السهيلي (٥٠٨ ـ ٥٨١ هـ) تحقيق / عبد الرحمن الوكيل
٥٤- الكامل في التاريخ ـ بدون عدد للطبعة طبع دار صادر ببيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م	لعز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (المعروف بابن الاثير)
٥٥- زاد المعاد في هدى خير العباد محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وإمام المرسلين بدون عدد للطبعة المطبعة المصريه بدون تاريخ	للعلامه (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر الشهير بابن قيم الجوزيه (٦٩١ ـ ٧٥١ هـ)
٥٦- تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس بدون عدد للطبع . طبع بيروت بدون تاريخ	للعالم الشيخ / حسين بن محمد بن الحسن

كتب اللغة

اسم الكتاب	اسم المؤلف
٥٧- لسان العرب بدون عدد للطبعة . طبعة بيروت ١٣٧٦هـ = ١٩٥٦م.	للإمام أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقى المصرى (٦٣٠ ـ ٧١١ هـ)
٥٨- القاموس المحيط ط٢ مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢م.	لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (٧٢٩ ـ ٨١٧ هـ)
٥٩- مختار القاموس ط١ مطبعة عيسى البابى الحلبى ١٣٨٣هـ = ١٩٦٤م.	الطاهر أحمد الزاوى الطرابلسى
٦٠- معجم البلدان بدون عدد للطبعة ـ طبعة بيروت بدون تاريخ	للشيخ شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى (٦٢٦هـ)
٦١- المنجد فى اللغة والأدب والعلوم ط ١٥ المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٦م	الأب لويس معلوف اليسوعى
٦٢- الرائد (معجم لغوى عصرى) بدون عدد للطبعة . مطبعة دار العلم للملايين ببيروت ١٩٦٤م.	جبران مسعود
٦٣- قاموس الكتاب المقدس صدر عن مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى ط٢ طبعة بيروت ١٩٧١م.	تأليف نخبة من ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين .

اسم الكتاب	اسم المؤلف
كتب العقيدة	
٦٤- الفصل فى الملل والأهواء والنحل بهامشه (الملل والنحل للشهرستانى) بدون عدد للطبعة • مطبعة محمد على صبيح وأولاده بالقاهرة بدون تاريخ	للإمام أبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم (٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ) الشهرستانى هو : ابن أبو الفتح محمد بن أبى القاسم أحمد الشهرستانى (٥١٠ ـ ٥٤٨ هـ)
٦٥- الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الإعتقاد بدون عدد للطبعة ـ مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٩هـ = ١٩٥٠م	لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى امام الحرمين الجوينى) (٤١٩ ـ ٤٧٨ هـ) تحقيق الدكتور / محمد يوسف موسى ، على عبد المنعم عبد الحميد
٦٦- شرح البيجورى على الجوهره المسمى (تحفة المريد على جوهرة التوحيد) بدون عدد للطبعة ـ مطبعة دار مطابع الشعب ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦م.	لشيخ الاسلام / ابراهيم البيجورى
٦٧- تنقيح الأبحاث للملل الثلاث (اليهودية ـ المسيحية ـ الإسلام) بدون عدد للطبعة ـ المطبعة السنيه بالقاهرة بدون تاريخ	لسعد بن منصور بن كمونه اليهودى تحقيق الدكتور / عبد العظيم المطعنى
كتب الفقـــــه :	
٦٨- كتاب (الخراج) بدون عدد للطبعة المطبعة السلفيه بالقاهرة ١٣٤٦ هـ	للقاضى أبى يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الإمام أبى حنيفه
٦٩- الأم ط١ شركة الطباعه الفنيه المتحده بالقاهره ١٣٨١هـ = ١٩٦١م.	للامام الشافعى أبى عبد الله محمد بن ادريس (١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ) تصحيح محمد زهرى النجار
٧٠- بداية المجتهد ونهاية المقتصد ط٤ مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥م.	لابن رشيد (٥٢٠ ـ ٥٩٥ هـ)
٧١- المغــــنى بدون عدد للطبعة ـ مطبعة الامام بمصر بدون تاريخ	لأبى محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه المتوفى سنة (٦٢٠ هـ)

اسم الكتاب	اسم المؤلف
٧٢-المجموع شرح المهذب بدون عدد للطبعه ـ مطبعة دار العلوم للطباعة بالقاهرة بدون تاريخ	للإمام أبى زكريا محيى الدين بن شرف النووى تحقيق / محمد نجيب المطيعى
٧٣-شرح فتح القدير بدون عدد للطبعة مطبعة مصطفى محمد بدون تاريخ	للإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام (المتوفى سنة ٨٦١ هـ)
٧٤-شرح النيل وشفاء العليل بدون عدد للطبعة • المطبعة السلفية بالقاهرة ١٢٤٣ هـ	الشيخ محمد بن يوسف أطفيش
٧٥-من رد المحتار على الدر المختار على متن تنوير الأبصار بدون عدد للطبعة ـ مطبعة البهية بمصر ١٣٤٩هـ	للعلامة بن عابدين

مراجع عامه

اسم الكتاب	اسم المؤلف
٧٦- أباطيل وأسمار (الجزءان الأول والثانى) ط٢ مطبعة المدنى بالقاهرة ١٩٧٢م •	محمود محمد شاكر
٧٧- آثار الحرب فى الفقه الاسلامى بدون عدد للطبعة ـ طبع دار الفكر بدمشق ١٣٨١هـ = ١٩٦٢م •	الدكتور / وهبه الزحيلى
٧٨-اثبات نبوة النبى صلى الله عليه وسلم بدون عدد للطبعة ـ مطبعة دار التراث العربى بمصر ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م •	أبى الحسن أحمد بن الحسين بن هارون الهارونى

اسم الكتاب	اسم المؤلف
٧٩- أخبار اليوم : مقاله بعنوان : من الفكر المصرى الإسلامى عندما رد الشيخ محمد عبده على وزير خارجية فرنسا (السنة السادسة والثلاثون ــ العدد ١٨٧٧) ١٦ ذو الحجة ١٤٠٠ ١٩٨٠/١٠/٢٥	عبد الحميد الكاتب
٨٠- أدلة اليقين فى الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسحين فى الإسلام ط١ مطبعة الإرشاد بالقاهره ١٣٥٣هـ = ١٩٣٤م.	الشيخ / عبد الرحمن الجزيرى
٨١- أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى ط٢ دار النصر للطباعة ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م	الدكتور على محمد جريشة ، محمد شريف الزيبق
٨٢- أشعه خاصه بنور الإسلام ط٢ (سلسلة الثقافة الإسلامية العدد ١٧) المطبعة الكمالية ١٣٧٩هـ=١٩٦٠	اتيين دينه ترجمة / راشد رستم
٨٣- أضواء على الاستشراق ط١ مطبعة الجبلاوى بالقاهرة ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م.	الدكتور / محمد عبد الفتاح عليان
٨٤- أضواء على السنة المحمدية ط١ مطبعة دار التاليف بمصر ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨م.	محمود أبو ريه
٨٥- أهل الذمة فى الإسلام ط٢ مطبعة الشامى بالقاهرة ١٩٦٧م.	الدكتور أ . س.ترتون ترجمة وتعليق الدكتور / حسن حبش
٨٦- الإحكام فى أصول الأحكام بدون عدد للطبعة مطبعة المعارف بمصر ١٣٣٢هـ = ١٩١٤م.	للإمام أبى الحسن بن على بن محمد الآمــدى

اسم الكتاب	اسم المؤلف
٨٧- الإسرائيليات فى التفسير والحديث (الكتاب ٣٧ ـ السنة الثالثة) سلسلة البحوث الاسلامية ١٣٩١هـ = ١٩٧١م.	الدكتور / محمد السيد حسين الذهبى
٨٨- الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة بدون عدد للطبعة . مطبعة دار العالم العربى بدون تاريخ	الدكتور / على عبد الواحد وافى
٨٩- الإسلام ط١ مطبعة لجنة البيان العربى بالقاهره ١٩٥٨م.	الفريد جيوم ترجمة الأستاذ / مصطفى هداره والدكتور / شوقى اليمانى السكرى
٩٠- الاسلام دين الفطرة والحريه بدون عدد للطبعة . مطابع دار المعارف بمصر ١٩٦٨م.	الشيخ / عبد العزيز جاويش
٩١- الإسلام على مفترق الطرق ط٩ مطابع مؤسسة حداد ببيروت ١٩٧٧م	محمد أسـد ترجمة الدكتور / عمر فروخ
٩٢- الإسلام فى الفكر الأوربى ط١ مطبعة دار التراث العربى بالقاهره ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.	الدكتور محمد شامـه
٩٣- الإسلام فى مفترق الطرق بدون عدد للطبعة . مطابع دار الشروق ببيروت ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م.	الدكتور / أحمد عروه نقله عن الفرنسيه الدكتور / عثمان أمين
٩٤- الإسلام فى وجه التغريب مخططات الاستشراق والتبشير بدون عدد للطبعة . مطابع الناشر العربى بالقاهره ـ بدون تاريخ	الاستاذ / أنور الجنـدى
٩٥- الإسلام منهج حياة ط١ مطبعة دار العلم ببيروت ١٩٧٢م.	الدكتور / فيليب حتى ترجمة الدكتور / عمـر فـروخ

اسم الكتاب	اسم المؤلف
٩٦- الإسلام والحضارة العربيه ط٣ مطبعة لجنة التأليف والترجمه والنشر بالقاهرة ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م٠	محمد كرد علــــى
٩٧- الإسلام يتحدى ط٦ مطبعة أطلس بالقاهره ١٩٧٦م٠	وحيد الدين خان ترجمة : ظفر الإسلام خان ٠ ومراجعة الدكتور / عبد الصبور شاهين
٩٨- الإعلام فى العصر الحديث ودوره فى تبليغ الدعوة الاسلامية رسالة دكتوراه فى الإعلام من كلية أصول الدين ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م ٠	الدكتور / محمد محمود متولى
٩٩- الإنسان بين الجبر والاختيار ط١ مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ١٣٨٦هـ= ١٩٦٦م٠	محمد سلامه جــــبر
١٠٠- الأنوار المحمديه من المواهب اللدنيه بدون عدد للطبعة ــ المطبعه الأرديه ببيروت ٠ ١٣١٠هـ	يوسف بن اسماعيل النبهانى
١٠١- البهائيه تاريخها وعقيدتها وصلتهــا بالباطنيه والصهيونيه ط١ مطبعة السنة المحمديه ١٣٨١هـ= ١٩٦٢م٠	عبد الرحمن الوكيــــل
١٠٢- التبشير والاستعمار فى البلاد العربيه ط٤ طبعة بيروت ٠ ١٣٩٠هـ= ١٩٧٠م٠	الدكتور / مصطفى خالدى ٠ الدكتور / عمر فروخ
١٠٤- التقويم العربى قبل الإسلام وتاريخ ميلاد الرسول وهجرته صلى الله عليه وسلم (الكتاب الثالث ــ سلسلة مجمع البحوث الإسلامية) ١٣٨٩هـ= ١٩٦٩م٠	محمود باشا الفلكى ترجمة حفيد المؤلف / محمود صالح الفلكى

اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٠٥- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح بدون عدد للطبعه مطبعة المدنى بالقاهره بدون تاريخ	شيخ الإسلام : أبى العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم (الشهير بابن تيميه)
١٠٦- الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية بدون عدد للطبعه طبع دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٧م.	رودى بارت ترجمة الدكتور / مصطفى ماهر
١٠٧- الرد على ابن النغريله ورسائل أخرى بدون عدد للطبعه مطبعة المدنى بالقاهره ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م.	ابن حزم الأندلسى تحقيق الدكتور / احسان عباس
١٠٨- الروح القدس فى العصر الحديث بدون عدد للطبعة مطابع كوستاتسوماس بدون تاريخ	حبيب سعيد
١٠٩- السنة النبوية فى مواجهة التحدى (الكتاب الثانى – السنة الثانيه) سلسلة البحوث الإسلامية ١٤٠١هـ = ٨٠	الدكتور / أحمد عمر هاشم
١١٠- السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ط٢ المكتب الإسلامى بدمشق وبيروت ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.	الدكتور / مصطفى السباعى
١١١- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية – ط٣ مطبعة التقدم بالقاهره ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.	السيد أبو الحسن على الحسينى الندوى
١١٢- العقيدة والشريعة فى الإسلام ط١ طبع دار الكتاب المصرى ١٩٤٦م.	جولد تسيهر ترجمة الدكتور / محمد يوسف موسى وزميلاه
١١٣- الغرب والشرق من الحروب الصليبية إلى حرب السويس المرحله الأولى بدون عدد للطبع مطابع الدار القومية بدون تاريخ	محمد على الغتيت

اسم الكتاب	اسم المؤلف
١١٤- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ط٢ مطبعة مخيمر ١٣٧٩هـ=١٩٥٩م	الدكتور / محمد البهي
١١٥- القاديانية ــ عرض وتحليل ــ (العدد ١٠٩ ــ سلسلة البحوث الإسلامية) السنة العاشرة ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م.	الدكتور / محمد إسماعيل النووى
١١٦- القرآن والتوراة والإنجيل والعلم بدون عدد للطبعة / مطبعة دار المعارف بالقاهرة بدون تاريخ	موريس بوكاى
١١٧- القصور العوالى (كتاب القسطاس المستقيم) ط٢ / دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م.	للإمام أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى تحقيق / الشيخ محمد مصطفى أبو العلا .
١١٨- القضاء والقدر بدون عدد للطبعة ، طبع مكتبة أنصار السنة المحمدية ١٣٨٢هـ=١٩٦٣م.	لشيخ الإسلام ابن تيميه مراجعة / محمد عبد الله السمان .
١١٩- القيم الخلقية والإنسانية فى الغزوات (الكتاب السادس والثلاثون ــ السنة الثالثة سلسلة البحوث الإسلامية) ١٣٩١هـ=١٩٧١م.	الأستاذ / حسن فتح الباب
١٢٠- الكتاب المقدس بعهديه بدون عدد للطبعة / مطبعة دار حلمى للطباعة بمصر بدون تاريخ	
١٢١- المبشرون والمستشرقون فى موقفهم من الإسلام بدون عدد للطبعة / مطبعة وزارة الأوقاف ١٣٨٣هـ= ١٩٦٣م.	الدكتور / محمد البهي
المجتمع العربى والإسلامى ط٢ مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٧م.	الدكتور / عبد الحميد بخيت

اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٢٢- المدخل لدراسة الإعلام الإسلامى ط١ مطبعة الفاروق الحديثه للطباعة والنشر بالقاهرة ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢	الدكتور / عماره نجيب
١٢٣- المذاهب الإسلامية فى التفسير ط مطبعة العلوم ١٣٦٣هـ = ١٩٤٤م٠	جولد تسيهر ترجمة الدكتور / على حسن عبد القادر
١٢٤- المذمة فى استعمال أهل الذمة مخطوطة مصوره بدار الكتب المصرية تحت رقم تاريخ ٤٣١٥ ومصنفه سنة ٧٢٠هـ	للامام أبى أمامة محمد بن على بن النقاش
١٢٥- المستشرقون ط٣ مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٥م٠	نجيب العقيقى
١٢٦- المستشرقون والإسلام (الكتاب المشرون سلسلة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية) ١٣٨٥هـ=١٩٦٥م٠	زكريا هاشم زكريا
١٢٧- المستشرقون والإسلام ط١ مطبعة المنار بمصر ١٣٥٥هـ=١٩٣٦م٠	للطبيب / حسين الهراوى
١٢٨- المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى والاسلامى بدون عدد للطبعه مطبعة العالم العرب ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م٠	إبراهيم خليل أحمد
١٢٩- المستشرقون والتاريخ الإسلامى السنة العاشرة ـ العدد ١١١ ـ اصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م٠	الدكتور / على حسنى الخربوطلى
١٣٠- النظم الإسلامية مترجم عن الطبعة الثالثة ،بدون عدد للطبعة مطبعة الزهراء ببغداد ١٩٥٢م٠	موريس ع : ديمومين نقله عن الفرنسيه صالح الشماع وفيصل السامر
١٣١- المؤامرة على الإسلام ط٢ طبع دار العلوم للطباعة بالقاهره ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م٠	الأستاذ / أنور الجندى

اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٣٢- بنو اسرائيل فى القرآن والسنة ط١ مطبعة قاصد خير بالقاهرة ١٣٨٨هـ=١٩٦٩م.	الدكتور / محمد سيد طنطاوى
١٣٣- بنية الفكر الديني فى الإسلام بدون عدد للطبعة / مطبعة جامعة دمشق بسوريا ١٣٧٩هـ=١٩٥٩م.	هـ ٠ ا ٠ ر ٠ جب تعريف عادل العوا
١٣٤- تاريخ الأمة العربية دراسات فى عصر الخلفاء بدون عدد للطبعة ــ مطبعة الزهران بمصر ١٣٩٠هـ = ١٩٧١م.	الدكتور / عبد الفتاح على شحاته
١٣٥- تاريخ الأمة العربية ــ دراسات فى تاريخ الأمويين ط١ مطبعة الزهران بالقاهرة ١٣٨٨هـ=١٩٦٩م.	الدكتور / عبد الفتاح على شحاته
١٣٦- تاريخ الأدب العربى ط٤ طبع دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٩م.	كارل بروكلمان ترجمة الدكتور / عبد الحليم النجار
١٣٧- تاريخ العرب العام " امبراطورية العرب حضارتهم ــ مدارسهم الفلسفية والعلمية والأدبية) ط١ مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر ١٣٦٧هـ= ١٩٤٨م.	ل ٠ ا ٠ سيديو ترجمة عادل زعيتر
١٣٨- تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام بدون عدد للطبعة مطبعة الاعتماد بمصر ١٣٤٥هـ=١٩٢٧م.	الدكتور / اسرائيل ولفنسون
١٣٩- تيسير علوم الحديث والرد على أعداء السنة ط١ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٣٩١هـ = ١٩٧٢م.	الدكتور / محمد السيد ندا
١٤٠- حاضر العالم الإسلامى ط٣ مطبعة دار الفكر ١٣٩١هـ=١٩٧١م.	لوثروب ستودارد الأمريكى ترجمة عجاج نويهض تعليقات الأمير شكيب أرسلان

اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٤١- حضارة الإسلام ط٣ مطبعة دار مصر للطباعة ١٩٥٣م.	جوستاف أ. فون جرونيباوم ترجمة الأستاذ / عبد العزيز جاويد مراجعة الأستاذ / عبد الحميد الصاوى
١٤٢- حضارة العرب ط٣ مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ١٣٧٥هـ=١٩٥٦م.	غوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر
١٤٣- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ط٢ نشر دار القلم بالقاهرة ١٣٨٢هـ=١٩٦٢م.	الأستاذ / عباس محمود العقاد
١٤٤- حياة محمد ط٤ مطبعة دار المعارف بالقاهرة بدون تاريخ	الدكتور / محمد حسين هيكل
١٤٥- حياة محمد بدون عدد للطبعة . طبع دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٤٢م.	اميل درمنغم ترجمة عادل زعيتر
١٤٦- حياة محمد ط٢ طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.	واسنجتون أرفنج ترجمة وتعليق الدكتور / على حسنى الخربوطلى
١٤٧ - دائرة المعارف الإسلامية ١٣٥٤هـ=١٩٣٥م.	لمجموعة من المستشرقين ترجمة إبراهيم زكى خورشيد وآخرون
١٤٨ - دائرة المعارف بدون عدد للطبعةطبعة بيروت ١٩٥٦م.	فؤاد إفرام البستانى
١٤٩ - دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ط٣ دار الكتب الحديثة ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م.	الشيخ / محمد الغزالى
١٥٠ - دفع شبهات عن الحديث والمحدثين أثارها صاحب فجر الإسلام وضحاه ط١ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م.	الدكتور / سيد أحمد رمضان المسير

اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٥١- دلائل النبوة ومعجزات الرسول صلوات الله وسلامه عليه بدون عدد للطبعة • مطابع الدجوى بالقاهرة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م•	الإمام الاكبر / الدكتور عبد الحليم محمود
١٥٢- رسالة في الفرق بين الحديث القدسي والقرآن والحديث النبوي مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رمز " مصطلح حديث تيمور ١٠٥ "	نوح بن مصطفى
١٥٤- شرح المدد الفياض بنور الشفا للقاضي عياض	للشيخ حسن المدوى الحمزاوى
١٥٥- شرح نهج البلاغة ط٢ طبعة بيروت ١٣٧٥هـ=١٩٥٦م•	لعز الدين حامد الشهير بابن أبي الحديد
١٥٦- صور استشراقية (الكتاب الأول) " السنة العاشرة ـ سلسلة البحوث الاسلامية طبع مطابع الأزهر ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م•	الدكتور / عبد الجليل عبده شلبى
١٥٧- صور من حياة الرسول ط٤ طبعة دار المعارف بمصر ١٣٧٢هـ= ١٩٥٣م•	أمين دويدار
١٥٨- في الأدب الجاهلي ط٢ طبع دار المعارف بمصر ١٩٢٧م•	الدكتور / طه حسين
١٥٩- في الشعر الجاهلي ط١ مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٤هـ=١٩٢٦م•	الدكتور / طه حسين
١٦٠- فضل العرب على أوربا بدون عدد للطبعة • مطبعة الرسالة بالقاهرة ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م•	الدكتورة / سيجريد هونكه ترجمة الدكتور / فؤاد حسنين على

اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٦١- فقه السيرة ط٧ ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.	الدكتور / محمد سعيد رمضان البوطى
١٦٢- قصة الحضارة ط٣ مطبعة الدجوى بالقاهرة ١٩٧٤م.	لول ديورانت ترجمة / محمد بدران
١٦٣- قصة العرب في اسبانيا ط. ١ طبعة دار المعارف ١٩٦٨م.	استانلى ليد بول ترجمة بدر الدين على الجارم
١٦٤- مجالى الاسلام بدون عدد للطبع طبع دار احياء الكتب العربية عيسى الحلبي ١٩٥٦م.	حيدر بامات (جريقوار) ترجمة عادل زعيتر
١٦٥- مجموعة رسائل ابن تيميه بدون عدد للطبعة . مطبعة السنة المحمديه ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م.	لابن تيميه تحقيق / محمد حامد الفقى
١٦٦- مجلة منبر الاسلام مقالات بعنوان (من اعجاز القرآن فواتح السور) الاعداد ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ السنة ٢١ ـ ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣م.	الدكتور / حفنى محمد شرف
١٦٧- معالم تاريخ الانسانية ط٣ مطبعة الدجوى بالقاهرة ١٩٧٢م.	هـ . جـ . ولز ترجمة / عبد العزيز توفيق جاويد
١٦٨- مع المفسرين والمستشرقين فى زواج النبى صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش بدون عدد للطبعة طبع دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه بالقاهرة ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.	الدكتور / زاهر عواض الألمعى
١٦٩- منهاج السنه	لابن تيميه

اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٧٠- نساء [illegible] ط [illegible] دار المعارف بمصر ١٣٩٣ [illegible] ١٩٧٣م	الدكتورة / عائشه عبد الرحمن
١٧١- نقض كتاب في الشعر الجاهلي * بدون عدد للطبعة المطبعة السلفية بالقاهره ١٩٤٥ م .	السيد محمد الخضر حسين
١٧٢- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ط١٥ مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٥٩م .	الشيخ / محمد الخضرى بك
١٧٣- هـــذا هو الإســـــلام بدون عدد للطبع مطابع الشعب ١٩٥٩م .	الدكتور / محمد غـــلاب

" فهرس الموضوعات "

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحـــة

الموضــــوع	الصفحـــــة

الموضـــوع الصفحـــة

الموضوع	الصفحة
الباب الثالث : الدعوة الاسلامية والمستشرقون	٢١٧ ـ ٣٦١

((تمت بحمد الله))